



الدكتور محمد فاضل الجمالي

صفحات من تاريخنا المعاصر

صفحـــــات
من تاريخنا المعاصر

الطبعـــــــة الأولى ١٩٩٣

رقم الإيداع : ١٩٩٣/٤٦٥٢
I.S.B.N.
977—274—001—X

دار سـعـاد الصبـــاح
ص.ب : ٢٧٢٨٠
الصفاة ١٣١٣٣ – الكويت
القاهرة – ص.ب : ١٣ المقطم
٢٦٧ دقي
تليفون : ٣٤٩١٧٢٧
٣٤٩٧٧٧٩
٧٠٩٥٨٣
فاكس : ٧٠٩٥٦٣
٥٠٦١٠٣٠

الاشراف الفني : حلمي التوني

اهداءات ١٩٩٩

دار الجميل

القاهرة



صفحات من تاريخنا المعاصر

الدكتور
محمد فاضل الجمالي



فهرست الكتاب

رقم الصفحة

رقم الصفحة

رقم الصفحة

رقم الصفحة

المقـــدمة

ها هى البلاد العربية اليوم وعددها يزيد على العشرين دولة قد تحررت من ربقة الاستعمار القديم وحققت استقلالها باستثناء فلسطين. وها هو الشعب الفلسطينى الأبىّ يجاهد ويكافح من أجل استرجاع حقوقه المغتصبة وكرامته المهانة. وما يعوزه لتحقيق النصر هو التعامل الحرّ الجرىء مع الوضع العالمىّ الجديد الذى تتزعمه الولايات المتحدة الأمريكية.

إن الولايات المتحدة كما عرفناها دولة عظمى تدعو إلى الديموقراطية وإلى احترام حقوق الإنسان ودستورها يعترف بالمساواة بين بنى البشر بدون تمييز على أساس الدين أو العنصر أو الجنس. ولكنها (أى الولايات المتحدة) لم تطبق مبادئها السامية هذه على الشعب الفلسطينى بعد. فما زال الشعب الفلسطينى يعانى الظلم والحرمان من حقوق الإنسانية بسبب النفوذ الصهيونى فى مراكز صنع القرار فى السياسة الأمريكية الشرق أوسطية. ولذلك فالموقف الأمريكى خائر إزاء العدوان الصهيونى فى فلسطين ومنحاز إلى إسرائيل فى معالجة القضية الفلسطينية.

والعلة الأساسية لهذا الموقف الأمريكى هو تفرق الدول العربية والتجافى والتخاصم فيما بينها فلو كانت الدول العربية متحدة متضامنة

فيما بينها ووقفت بجد وصلابة مدافعة عن الحق العربي في فلسطين لاستطاعت أن تنقذ السياسة الأمريكية من ورطتها في الشرق الأوسط فتحملها على اتخاذ موقف الحياد بين العرب وإسرائيل. فتعمل على تحقيق السلام على أساس الشرعية الدولية ومقررات الأمم المتحدة ومعاملة كل الأطراف معاملة واحدة أساسها الصداقة وتبادل المصالح واحترام الحق والقانون. هذه هي السياسة التي كان المستر «دالس» (وزير الخارجية في عهد الرئيس أيزنهاور) ينوي اتباعها حسبما صارحني بها.

ان أزمات الشرق الأوسط منذ الحرب العالمية الثانية إلى يومنا هذا لم تكن تتعاظم لولا الثورات والانقلابات والخلافات الناشئة عن المصالح الإقليمية الضيقة والتبعية للأجنبي والعصبيات القُطرية والمذهبية. وسبب ذلك هو انعدام التربية الصحيحة وحرمان الشعوب من حرية ابداء الرأي والحقوق المدنية التي يتمتع بها الفرد في الأمم الراقية. فالبلاد العربية متخلفة سياسياً لأنها متخلفة تربوياً وثقافياً: في علوم الدين وعلوم الدنيا. أقوال لا ترافقها أفعال. غرور وادّعاء أو استسلام وانزواء في العلاقات الدولية. حكوماتنا يعوزها الاطلاع والتحري والتفتح على العالم. نحن لا ندري ماذا يخطط لنا وراء ظهورنا. البعض منا بيادق تحركها أدمغة أجنبية في الساحة الدولية. ولذلك يحارب بعضنا البعض الآخر ولا يثق أحدنا بالآخر. الأخ يشك في أخيه. والابن قد يطعن في أبيه. أتذكر حديثاً جرى بيني وبين المرحوم غازي الداغستاني وقد حكم علينا

بالإعدام فى وقت واحد وكنا زملاء فى غرفة السجن: سألته وكان قائدا الثورة العراقية عبدالكريم قاسم وعبدالسّلام عارف ضابطين فى فرقته وتحت إمرته: «غازى باشا بوصفك قائدا للفرقة ألم يصل إلى علمك إعداد المتآمرين للثورة»؟ أجابنى ببساطة: «يا دكتور إذا كنت نائما فى دارك هل يخطر على بالك بأن أولادك سيقومون ليلاً بقتلك؟» كان المرحوم ينظر إلى قادة الثورة كأولاده ولكنهم غدروا به! الغدر ليس من الأخلاق العربية والخيانة إثم كبير فى الدّين الإسلامى الحنيف.

إذن فنحن فى حاجة إلى تربية جديدة تربية تنشئ لنا جيلاً مؤمناً يتحلى بالتقوى والشجاعة والحكمة جيل يستفيد من خبرات الماضى وله أهداف مستقبلية سامية وواقعية لأمته محبا للعمل مخلصا فى أداء واجبه.

وهذا الكتاب الذى أقدمه للقارئ العربى يحتوى على المهم من تجاربى وخبرتى فى الحقل الدولى فى الخمسين سنة الأخيرة ـ إنه يؤكد على مبادئ التحرير والتوحيد والتجديد فى حياتنا العامة والخاصة إن ما تفضل به البارى عز وجل على أمتنا العربية من رسالة إسلامية وثروة طبيعية ومواهب بشرية لو وعيناها واستثمرناها لأصبح لنا شأن عظيم فى النظام العالمى الجديد. المهمة ليست بسيطة ولا سهلة إنها تتطلب عزماً جديداً ووحدة صادقة مخلصة لدى زعمائنا وقادتنا من

جهة. واستعداداً وثّاباً وعملاً متواصلاً وتفكيراً عميقاً من قبل شبابنا وشاباتنا.

فإلى شبابنا المثقف (بالدرجة الأولى) أقدم هذا الكتاب

والله الهادى للصواب.

د. محمد فاضل الجمالى

الباب الأول

الاتحاد العربى

الشباب الجامعى العربى
ورسالته القومية*

إخواني الأعزاء،

أحييكم تحية أخ يحن دوما لكراسى الدراسة ويشتاق لأيام التلمذة، أخ لن ينسى عهدا قضاه فى جمعيات شبيهة بهذه الجماعة الكريمة التى تضم بينها نخبة من أبناء الضاد على اختلاف أقطارهم. فقد كنت عضوا فى جمعية العروة الوثقى للطلبة العرب فى الجامعة الأميركية فى بيروت قبل نحو عشرين سنة حين كنت طالبا فى الجامعة المذكورة ثم رئيسا لها. ثم كان لى الشرف أن ترأست جماعة الطلبة العرب فى مدينة نيويورك حين كنت طالبا هناك قبل عشر سنوات وفى هذه المؤسسات وفى هذا الموقف كنت ما أزال مفعما بالأمل والرجاء بأن تتحقق أمنية واحدة هى أمنية اتحاد وترابط البلاد العربية من خليج

(*) محاضرة ألقاها الدكتور محمد فاضل الجمالى مدير التدريس والتربية العام فى المملكة العراقية على طلبة وأساتذة كلية الآداب بجامعة القاهرة ١٩٤٢ .

البصرة إلى المحيط الأطلسي. وتحقيق هذه الأمنية يتطلب جهودا جبارة من أبناء البلاد العربية على اختلاف مراتبهم وأعمارهم ولا سيما من الشباب الجامعي الذى سيتولى مسؤولية توجيه هذه الأمة وإدارة شؤونها العامة.

وفى حديثى لكم أيها الإخوان غبطة خاصة لى ذلك لأنى أعلم أن المرحلة التى تجتازونها فى حياتكم هى أخصب مرحلة فى تكوين مستقبلكم وأعمقها أثرا فى تكوين عقائدكم، فالشباب فى دور الدراسة الجامعية هم فى دور تكوين الأحلام الذهبية، الأحلام التى تدفعهم إلى العلا والمجد فيما لو تحلوا بمزايا الاجتهاد والتعب والتضحية وهم فى دور تكوين المسامى (أى المثل العليا) التى يكرسون حياتهم من أجلها وفى هذا الدور تتبلور العقائد والمبادئ عندهم. وهم فى هذا الدور يستعدون للمهنة التى سيخدمون بها مجتمعهم ويحملون الرسالة التى تنتظرها منهم أمتهم.

لقد عبرت عن هذه الرسالة بالرسالة القومية وإنى أعلم حق العلم أن القومية بشكلها المتطرف قد جرت العالم إلى الويلات والمهالك وفى سبيلها تستعبد الشعوب وتراق الدماء. ورب معترض يقول: ما لك والدعوة إلى القومية وهذه الحرب لا محالة ستقضى على القوميات؟ لا بد لى أيها السادة أن أبدى أن اعتقادى فى القومية راسخ وأنى أومن بأن القومية جاءت إلى الوجود لتبقى لا لتزول. إنما الاختلاف هو فى ما

نفهمه من كلمة القومية. والعلة كل العلة هى أن الكلمات الواحدة قد تحمل مؤديات مختلفة عند أناس مختلفين، فالقومية العدائية، القومية الهجومية التى تؤسس على مبادئ استعباد الغير أو احتقارهم، القومية التى تؤسس على الغرور الكاذب والادعاءات الفارغة شىء والقومية التى تؤسس على إدراك الذات والسعى لتكوين الروابط الإيجابية والنتاج الفنى والروحى شىء آخر. القومية التى تؤسس على العنصرية وتحتقر العناصر الأخرى شىء والقومية التى تؤسس على وحدة اللغة والثقافة وعلى وحدة التاريخ والمصلحة شىء آخر. أجل إن القومية التى أعتقد أنها ستخلد هى قومية إيجابية لا قومية سلبية، هى قومية تعاونية لا قومية عدائية، هى قومية ثقافة وعاطفة لا عنصرية جاهلية. وبهذا المعنى أعتقد أن القومية هى رابطة روحية طبيعية بين الأفراد لا تختلف فى شىء عن رابطة العائلة فكما أن العائلات يجب أن تتعاون بعضها مع بعض وتتصل وتحل مشكلاتها بأساليب وقوانين اجتماعية معروفة كذلك الأمم يجب أن تصبح كل منها عائلة كبيرة يتعاون أفرادها على أن تتعاون العائلات الكبيرة فيما بينها. ولذلك كانت القومية التى أدعو إليها قومية غير عدائية قومية إيجابية لا تتناقض وتكوين روابط دولية واسعة متينة تتطلبها روح العصر الحديث. وهذه القومية هى شخصية معنوية لجماعة من البشر تربطهم رابطة اللغة والثقافة رابطة الفكر والعاطفة رابطة الحياة والمصلحة وهذه الشخصية المعنوية تقدم للعالم ما تنتجه فى حقول الاقتصاد والفن والفكر. فان فهمنا القومية بكونها هذه الشخصية المعنوية كان من الخسارة على البشرية أن تفنى القوميات بل الخير كل الخير للإنسانية أن تزدهر

وتثمر.

والآن لأرجع إلى نقطة بديهية قد يغالط فيها المغرضون أو من على قلوبهم غشاوة وهى هل من قومية عربية؟ أليست الدعوة إلى أمة عربية ضربا من الخيال أو بدعة من بدع رجال السياسة؟ كلا أيها الإخوة.. إن القومية العربية حقيقة واقعية سواء أسلم الكل بها أم لم يسلموا. فكل مقومات القومية من تاريخ إلى لغة إلى أفكار إلى عواطف إلى صلة جغرافية إلى مصالح مشتركة متوفرة فى كل أجزاء البلاد العربية (التى تدعى فى مصر توسعا بالبلاد الشرقية). وإنى أؤكد لكم بأنى لا أشعر عند ملاقاتى المصرى أو المغربى أو النجدى أو السورى إلا كما يشعر الأخ حين يلاقى أخاه، تربطنى به روابط روحية واقعية. وفى البلاد العربية كلها روابط روحية كامنة واحدة سواء أشعر الأفراد بوجودها أم لم يشعروا. وهذه الروابط تصبح ظاهرة فعالة كلما انتشرت الثقافة القومية بين أبناء البلاد العربية وكلما ازداد تواصلهم فيما بينهم. وليس أدل على ذلك من الشعور الذى يخالج المصرى حين مجيئه إلى العراق أو العراقى الذى يقدم إلى مصر فلا يشعر الواحد منا أنه غريب حين يطأ أرض مصر وأعتقد أن إخواننا المصريين قد لمسوا أيضا روح الوحدة والشعور بالارتباط عند تشريفهم العراق. ويصدق هذا على أبناء الأمة العربية من أى قطر كانوا. فتأكدوا إذن أيها الإخوان أن الرابطة التى تجمعكم جماعة الطلبة العرب هى رابطة حقيقية صادقة وهى رابطة قومية مقدسة.

والآن اسمحوا لى أن أبين الأسباب التى تجعل لرسالتكم القومية أهمية خاصة بها:

أولها ـ أنكم وأنتم فى عنفوان الشباب قد حصلتم بفضل الله على نعمة العلم والاستنارة وأن دراستكم العالية ستؤهلكم للقيام بمسؤوليات مختلفة يتوقف عليها مستقبل الأمة.

ثانيها ـ أنكم نشأتم فى هذا المحيط الجامعى الذى لا غرض له سوى البحث عن الحقيقة والذى يعلمكم أن تعالجوا الأمور بالأساليب العلمية المعروفة من دون تحيز ولا تهويش ولا انحراف.

ثالثها ـ أنكم تنشأون فى جو علمى حر تستطيعون أن تقدروا فيه قيمة الحرية وتستطيعون فى هذا الدور أن تخبروا الأمور بكل تؤدة وعلى مهل من جميع نواحيها.

والرسالة التى يجب أن تحملوها يجب أن تستمد من تاريخ أمتنا وتقاليدها ومن وضعها القومى الحاضر ومن آمالها فى مستقبلها.

إن العالم يجتاز اليوم دورا من أخطر أدواره التاريخية فهناك ساحات كفاح متعددة ووجهات نظر متضاربة فما موقف العربى اليوم؟ يقول جماعة من نحن؟ لماذا نزعج أنفسنا بالتفكير فى مستقبلنا فمستقبلنا ليس بأيدينا بل هو تابع لنتائج الحرب ونتائج الحرب ستجرفنا حيث تتجه الريح شئنا أم أبينا. إننى لا أشارك ناظرى هذه النظرة الاتكالية

الواقفين هذا الموقف السلبى. بل أعتقد أن مستقبلنا يتوقف على الموقف الذى نقره لأنفسنا وعلى الاتجاه الذى نتجهه بكوننا أمة موحدة فما نحتاج إليه اليوم هو فلسفة قومية واحدة يتفق عليها أبناء الأقطار العربية كافة، فلسفة تقودهم إلى حيث الوحدة والعزة لأمتنا العربية جمعاء. أجل فى البلاد العربية هنا وهناك تفكير قومى ولكنه غير متصل ولا شامل ولا موحد فما نحتاج إليه اليوم هو تفكير قومى مشترك بين البلاد العربية شامل لنواحى حياتنا وموحد للاتجاه. والفلسفة القومية المنتظمة التى تنشأ عن هذا التفكير هى ما تكونه رسالتكم القومية أيها الإخوان. وها أنا فيما يلى اقترح بعض المبادئ التى أرجو أن تخبروها علها لو تدرس بتوسع تكون الرسالة القومية التى أرجو أن تحملوها للأمة العربية:

(١) التوحيد:

إن للأمة العربية الفخر بنشرها مبدأ التوحيد الدينى بأصفى وأسمى معانيه. على أن لمبدأ التوحيد تطبيقات أخرى فى التفكير العملى أرجو أن تولوه عنايتكم. إن مبدأ التوحيد هذا يجب أن يعالج كل تشطير وانقسام فى التفكير فإن من أهم ما تعانيه البشرية اليوم مبدأ الانشطار، الانشطار بين الشرق والغرب، بين المادة والمعنى، بين الريف والحضر، بين المرأة والرجل، بين المذهب والمذهب، بين الشمال والجنوب، بين البلد والآخر، بين الأبيض والأسود، بين الرأسمالية والعمل، بين الغنى والفقير، بين العلم والدين، بين العلم والفلسفة، وبين العلم والفن،

بين المثالية والطبعية، بين الحرية والانضباط، بين فرع من العلم والعلم الآخر. كأن الحواجز التى تجريها هذه الانقسامات طبيعية حقيقية لا يمكن إزالتها. والواقع أن مشكلات الحياة بل ومشكلات العالم كلها تتأتى من هذه الانقسامات المصطنعة التى لا أساس لها فى عالم الحقيقة المطلقة. خذ الشرق والغرب مثلا فأين يبدأ الشرق وأين يبدأ الغرب؟ أليست هذه اعتبارات مصطنعة أوجدها الإنسان؟ ما زلت أتذكر كلمة سمعتها من زعيم الأتراك الخالد الذكر أتاتورك حين زيارتى تركية سنة ١٩٣٧ مؤداها أن ليس فى الوجود شرق ولا غرب وإنما هناك حركة وتوقف. فما دام الشرق واقفا فإنه يبقى شرقا ومتى يتحرك فإنه لن يختلف عن الغرب فى شىء. ألم يكن الشرق كالغرب والغرب كالشرق فى بعض عصور التاريخ؟ خذ التقسيمات الدينية والمذهبية مثلا فهل هى إلا مواريث اجتماعية لا دخل للأفراد فيها على الأكثر؟ أيصح أن أختلف أنا وابن وطنى المسيحى لمجرد أنه ولد من عائلة مسيحية وولدت من عائلة إسلامية ألم تأت الأديان كلها لتهدى الناس إلى خالقها؟ خذ التقسيمات بين الغنى والفقير ألم تحصل هذه إلا حين انفصل الأغنياء عن الفقراء ولم يظلوا يتصلون بهم كما لو كانوا جسما واحدا وعائلة واحدة. خذ الحرية والانضباط اين تنتهى الحرية واين يبدأ الانضباط؟ أليس لكل حرية معقولة حدود هى ما نسميه بالانضباط؟ هذه وأمثالها التى لا تعد ولا تحصى من الشقوق والانشطارات فى التفكير والعمل فى الحياة هو ما يخلق المشكلات

الخاصة والعامة. والعربى الذى حمل رسالة التوحيد الدينية إلى العالم جدير أن يحملها كاملة شاملة كل نواحى الوجود وكل نواحى التفكير فالتوحيد والترابط فى حياة الفرد وفى حياة الأمة وفى حياة البشر أجمع هو أول رسالة قومية يجب أن نتمسك بها ونعتز بها ومن فرق فليس منا.

(٢) الروحية:

القومية العربية هى فى أساسها روحية. العربى يعيش فى سبيل المعنى ويضحى بالنفس والنفيس فى سبيل المعنويات. العربى متدين مؤمن وهو فى تدينه موحد لا مفرق، دينه دين تساهل وتسامح لا تنافر وخصومة وليس معنى هذا أن العربى لا يهتم بالمادة. كلا فالمادة ضرورية لحياته إنما المادة واسطة لا غاية. وإن أهم ما يعانيه العالم اليوم فى الحقيقة هو من طغيان المادية على الروحية وفقدان الاتزان فى هذا الصدد. فقد نسى البشر الكثير من القيم الروحية الخالدة التى توصلت إليها البشرية بعد عناء طويل وانجرفوا فى تيار مادى عنيف أداهم إلى الحروب والويلات. وأرى أن من واجبات العربى القومية أن يخرج إلى العالم هاديا روحيا كما خرج من قبل. ففى استطاعة العربى أن يكون خير معلم للبشرية فى حقل الروحيات بصورة تعطى المادة حقها المعقول لا تنفيها. والشباب الجامعى الذى يتلقى العلوم الشيئية (وهى ما تدعى فى مصر بالموضوعية) فى خطر الانجراف فى تيار المادية الميكانية ما لم يتدبر أمره ويعلم أن فى الوجود من القيم الروحية الخالدة ما لا يعادله أية

مادة مهما عظمت. فأرجو لذلك أن تعتبروا الروحية من أهم ما تحويه رسالتكم القومية.

(٣) الديمقراطية:

العربي ديمقراطي بطبيعته فهو يعتز بفرديته ويعشق الحرية هو يأبى الضيم ويثور على الظلم والاستبداد. إنه لا يستطيع أن يسحق فرديته في سبيل شخص مهما عظم الشخص. فهو لا يعبد الأشخاص بل يعبد الله. ويضحي في سبيل المبادئ لا في سبيل الأشخاص. ورب معترض يقول أليس معنى الديمقراطية الفوضوية والبطء والتأخير؟ أليس معناها الانحلال الاجتماعي وفقدان المسؤولية؟ ألم ترتكب الكثير من الخطيئات باسم الديمقراطية؟ جوابي عن هذا هو أن معظم ما نشاهده من نقائص هي في الماكنة الديمقراطية وليس في الروح الديمقراطي. فإن الروح الديمقراطي شيء والماكنة الديمقراطية كما نعرفها شيء آخر، إن العالم أكثر ما يحتاج إلى الروح الديمقراطية وهو من القيم الروحية الخالدة التي توصلت إليها البشرية بعد كفاح طويل وبعد جهاد في سبيل الحرية سجله التاريخ بحروف من ذهب، أما الماكنة الديمقراطية فيمكن إعادة النظر فيها وإصلاحها في أي وقت من الأوقات. فالديمقراطية الصحيحة تتطلب نوعا خاصا بها من الانضباط ربما كان أعمق أثرا وأكثر دواما من الضبط القسري الذي يسود النظم الاستبدادية. والديمقراطية لا تترك الزعامة للرعاع كما يدعي أناس بل تتطلب زعامة حكيمة ذات رحابة في الصدر والفكر. وليس كالحياة

الجامعية دليل على أهمية الحياة الديمقراطية وحرية الفكر فى سبيل البحث عن الحقيقة. تصوروا جامعة لا يستطيع أساتذتها أن يصرحوا بآرائهم لطلابهم أو لا يستطيعون التفوه ببعض النظريات أو الآراء خشية أن تغضب بعض الجهات فما قيمة هذه الجامعة من الناحية العلمية وما حالة العلم فى جو كهذا غير ديمقراطى؟ تصوروا شاعرا أو روائيا لا يستطيع أن يعبر عن عواطفه وآرائه بصراحة وجرأة فكيف تكون حالة الفن؟ أجل إن احترام الفردية وعشق الحرية من أول ما تتمسك به القومية العربية وليس كالشاب الجامعى من يستطيع أن يقدر هذه النعمة. على أن يفهم أن الانضباط الذاتى والنظام الذى تتطلبه الديمقراطية هو الأساس فى نجاح الديمقراطية ودوامها. فالقومية العربية لذلك تتطلب الديمقراطية المعتزة بالنظام.

(٤) العدل الاجتماعى:

من أهم ما يعانيه العالم اليوم ولا سيما فى البلاد العربية فقدان العدل الاجتماعى. فمع أن الهواء والماء والتراب وما تحت التراب وما فوق التراب تستطيع بفضل العلوم الحديثة دوما أن تفى بحاجات البشر كافة بلا تكالب ولا استغلال لو يسود العالم إنصاف وبعد نظر ونظام. فالأنانية وقصر النظر تقسم الناس إلى فقراء وأغنياء كأمم وكأفراد بحيث يصبح التطاحن والتكالب أمرا محتوما. فالأمة القوية تستنزف دم الأمة الضعيفة وصاحب المعمل أو العقار يستغل الفلاح أو العامل وابن المدينة يستغل ابن الريف. فما نحتاج إليه اليوم هو العدل الاجتماعى

الذى يعترف بحاجات الأفراد ويعمل على توزيع الخيرات على الجميع على أساس القابلية والكفاية لا الحسب والنسب. فابن الريف يجب أن يحصل على الفرص التى يحصل عليها ابن المدينة وابن العامل يجب أن يحصل على الفرص التى يحصل عليها ابن صاحب العمل. وهذا التفكير الحديث هو من مقومات الروح القومى العربى كما أنه من ضروريات الديمقراطية فعلى الشباب الجامعى العربى أن يحمل رسالة العدل الاجتماعى إلى المجتمع العربى بل إلى العالم أجمع إذ بدونها لا يستقر كيان قومى ولا تقوم أمة مترابطة الأفراد بالمعنى الصحيح.

(٥) الأخلاق:

القومية العربية هى أخلاق قبل كل شىء. ولا روحيات ولا ديمقراطية ولا عدل اجتماعى بدون أخلاق فالأخلاق هى الأساس لكل المقومات التى نريدها للقومية العربية. والأخلاق العربية معروفة حين نقرأها فى كتب الأدب ولكننا طالما ننساها فى سلوكنا الفردى فى هذه الأيام. فالصدق والوفاء والشجاعة وإباء الضيم من الصفات المعروفة لدى الجميع وهى صفات يجب أن يعتز العربى بها. إلا أن العلوم الحديثة والمدنية التى جاءت بها تتطلب التأكيد على نواح جديدة من الأخلاق لا سيما فى حقل الحياة الاجتماعية المنظمة. فالمحافظة على المواعيد والتعاون والثقة المتبادلة بين الأفراد والخدمة الاجتماعية هى ما يجب غرسه من الأخلاق القويمة. ولا تكون القومية كاملة ما لم تتوفر فيها هذه الصفات. تصوروا شابا تخرج طبيبا وهو يدعى بأنه

من أكبر الدعاة للقومية كلف أن يذهب خارج العواصم حيث لا طبيب لإسعاف المرضى فإنه يتنصل من الذهاب وإن ذهب فهو شاك متذمر، ويقال الشيء عينه عن المعلم والمحامى إلى غير ذلك، فإن مبدأ الخدمة الاجتماعية ومنها إسعاف الغير يجب أن يتخذ شكلا عمليا وإلا فإن المبادئ القومية تصبح ألفاظا فارغة. وكذلك نقول فى مبدأ التعاون والثقة المتبادلة فى تكوين الشركات فبدونها لا يمكن تأمين حياة قومية جديدة. ومن الأخلاق التى يجب أن نؤكدها فى حياتنا القومية الجديدة خلق التجرد من العواطف والمصالح الذاتية. فإن من أهم ما يزحزح كيان الجسم العربى الاعتماد على المحسوبية والمنسوبية والتأثير فى المصالح العامة عن طريق العواطف والمصالح الذاتية. ومن الأخلاق التى يجب التأكيد عليها احترام العمل والاعتماد على النفس وحب المغامرة والاقتحام. هذه أخلاق ضرورية لكل نهضة قومية نريدها. والشباب الجامعى يجب أن ينشأ متحليا بكل هذه الأخلاق حاملا للأمة رسالة عملية مثالية فى الأخلاق وذلك عن طريق قيامه بمشروعات معينة فى سبيل خدمة الشعب.

(٦) التنوير العام والعلم الحديث:

لا شك فى أن رسالة العلم هى أولى رسائل القومية التى يجب أن يحملها الشباب الجامعى. فالعلم الحديث وما جاء به من ثمرات يجب أن يبث بين الناس ليقضى على الشيء الكثير من الخرافات والآراء البالية. الأمة العربية ما زال معظم أفرادها يعيشون عيشة القرون الأولى

الحديثة فى الصناعة والزراعة والتجارة. ثم إن النظام الديمقراطى لا يمكن أن يستتب ما لم يكن الشعب منورا وألا يصبح الشعب طعمة للدجالين والمشعوذين من أصحاب المصالح والاستغلال. فرسالة الشباب الجامعى إذن حمل الثقافة والتنوير إلى الشعب، تلك الثقافة المبنية على أسس الروحيات والديمقراطية والعدل الاجتماعى والأخلاق. وإن أهم ما يجب أن يتحلى به الشباب الجامعى هو حب الحقيقة والبحث عنها، والانكباب على الدرس والتتبع ليل نهار. اسمحوا لى أن أكرر ما قلته فى فرصة سابقة: إن أهم ما تمتاز به المدنية الغربية الحديثة هى روح العلم الحديث، والعلم الحديث يكاد يكون أثمن شىء فى المدنية الغربية الحديثة فعلينا أن نأخذ بالروح العلمى الحديث ونعتبر النتاج العلمى من أهم واجباتنا القومية ورسالة الشباب الجامعى إلى الأمة يجب أن تعمل على تحبيب العلم والحقيقة إلى الشعب وجعلهم يميزون بين الغث والسمين من الأفكار. كما أن واجب الشباب الجامعى يتطلب دعوة الناس إلى الاستفادة من تطبيق النتائج العلمية الحديثة على الحياة فى المنزل وفى الحقل وفى المعمل.

هذه النقاط الست: مبدأ *التوحيد، الروحية، الديمقراطية، العدل الاجتماعى، الأخلاق، الأسلوب العلمى*، كلها مترابطة ببعضها لا تنفك الواحدة عن الأخرى فهى تكون وجوها مختلفة لمهمة واحدة هى مهمة الشباب الجامعى العربى وهى رسالته. ومن المهم فى نظرى أن نرى الوحدة والترابط الموجودين بين هذه النقاط الست، فإن مصيبة

الأمة بل والعالم أجمع هى أننا لا نجمع هذه الأسس. أنا أعلم أن كثيرين يوافقوننى على بعض هذه النقاط ويهملون الباقية. فكثير من يؤمن بالعلم والأسلوب العلمى مثلا مع ابتعاده عن الروحية أو يؤمن بالعلم وبالروحية ولكنه لا يؤمن بالديمقراطية أو يسلم بكل المبادئ عدا مبدأ العدل الاجتماعى، فاسمحوا لى أن أقول إن أية رسالة قومية تهمل أية ناحية من هذه النواحى الست تبقى ناقصة عرجاء لا تريد أن تستفيد من دروس التاريخ ومن نشوء الإنسانية.

واسمحوا لى قبل أن اختتم كلمتى أن أبدى نقطتين أساسيتين:

النقطة الأولى: هى أن نعلم أن موقع أمتنا الجغرافى والتاريخى يلقى على أمتنا مسؤولية عظيمة تجاه الإنسانية ومستقبلها. فالأمة العربية التى كان لها فى تكوين حضارات العالم اليد الطولى والتى حملت رسالة التوحيد والأخلاق إلى العالم تحتاج إليها الإنسانية فى الحاضر وفى المستقبل. فهذا العالم المتلاطم شرقا وغربا يدعو العربى لينهض فيؤدى رسالة الوحدة والإخاء بين بنى البشر. وليس كالعربى من يقدر على الامتزاج بشعوب الأرض على اختلاف ألوانهم وأمزجتهم. فموقع البلاد العربية الجغرافى قد جعل العربى خير وسيط بين الشرق والغرب وبين الشمال والجنوب. فعلى الأمة العربية إذن مسؤولية عظيمة لابد أن تقوم بأعبائها وذلك بعد أن تنهض من سباتها وتنظر إلى العالم نظرة جديرة بروحها المعروفة.

والنقطة الثانية: هى المسؤولية الخطيرة التى يتحملها الشباب الجامعى اليوم فهو المسؤول عن مستقبل الأمة وهو الذى سيوجهها إلى حيث مقعدها اللائق بها بين الأمم. وكما يكون الشباب الجامعى اليوم تكون الأمة فى المستقبل. فإن كان الشباب الجامعى اليوم حاملاً رسالة التوحيد والروحية والديمقراطية والعدل الاجتماعى وروح البحث العلمى فبشر الأمة العربية بل والعالم أجمع بمستقبل باهر. هذا ما أرجو أن تحققوه.

والسلام عليكم ورحمة الله.

الاتحاد العربي في عالم اليوم

سادتي الأماجد:

لقد شرفتني إدارة جمعية الاتحاد العربي بالدعوة للتحدث إليكم في هذا الاجتماع، وأود أن أصرح بأني شعرت حين كلفت بشيء من الحرج في التحدث أمام حفل يضم أناساً هم أجدر مني بتناول هذا الموضوع وأقدر مني على معالجته. ولكن أمراً واحداً يشفع لي في قبول هذه الدعوة الكريمة، وهذا الأمر هو أني أمثل بلداً كان ولا يزال من أول الدعاة للاتحاد بين الأقطار العربية وتوثيق عرى الأخوة بين الشعوب الناطقة بالضاد. كيف لا وقد نشأ هذا البلد من أول نهضته الحديثة مشرباً بروح الحسين بن علي رضوان الله عليه وأولاده وأتباعه الأشاوس الذين أذكوا نيران الثورة العربية الكبرى في الحرب العالمية الأولى، تلك الثورة التي كانت أول تعبير صادق عما تكنه الأمة العربية على اختلاف أقطارها من نزعة للحرية والاستقلال وتحقيق الاتحاد.

سادتي: إنه لمن دواعي السرور أن تثمر تلك الثورة العربية المباركة - ولو بعد حين - ما أثمرت، وبشكل لم يكن زعماء الثورة قد تصوروه أو قصدوه، وأن نشاهد أن الاتحاد العربي قد أصبح حقيقة

واقعة ملموسة؛ فما اجتماع الملوك والرؤساء والأمراء فى زهراء أنشاص بدعوة من جلالة الملك فاروق ــ أيده الله ــ فى الربيع الماضى إلا دليل ساطع على حقيقة تحقق الاتحاد؛ وما وجود الجامعة العربية إلا ثمرة من ثماره وما موقف الدول العربية صفاً واحداً فى اجتماعات هيئة الأمم المتحدة فى سان فرانسيسكو ولندن ونيويورك ونجاح مصر وسوريا فى الانتخابات فى مجلس الأمن ولبنان للمجلس الاقتصادى والاجتماعى إلا ظاهرة من ظاهرات الاتحاد، وما موقف البلاد العربية من أدناها إلى أقصاها للدفاع باستمرار عن سوريا ولبنان فيما مضى، وعن فلسطين وليبيا والبلاد العربية الأخرى المهضومة الحقوق إلا برهان قاطع على تحقق الاتحاد.

أجل أيها السادة ــ لقد خطونا ولله الحمد فى سبيل الاتحاد خطوات واسعة مباركة، ولكننا ما زلنا فى مفتتح الطريق، فما علينا إلا أن نجد فى السير وأن نعمل بهمة لا تعرف الملل فى سبيل بلوغ أمانينا القومية كاملة غير منقوصة، ولربما كانت أول مهمة من مهام المشتغلين فى شئون الاتحاد العربى هى تحديد أهدافهم وتعيين مراميهم. إن ما يستهدفه الاتحاد يا سادة هو إيجاد التعاون الفعلى فى الشئون السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية بين أبناء البلاد العربية من الدار البيضاء إلى البصرة، وذلك لما بين هذه البلاد من روابط اللغة والثقافة والتاريخ والجغرافيا والمثل العليا والشعور المشترك فى الآلام والآمال. ولعل من حسن الطالع أن استعملت كلمة الاتحاد فى هذه المرحلة

التاريخية التى نجتازها اليوم بدل الوحدة. فإن اتساع البلاد العربية وما بينها من تنوع فى الظروف والأحوال الاجتماعية يجعل الوحدة غير قابلة المنال اليوم. وللاعتراف بذاتية كل إقليم من الأقاليم العربية مع ضمان اتحادها فائدة كبرى إذ أنها تزيد فى نشاط الإنتاج المحلى فى الثروة المادية والفكرية، على شرط أن لا تصبح هذه الذاتية المستقلة أنانية سلبية. فروح الإخاء والإيثار والتعاون يجب أن تسمو فى العلاقات بين الأقطار العربية على الاعتبارات الشخصية والمحلية.

والحقيقة هى أن فى الاتحاد حياتنا جميعاً فى عالم اليوم الذى أصبحت فيه الدول الصغرى الضعيفة مضطرة لأن تعيش فى كنف دولة من الدول الكبرى وأن وسائط النقل الحديثة قد قلصت المسافات الشاسعة بين الأقطار بحيث أصبحت حياة العزلة والانعزال مستحيلة تقريباً. فما قولكم يا سادة فى مجيئى من بغداد إلى القاهرة فى خمس ساعات؟ فقد تغديت فى بغداد ظهراً، وتناولت الشاى فى القاهرة قبل المساء بعد أن كانت المسافة تستغرق نحو الشهر بحراً. لا شك فى أن سهولة الانتقال بين البلاد العربية من أهم دواعى الاتحاد، كما أنه من أهم العوامل المؤدية إليه فيما لو استفدنا منه الاستفادة الإيجابية الكاملة؛ ومن الواضح جداً أن كلا من الدول العربية فى حد ذاتها لا تحمل وزناً ثقيلا فى عالم اليوم، حتى إننى لا أبالغ إذا قلت إن وزن كل منا متفرقين ليقاس بوزن الريشة، ولكننا كاتحاد عربى لنا وزننا ولنا مقامنا الدولى المرموق. تخطب ودنا وتحسب حسابنا الدول الكبرى على

اختلاف مشاربها لا سيما أن البلاد العربية تشغل موقعاً جغرافياً هو على غاية من الأهمية بالنسبة لمواصلات العالم وللعلاقات السياسية بين الدول الكبرى.

واسمحوا لى أن أشير إلى أهمية الاتحاد من الناحيتين السلبية والإيجابية. أما من الناحية السلبية فالاتحاد قوة دفاعية ندافع بها عن أنفسنا بدرجة أقوى وأفعل مما لو كان كل قطر لوحده، فهنا تصدق وصية الأعرابى لأولاده حين أوصاهم:

كونوا جميعاً يا بنى إذا اعترى خطب ولا تتفرقوا أفرادا
تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسراً وإن افترقن تكسرت آحادا

وأما من الناحية الإيجابية فأود أن أشير إلى حقيقة واقعية فى علم الاجتماع مقتبسة من مذهب حديث فى علم النفس يدعى بمذهب «كشتالت» أو مذهب الهيئة، وخلاصة هذا المذهب هو أن الكل أكبر من مجموع أجزائه، فالإنسان مثلاً هو ليس مجموعة عظام ولحم ودم وأعصاب لو جمعتها مع بعضها صارت إنساناً، إنما هو بوحدته وكيانه التام أكبر من ذلك. ففيه ـ وهو فى هيئته الكاملة ـ روح لا وجود لها فى الأجزاء المنقطعة. وإن الأربعة أكثر من اثنين زائدا اثنين فللأربعة خصائص لا توجد فى اثنين زائداً اثنين لو كانا منفصلين، وللخمسة مزايا لا توجد فى اثنين زائداً ثلاثة لو كانا منفصلين عن بعضهما. فالهيئة العامة للكل لها مزايا وخصائص لا توجد فى الأجزاء متقطعة.

إذن فللاتحاد العربى فى هيئته العامة من القوة والخصائص المادية والمعنوية ما كانت تضيع لو انفصلت البلاد العربية عن بعضها. وفى الحقيقة فإن البلاد العربية مكملة بعضها بعضاً فى المزايا الجغرافية والاقتصادية والروحية والفكرية. وفى المجموعة العربية من الثروة الروحية والمادية من أهمية جغرافية وسياسية ما يجعلها فى مقدمة الأمم حظاً ومقاماً.

والآن يا سادة يجدر بنا أن نلقى نظرة عاجلة على أزمات عالم اليوم لنرى أين يقف الاتحاد العربى من عالم اليوم. إن أول أزمة يلحظها الفاحص لأحوال عالم اليوم هو ازدياد القوة التى يسخرها البشر وتعاظمها تعاظماً لا يقبل القياس حتى مع الماضى القريب، فتسخير الطاقة الذرية واستخدام سرعة الصواريخ وما إلى هناك من مكتشفات العلم الحديث جعل بيد الإنسان قوة لا حد لها. وهذه القوة الهائلة فى وسعها أن تقضى على البشرية قضاء مبرماً كما أن فى وسعها أن تجلب للبشرية خيراً ورفاهية لا حد لهما. لقد سخر الإنسان العلم تسخيراً وجعله طوع إرادته فهل يصبح العلم ناراً تحرق كل البشرية وتقضى بالفناء المحتم أم نوراً يهدى سواء السبيل إلى حيث الخير والسعادة للجميع؟ لا شك فى أن البشرية على مفترق الطرق اليوم، فهى سائرة: إما فى طريق الانتحار حيث لا رجعة ولا أمل وإما إلى حياة موفورة لبنى البشر جميعاً بقطع النظر عن أجناسهم وأديانهم ومواقعهم الجغرافية. إن الاتحاد العربى يا سادة يمثل شعوباً آخذة باليقظة والتنبه لم تأخذ نصيبها

الوافى من العلم الحديث بعد، ولم تملك ناصية هذه القوة غير المحدودة بعد، ولكنها يجب أن تصبح من الآن عاملا مساهماً فى تخطيط الطريق الذى ستسلكه البشرية لا سيما والعلم يطبق فى بلادنا بشكل واسع كما يحدث فى استخراج النفط وفى استخدام الطيران.

ومن أزمات عالم اليوم اضطراب العقائد واختلال الموازين التى بها تقاس القيم الإنسانية، فهناك مذاهب يمينية تتطرف فى التمسك بأساليب ومقاييس إنسانية مبنية على نظرية «الصفوة المختارة» من البشر كأن يدعوا أن لبعض طبقات الناس فى الأمة الواحدة أو لبعض الأمم من أمم الأرض أو لبعض المذاهب أو الأديان مزايا ممتازة وحقوقاً موروثة يجب أن تتمتع بها، وأن على طبقات الشعب الأخرى أو أبناء المذاهب الأخرى أن تصبح خادمة خاضعة لأبناء تلك الطبقة أو الأمة أو المذهب.

إن هذه المعتقدات الاجتماعية اليمينية لا تزال منتشرة فى كثير من أنحاء العالم. وبلاد الاتحاد العربى تحوى كثيرين ممن يحملون هذه المعتقدات، وكرد فعل للتطرف فى هذه المعتقدات أخذت تسود العالم مذاهب يسارية متطرفة تعمل على هدم القيم الروحية والاجتماعية الموروثة لتحل محلها قيما جديدة، وذلك لا عن طريق العاطفة الأخوية الصادقة أو المنطق السليم والفكر الحر، وإنما عن طريق حرب الطبقات بإحلال البغضاء بين أفراد الشعب الواحد وتنظيم الاضطرابات والمظاهرات وتعطيل الأعمال وإراقة الدماء. وهناك بين الطريقين المار

ذكرهما، أعنى طريق اليمين وطريق اليسار، طريق الوسط وهو الطريق الثالث الذى يقضى على ما فى اليمين من تفكير متحجر فيعتبر البشر كلهم أخوة وأن للجميع حقوقاً متساوية فى الحصول على فرص متساوية فى هذه الحياة فلا ميزة لابن الوزير على ابن الفلاح ولا لابن التاجر على ابن العامل، فيجب أن يتمتع الجميع بمستوى من الحياة الموفورة يشتمل على حق بالعمل وحق بالأكل واللبس والسكن والعناية الصحية والثقافية ووسائل التسلية الرفيعة مع شيء واف من الضمان الاجتماعى بحيث لا يهبط مستوى الحياة إلى مستوى لا يليق بكرامة الإنسانية. كل ذلك بطريقة استفزاز الكرامة الإنسانية واستخدام الفكر آلة من آلات توجيه السلوك البشرى إلى ما فيه الخير العام عن طريق الثقافة الصحية والتوجيه الإصلاحى بنشوء مطرد لا بالطفرة أو الثورة. إن الذين يسلكون الطريق اليمينى الأول طريق الإثراء والمصالح الخاصة آخذون بالهزيمة فى عالم اليوم، فعالم اليوم يتجه بصورة لا تقبل الشكل إلى إزالة الامتيازات الموروثة والقضاء على النظم التى تسمح باستغلال طبقة لطبقة أو أمة لأمة. ويبقى فى ميدان عالم اليوم سباق بين اليساريين المتطرفين الذين يؤمنون بهدم القيم وحرب الطبقات، وبين أصحاب الطريق الثالث طريق الوسط طريق الإصلاح الاجتماعى الذى يؤدى إلى الاعتراف بحرمة الإنسان والتسليم بالقيم الاجتماعية السامية. وإن العالم العربى اليوم يواجه هذه الأزمة فعليه أن يختار إحدى هذه الطرق الثلاث. وإنا لنرجو من صميم القلب أن يختار

الطريق الوسط فيعمل أولا للقضاء على الجمود المستحوذ علينا فى حركة الإصلاح الاجتماعى . وعدم السماح باستمرار الاستغلال الطبقي، ثم أن يسير بنا مسرعا فى طريق الإصلاح المنشود لرفع مستوى حياة أفراد الشعب، وإلا فسنخسر السباق ونسمح للتطرف والهدم بأن يسودا بين ظهرانينا. ومما يزيد الطين بلة هو أن هذه الأزمة الاجتماعية العالمية اتخذت قوالب واتجاهات معينة ليس فى السياسة الداخلية فحسب وإنما فى السياسة الخارجية حيث أصبحت بعض المعسكرات الدولية تختار هذا الطريق وأخرى ذلك. وفى نظرى أن دول الاتحاد العربى يجب أن يكون هدفها واضحا فلا تسمح للاعتبارات السياسية الخارجية أن تتدخل فتؤثر على اختيار الطريق الذى تريد السير فيه، وأن تقاوم كل دعاية أجنبية أو تدخل أجنبى يعملان للتأثير على الاتجاهات الاجتماعية التى نريد أن نتخذها لأنفسنا.

ومن الأزمات التى يعانيها عالم اليوم أزمة القيم الأخلاقية، فإن الاضطراب فى العقائد والمذاهب الاجتماعية قد ولد اضطراباً فى الأخلاق فطغت الأنانية وعمت الفوضى الأخلاقية وأصبح الحق ضائعاً والضمير مريضا ولذلك انتشر الكذب والرياء والدعايات المغرضة كما استرخصت الكرامات وأصبحت الأغراض المادية التافهة تحل محل عزة النفس والكرامة الشخصية والقومية. لا عجب إذا ما أنتجت هذه الفوضى الأخلاقية مشكلات فى السياسة فهناك عدم اطمئنان متقابل بين الدول وخوف الدول الواحدة من الأخرى من الاستيلاء أو

الاعتداء وعدم الاعتماد على العهود والمواثيق، الأمر الذى يفقد العالم استقراره ويجعل حبل السلم دائم الاضطراب. وفضلا عن الخوف المؤدى إلى عدم استقرار هناك الطمع وحب التضخم الذى تبتلى به بعض الدول فيؤدى إلى السيطرة على الأمم الضعيفة والمتأخرة، وقد أدى هذا فى بعض الأمم إلى القيام بأعمال من القسوة والوحشية فى معاملة بنى الإنسان ما تكون دونها الأعمال الحيوانية بمراحل. والاتحاد العربى فى هذا العالم المتلاطم بالمشكلات الأخلاقية يجب أن يعمل على تشييد بناء أخلاقى جديد يسمو فيه المعنى ويعزز فيه الخلق الإنسانى العالى الذى يؤسس على الشعور بأولوية الحق وحساسية الضمير بحيث يرتفع الإنسان فوق المستوى الحيوانى فيتخلص من القسوة والاعتداء نهائيا. وما أحوج شعوب الاتحاد العربى اليوم إلى هذا البناء الأخلاقى الجديد، فلو حللنا معظم عللنا وأوصابنا الداخلية والخارجية لوجدناها مسببة عن أمراض خلقية بالدرجة الأولى، وقد يكون فى مقدمة ما نحتاج إليه فى البناء الأخلاقى الجديد المقدرة على ضبط النفس وكبت العواطف الجامحة والخضوع إلى نظام تعاونى عام مؤسس على الشعور بالاجتماعية والغيرية وعلى الاعتقاد بأن الإنسان لا يعيش لنفسه ولوحده بل إنه يعيش فى أمة، بل وفى الإنسانية على سعتها وشمولها.

ومن الأزمات التى يعانيها العالم اليوم أزمة الحرية، والحرية من الكلمات النسبية التى قد يساء فهمها كما يساء استعمالها، فهى من

جهة قد تفسر بالإباحية والاستهتار بالآداب والقوانين. والحرية بهذا المعنى تصبح من الأمراض الاجتماعية، وإزاء ذلك قد تقيد الحرية بدرجة يمنع فيها كل إعراب عما تكنه النفس من مواهب فنية أو أفكار إبداعية أو أعمال إيجابية. إن بين الإباحية والعبودية مرحلة وسطى من الحرية يمارس بموجبها الفرد كل ما يحمله من إمكانيات فكرية وفنية على ضوء الحقائق العلمية والمصلحة الاجتماعية العامة. وفى الحقيقة فإن الحرية هى أكبر ميزة تمتاز بها الإنسانية عن الحيوانية وهى أعظم مظهر من مظاهر الكرامة الإنسانية إنها تتطلب بلغة كبيرة من رحابة الصدر والفكر يجب أن يتحلى بها كل فرد ولا يجوز أن تضيق الصدور لأى تصرف جديد أو اقتراح جديد أو فكر جديد جاء كنتيجة لممارسة الحرية، فبالحرية تنمو الثقافة الإنسانية وبها تتطور الحضارات وبخنقها يحل الجمود وتقوم الثورات والاضطرابات، ولا تزال معظم أصقاع معالم اليوم محرومة من نوع أو أكثر من أنواع الحرية، فهناك إذن «أزمة حرّية» فى عالم اليوم. والحرية السياسية المقيدة بالمصلحة الوطنية العامة يجب أن تكون فى مقدمة الحريات التى نرجو أن تنشر فى بلاد الاتحاد العربى كافة، كما أن حريات أخرى كحرية العبادة وحرية الإفصاح عن الرأى والتحرر من الخوف والتحرر من العوز يجب أن تصبح من أهم ما تستهدفه بلاد الاتحاد العربى.

إزاء هذه الأزمات فى عالم اليوم قد يقف الإنسان حائراً وقد يعتريه اليأس والتشاؤم من مستقبل الإنسانية، ولذلك فقد يرجع الإنسان إلى

نفسه كئيباً ويتساءل ما هذه الحياة؟ أليست هى عبارة عن تكالب وحروب وجوع وفقر وتعصب ومرض وتعطّل وعدم استقرار تحيط بنا من كل صوب وحدب فما هو الأمل؟ ولِمَ السعى والاجتهاد؟ الجواب على ذلك أننا نعيش فى ظلام ليل المدنية الغربية ولا بد أن يعقب هذا الظلام صبح، وأننا على أبواب مدنية تخلف هذه المدنية، مدنية تسود فيها الحرية والحياة الموفورة لكل إنسان فلا جوع ولا مرض ولا تكالب ولا تطاحن بل هناك عمل وحياة مرفهة لكل إنسان فى عالم يسوده الحق والخير والعدل، عالم تغمره قلوب عامرة بالإيمان بالله والإخوة بين الإنسان وبكرامة الإنسان. وإننا لنرجو أن يكون الاتحاد العربى من أقوى العوامل فى خلق هذه المدنية الجديدة. لا تزال البشرية فى دور التجارب والمحن تريد الخروج من هذا الظلام والوصول إلى النور؛ وما ميثاق الأمم المتحدة إلا محاولة من المحاولات التى تقوم بها البشرية لتنظيم هذا العالم الجديد، وما اتحادنا العربى الممثل فى الجامعة العربية إلا ركن منيع من أركان الأمم المتحدة تعمل على تحقيق أهدافها ومبادئها فى منطقة هى أكثر مناطق الأرض إمكانية واحتمالاً لإنقاذ البشرية من ويلات الحروب وفوضى المعتقدات أو لإشعالها حرباً ضروساً تحرق الأخضر واليابس. فإن نجحت هذه المحاولات ـ ونرجو أن تنجح ـ فنعم ما يحصل وإلا فلا بد من استمرار البشرية على القيام بالتجارب والمحاولات حتى تمتلئ الأرض بالإيمان والحق والعدل والسلام.

المشروع العراقى الخاص بالاتحاد العربى* المقدم لجامعة الدول العربية : جانفى ١٩٥٤

سيدي الرئيس.. إخواني الأعزاء

الأمة العربية تكافح فى سبيل أمرين : التحرير والتوحيد. ولا شك فى أن الشعوب العربية ابتليت بأوضاع سياسية ليست هى مسئولة عنها وإنما هى وليدة عصور من التأخر والاستعمار.

لو نظرنا إلى ما هنالك من حواجز وسدود وجدران قائمة بين البلاد العربية وتساءلنا من وضع هذه الحواجز والسدود ولأجل من وضعت، لوجدنا أن الذى وضعها ليس العرب أنفسهم، ولا لمصلحتهم. لذلك فالعرب أمامهم مرحلة قومية طويلة من الكفاح فى سبيل تحرير أنفسهم ودك هذه الحواجز وإزالتها من أسسها.

سادتى، كلنا نشعر بهذا الأمر ونسلم به ولكننا تجاه أوضاع قائمة وحالات سياسية تؤخر سيرنا فى سبيل دك هذه الجدران وإزالة الحواجز.

---

* قدم لمجلس جامعة الدول العربية المنعقد فى القاهرة (جانفى) كانون الثانى ١٩٥٤.

عندما أسست الجامعة كان يؤمل أن تفعل الشيء الكثير فى هذه السبيل ولكن الجامعة بداية وليست نهاية. فأمامنا طريق طويل وشاق نسير فيه قبل الوصول للاتحاد. أذكر أنى منذ عام وبضعة أشهر أخذت أربع تأشيرات وأوقفت ست مرات فى بلاد أعدها بلادى بين بغداد والقاهرة.. هناك إذن حواجز أقامها الاستعمار.

سادتى: الأخطار المحيطة بالبلاد العربية والخطر الصهيونى فى مقدمتها لا تجابه بجيوش ودويلات عديدة ولكن تجابه الفئة الصهيونية بجسم موحد وروح موحدة وجيش موحد.

سادتى: العراق ومصر وباقى البلاد العربية أعربت وتعرب عن شعورها العميق بضرورة ملافاة هذه الأوضاع ولكننا فيما مضى وبعد تأسيس الجامعة لم نتخذ خطوات تستحق الذكر فى هذا السبيل حتى كنا نسمع بعض الأحيان أن الدعوة إلى الاتحاد تهدف إلى حل الجامعة مع أن المادة التاسعة من الميثاق تدعو إلى زيادة الارتباط. وقيل فيما مضى إن أى اتحاد وأية دعوة إلى الاتحاد تعنى إخلال توازن القوى بين الدول العربية كأن العرب شعوب أجنبية عن بعضها يجب أن يكون بينها توازن. هذا ما مضى. وقيل أيضا إن الاتحاد يغذى أو يخدم المصلحة الفلانية التى لا تمت إلى المصلحة القومية العربية بصلة.

سادتى: هذا ما مضى وهذا ما كابد من أجله العرب الأمرين وهذا ما أدى إلى ضياع فلسطين وسيؤدى بنا إلى كوارث أخرى ما لم نعد للأمر عدته وما لم نبدأ بالتقارب فيما بيننا.

سادتى: هنالك بعض المتحمسين للقومية الذين يريدون أن تتحد الدول العربية كلها دفعة واحدة. وهذه أمنية غالية كنا نتمنى إمكان تحقيقها ولكن لا يمكن أن تتحد الدول العربية دفعة واحدة بل يمكن البدء بدولتين ثم تنضم إليهما ثالثة وهكذا حتى تنضم الدول العربية جميعا. لا يجوز أن يقال إن توحيد دولتين عمل موجه ضد الجامعة. معاذ الله، هذا ما وجدت الجامعة من أجل تحقيقه.

لذلك سادتى، المشروع الذى وضعه الوفد العراقى مبنى على الاعتراف بالحقيقة الواقعة التى تتطلب التدرج فى السير وتعترف باحتمال عدم إمكان سير الكل بالاتحاد. ولكن يجب أن يعتنق الكل ضرورة الاتحاد وأن يعمل له. يجب أن يكون هذا الاتحاد اتحاد الدول الحرة الديمقراطية التى تريد أن تتحد. هناك بلاد تريد الاتحاد وتستطيع فيجب أن تفعل ذلك لخير المجموعة العربية. والنقط الأساسية فى الاقتراح هى الاتحاد فى الدفاع والسياسة الخارجية والاقتصاد. هذه أمور يجب أن يتفق عليها الراغبون فى الاتحاد يضاف إليها أمور تضاف إلى دستور الاتحاد. وهذا الدستور يستوجب تعديل الدساتير فى البلاد العربية. أعتقد أن الوفد العراقى يقدم دعوة متواضعة واقتراحا متواضعا ما هو إلا خطوة تليها خطوات. كان تأسيس الجامعة إحداها من حيث السير بالأمة العربية نحو الوحدة ونحو القوة.

وهناك من يتساءل هل يمكن للدول العربية أن تتحد فى ناحية واحدة؟ هذا ممكن مثلا أن تتحد عسكريا أو اقتصادياً أو فى السياسة الخارجية. هذا ممكن أيضا.

الوفد العراقى يرجو أن تقر اللجنة السياسية ومجلس الجامعة مبدأ الوحدة ذاتها وإنها إذ تقره ترفع النور الأخضر أمام السير فى سبيل الاتحاد حتى لا يتوقف السير لأن الاتحاد يراد به خدمة الفكرة التى من أجلها أسست الجامعة.

أتقدم بإخلاص وإيمان مستفزا إخلاصكم لأن نعمل جميعا من أجل الاتحاد وأن نسير السير الحثيث فى سبيل الاتحاد الذى يتطلبه الوضع الداخلى والخارجى.

الاتحاد سيقوى ضعيفنا ويزيد قوينا قوة على قوته. إنه ليس خطرا إلا على الأعداء. أرجو أن تنظر اللجنة فى هذا الاقتراح برحابة صدر على أن تأخذه كل دولة عضو بعين الاعتبار وتتصل بمن تشاء فى الدول الأخرى العربية لتوحيد شئونها وذلك بالإضافة إلى الجامعة العربية وما تقوم به من تعاون فى حدود ميثاقها. فقد لا تستطيع كل الدول العربية أن تجمع على أمر فى نطاق ميثاق الجامعة ولكن إذا تم الاتحاد فلن تقف فى سبيلنا عقبة. وعليه فإن للاقتراح العراقى وجهين: إيجابى وسلبى. أما الايجابى فدعوة المجلس للسير فى سبيل الاتحاد. وأما السلبى فالعراق يرجو مخلصا أن لا تفكر الدول الأعضاء أن الغرض من الاتحاد تشوبه شائبة وأنه أنانى أو فيه مصلحة خاصة. إنما نحن نريد المصلحة العليا.

بهذه الروح يتقدم الوفد العراقى بهذا المشرع ويرجو أن تقروه.

نص اقتراح الوفد العراقى

يهدى الوفد العراقى لجامعة الدول العربى تحياته إلى الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ويرجو إبلاغ المذكرة الآتية إلى الدول الأعضاء لبحثها.

ليس بخاف أن سياسة العراق القومية كانت وما زالت تهدف دائما إلى وحدة العرب وجمع كلمتهم وقد أعلنت الحكومة العراقية فى خطاب العرش بتاريخ ١ كانون الأول سنة ١٩٥٣ (بأن السبيل الوحيد لإنقاذ العرب من محنتهم ومجابهة الخطر الإسرائيلى وإقرار السلم فى هذا القسم الحيوى من العالم هو تحقيق الاتحاد العربى وهى ماضية فى هذه الخطة...) . وقد لاحظت الحكومة العراقية بسرور وابتهاج ما رددته مصر الشقيقة بلسان رئيسها ورجال حكومتها من الرغبة الصادقة فى اتحاد البلاد العربية. وقد بدت مثل هذه الرغبة فى فترات متفاوتة من قبل رؤساء حكومات الدول العربية الأخرى.

وقد رأى الوفد العراقى تحقيقا لسياسته واستجابة للرغبة الكريمة التى ترددت فى مصر والبلاد العربية الأخرى تقديم المذكرة التالية. وقد حرص على أن تكون إجمالية مختصرة مؤثرا إرجاء التفصيل الضرورى إلى المفاوضات المرجوة حين قبوله والشروع فى تنفيذه.

ـ أ ـ

١ ـ لم يعد اتحاد الشعوب العربية خيالا يداعب مخيلة المعنيين بالمثل العليا بل أصبح ضرورة قومية لازمة للأمة العربية كافة يتوقف عليها وجودها كما تتوقف عليه فى الوقت نفسه القدرة الأكيدة على درء الأخطار التى تحدق بالأمة العربية وحل المشكلات التى تواجهها.

٢ ـ وإذا ما سلمنا بتلكم الحقائق وأدركنا الخطر الداهم الذى يهدد الكيان العربى فواجب محتوم على الدول العربية أن تبادر إلى الأخذ عمليا بمبدأ الاتحاد مع تقدير احتمال أنها لا تستطيع كلها مجتمعة وبسرعة واحدة السير فى طريق الاتحاد وذلك لعوامل واعتبارات جغرافية وداخلية واجتماعية موقوتة تخص كل قطر من الأقطار العربية.

٣ ـ إن القول بضرورة السير الإجماعى نحو الإتحاد المنشود بسرعة واحدة من قبل الدول أعضاء الجامعة كلهم قد أخر قضية الاتحاد العربى التى يهدف إليها ميثاق جامعة الدول العربية.

٤ ـ وعليه فان الواجب على الدول ذات الممكنات الراهنة لتحقيق الاتحاد أن تشرع فورا وأن تمضى قدما لتحقيقه على أن تساعدها الدول الأخرى ريثما تستطيع بدورها الانضمام إلى هذا الاتحاد بصورة طبيعية.

٥ ـ لا شك في أن أى اتحاد يتم بين دولة وأكثر يجب أن ينبعث عن قناعة شعوب تلك البلاد وحكوماتها بما تمليه وحدة المصالح والأهداف ولا يجوز السير بالاتحاد على أسس غير ديمقراطية ونحن مطمئنون إلى أن شعوب الدول العربية سائرة عاجلا أم آجلا نحو هذه الغاية.

ـ ب ـ

١ ـ تجرى مفاوضات بين الدول التى تستطيع وتريد الدخول فى الاتحاد على الأسس التى يرغب فى إنشاء الاتحاد عليها. وبعد التوصل إلى اتفاق فى هذا الخصوص تحاط جامعة الدول العربية علما بذلك وهى بدورها تحيط الدول الأعضاء علما بذلك.

٢ ـ تشرع الدول الراغبة فى الاتحاد فى سن دستور للاتحاد يعرض على برلماناتها ثم تعدل دساتيرها على هذا الأساس.

٣ ـ يستهدف الدستور الاتحادى وحدة السياسة الخارجية والدفاع والشئون الاقتصادية المشتركة وغير ذلك مما يتفق عليه المتفاوضون وينص الدستور على الأداة الاشتراعية والتنفيذية للاتحاد.

ـ جـ ـ

إن العراق ليعرب عن استعداده للدخول فى الاتحاد مع أى قطر من الأقطار العربية الراغبة فيه ويرجو مخلصا أن يلقى من لدن الأعضاء مثل الرغبة التى يحسها ويعمل لتحقيقها.

- د -

وإلى أن تنتمى جميع الدول الأعضاء فى الجامعة العربية إلى الاتحاد فإن الجامعة العربية تظل أداة تعمل لارتباط المجموعة العربية الكبرى بعضها ببعض.

وينتهز الوفد العراقى هذه الفرصة ليعرب للأمانة العامة عن فائق احترامه وتقديره.

استجواب حول منشأ
جامعة الدولة العربية

س: من كان فى رأيكم يقف وراء تأسيس جامعة الدول العربية؟

ج: إن القوميين العرب جاهدوا واستشهدوا من الحرب العالمية الأولى إلى الحرب العالمية الثانية من أجل تحرير البلاد العربية واتحادها. فقد كان المغفور له فيصل الأول مؤسس الدولة العراقية قطب الرحى فى الكفاح والدعوة. وكان يسير على هديه رجال الفكر القومى فى كل من سورية والعراق والعديد من أبناء الأقطار العربية الأخرى وبعد استقلال العراق بدأ الملك فيصل (رحمه الله) بالعمل الجدّى على نشر الدعوة القومية وسار على نهجه تلاميذه وأعوانه ممن تقلدوا رئاسة الوزارة العراقية من أمثال: نورى السعيد وياسين الهاشمى وعلى جودة الأيوبى وجميل المدفعى والعشرات من زملائهم. كما قامت وزرارة المعارف العراقية بتوجيه من الأستاذ ساطع الحصرى وسامى شوكه ومحمد فاضل الجمالى بترسيخ فكرة القومية العربية فى نفوس الناشئة مستعينين بالمئات من الأساتذة من الأقطار العربية الشقيقة. وقامت وزارة المعارف ولا سيما فى عهد المغفور له ياسين الهاشمى باستقدام كبار الأساتذة وقادة الفكر من مصر الى العراق للعمل فيه والعودة لتنشيط حركة الفكر القومى فى مصر.

وفى بداية الحرب العالمية الثانية وبعد ثورة السيد رشيد عالى الكيلانى ١٩٤١ أصبح السيد نورى السعيد وزير العراق المفوض فى القاهرة. وكانت القاهرة يومئذ مركز المجهود الحربى البريطانى فى الشرق الأوسط. وفى سنة ١٩٤٣ تقدم السيد نورى وهو من تلاميذ فيصل الأول المخلصين بـ «الكتاب الأزرق» إلى وزير الدولة البريطانى فى القاهرة المستر كيسى والكتاب الأزرق هذا يدعو إلى توحيد الهلال الخصيب (العراق. سورية. لبنان. الأردن. فلسطين) ولكن هذا المشروع لم ير النور لعدم تأييد بريطانية إياه على ما نعتقد. ولكن الانكليز بدورهم أعربوا على لسان وزير الخارجية المستر إيدن ترحيبهم بأى مسعى يقوم به العرب فى سبيل الاتحاد. وعلى أثر ذلك قام السيد نورى السعيد بإقناع النحاس باشا بفكرة تأسيس جامعة الدول العربية (علمت بذلك من صديقى المرحوم محمود فهمى النقراشى باشا). فبدأت المساعى فى هذا السبيل ووضع اتفاق الإسكندرية ١٩٤٤ الذى صيغ على ضوئه ميثاق جامعة الدول العربية التى ضمت سبع دول عربية وضمنت مقعدا لفلسطين ١٩٤٥. فالجامعة العربية هى ثمرة الفكر القومى العربى من أجل تحرير البلاد العربية وتوحيدها.

س: هل كان الأمين العام الأول للجامعة يتصرف باعتبار وظيفته هذه أم كان يحاول أن يعطى للجامعة دوراً كبيراً؟

ج: الأمين العام الأول لجامعة الدول العربية المغفور له عبد الرحمن عزام باشا من رجال القومية العربية المعروفين وهو مجاهد عربى أصيل. ولقد رشحه لهذا المنصب المرحوم السيد نورى السعيد (ولدى رسالة من

السيد نورى السعيد إليه يذكره بذلك) إنه كان نشيطا ومتحمساً فى سبل القضايا القومية ولكن حماسه واندفاعه بوصفه شخصية قومية مرموقة كان ينسيه أحياناً بأنه موظف مسئول أمام حكومات عربية لكل منها سياستها الخاصة (أحياناً) وهى بدورها مسئولة أمام شعوبها أو برلماناتها.

س: ما هو دور الأمين العام فى المحاور العربية التى كانت قائمة ؟

ج: المحاور العربية (إذا أجاز استعمال هذا التعبير) يتلخص واقعها فى التنافس أو التنابذ أحياناً بين الدول أعضاء الجامعة على أساس العلاقات التاريخية بين العائلتين الهاشمية والسعودية أو على أساس فكرة زعامة مصر على العالم العربى. ولم يكن للأمين العام أى دخل مباشر فى تلك المحاور على ما أعلم. مع أن الجامعة العربية أصبحت (فى نظر البعض) شعبة من وزراء الخارجية المصرية بفضل سياسة الأمين العام وهيمنة مصر على سياسة بعض الدول الأعضاء فى الجامعة أحياناً.

س: قصة خلافكم مع الأمين العام عزام باشا ؟

ج: إنى أحمل للمغفور له عزام باشا كل تقدير واحترام بوصفه من رجال القومية العربية المخلصين ولكونه مسلما صادقا فى إسلامه ولم أختلف معه فى أمر جوهرى إلا حين تدخل فى سورية ناصحاً حسنى الزعيم بعدم السير فى سبيل الاتحاد مع العراق. ولما كنت من المتحمسين جداً للاتحاد دخلت معه فى صراع مكشوف حول تصرفاته

كأمين عام لجامعة الدول العربية. وكنت من الداعين إلى إقالته بعد قيام الثورة المصرية ١٩٥٢ ورشحت الأستاذ عبد الخالق حسونة ليحل محله.

س: ما هو تقييمكم لما قامت به الجامعة على المستوى السياسى؟

ج: لقد قامت دول الجامعة بدور إيجابى مشكور فى الأمم المتحدة فى سبيل تحرير معظم الأقطار العربية التى نالت استقلالها بعد الحرب العالمية الثانية ولكنها أخفقت أيما إخفاق فى معالجة القضية الفلسطينية ذلك لأن بعض الدول الأعضاء اتبعوا سياسة المقاومة وبينما دعا البعض الآخر إلى سياسة اللين والدبلمة وأصبحت الجامعة (بفضل مبدأ الإجماع فى القرارات) مركزاً للتملص من المسئولية إزاء القضية الفلسطينية. فكل دولة لا تقر المقاومة تتنصل من المسئولية وتلقيها على عاتق الجامعة مع أن قرار الجامعة أصبح هزيلاً أو مائعاً بسبب موقفها المائع الذى نشأ عن ضرورة الإجماع فى اتخاذ القرارات وأوقف العمل القوى المؤثر. فالجامعة هى كل عضو من أعضائها. فإذا انسلّ عضو تعطلت حركة الجسد فنسأله تعالى المناعة والقوة لكل عضو من أعضائها كما ندعو الله أن تتطور جامعة الدول العربية فتصبح «منظمة اتحاد الدول العربية» من الخليج إلى المحيط.

اقتراح: حذف مادة المقر من ميثاق جامعة الدول العربية عند تعديله

كاتب هذه السطور من الأحياء الذين شهدوا (والحمد لله) ميلاد جامعة الدول العربية ثم ميلاد منظمة الأمم المتحدة، سنة ١٩٤٥ أن ميثاق «الأمم المتحدة» جاء خلوا من مادة تعين مقر المنظمة. وقد تقرر اختيار «نيويورك» مقرا للمنظمة فى اجتماع الجمعية العامة المنعقد فى لندن سنة ١٩٤٦ وقد عارض الوفد العراقى هذا الاختيار مدركا ما يحمله هذا القرار من نية صهيونية مبيتة. ولكن النفوذ الأمريكى كان قويا فأصبحت نيويورك مقرا للمنظمة. وقد مرت السنون وبرز التأثير الصهيونى إلى العيان. وها هى الولايات المتحدة تمتنع عن منح الفيزا للسيد ياسر عرفات ليحضر الجمعية العامة ويتحدث إليها باسم فلسطين. الأمر الذى حمل الجمعية العامة على اتخاذ قرار للاجتماع فى مقرها فى جينيف والاستماع إلى السيد ياسر عرفات.

ثم إن المنظمات المتفرعة عن الأمم المتحدة انتشرت فى بلاد متعددة. فمنظمة التربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) مقرها باريس، ومنظمتا الصحة العالمية والعمل الدولى مقرهما جينيف، ومنظمة الأغذية والزراعة مقرها روما ومنظمة الطاقة الذرية مقرها فيينا، ومنظمة الطيران مقرها كندا... إلخ.

هذا وللأمم المتحدة اليوم ثلاثة مقرات أحدها فى نيويورك والآخر جينيف والثالث فى فيينا، فمسألة المقر مسألة ظرفية قابلة للتغيير والحركة حسب الظرف السياسية والدولية.

نعود إلى جامعة الدول العربية ونتساءل أين ينبغى أن يكون مقرها؟ جوابنا على ذلك هو أن الوطن العربى من مشرقه إلى مغربه كله مقر لجامعة الدول العربية فمقرها يجب أن يكون فى فكر وفى قلب كل عربى. وإذا كان مقرها التأسيسى فى مصر ذلك لأن مصر هى البلاد العربية كلها والبلاد العربية كلها مصر. وهذا ما خاطبت به «غولدا ماير» فى الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة ١٩٥٦ يوم وقع العدوان الثلاثى على مصر. فالاعتداء على مصر هو اعتداء على الأمة العربية بأسرها ـ فمن حيث المبدأ القومى العربى لا فرق بين القاهرة أو الإسكندرية أو الطائف أو عمان أو القدس أو تونس أو طنجة أو الكويت أو غيرها من المدن العربية لتصبح مقرا لجامعة الدول العربية. كلها بلادنا وكلها عزيزة علينا.

هذا وإن اختيار القاهرة كأول مقر لجامعة الدول العربية كان اختيارا حكيما. فالبلاد العربية كان معظمها آنذاك تحت الاستعمار أو الاحتلال الأجنبى والحرب العالمية الثانية مستمرة ولم تتيسر المواصلات والتسهيلات الإدارية والسكنية الحديثة بالقدر الكافى كما هو الحال فى القاهرة. وكانت القاهرة فى زمن الحرب المركز الرئيسى للسياسة الحربية البريطانية فى الشرق الأوسط.

ولعل أهم سبب فى اختيار القاهرة آنذاك كان كسب مصر إلى جانب القومية العربية. فالفكر القومى العربى كان فى بداية نشوئه فى مصر آنذاك. وكان دعاة العروبة من أمثال المغفور له عبد الرحمن عزام باشا ومحمد على علوية باشا وصديقنا الجليل محمد صلاح الدين باشا (أمد الله فى عمره) يعملون حثيثا لدعم الفكر القومى العربى هذا. وقد حدثنى صديقى المغفور له النقراشى باشا يوم كان على رأس الوزارة المصرية عن دور السيد نورى السعيد (العراق) فى اقناع النحاس بفكرة الجامعة العربية. فاختيار القاهرة كمقر للجامعة استهدف كسب مصر فى الحقل القومى. واليوم وبعد أن أصبحت مصر فى مقدمة الدول العربية العاملة فى سبيل العروبة والإسلام لم تعد مصر تحتاج إلى من يحفزها إلى العمل العربى الوحدوى ولم تبق حاجة للنص على المقر فى صلب ميثاق الجامعة. إن هذه المادة أصبحت زائدة ونقترح أن تصبح لاغية ملغية.

أما عودة مقر الجامعة إلى القاهرة ففى رأينا يجب أن ينتظر عودة السلام الى فلسطين خاصة والشرق الأوسط عامة. فالدول العربية كلها (ما عدا مصر) هى أما فى حالة حرب مع إسرائيل أو لا علاقة لها بإسرائيل.

وفى رأينا أن عودة المقر إلى القاهرة حاليا لا يخلو من محاذير نذكر على سبيل المثال:

١) إحراج مصر فيما اذا اضطرت الجامعة العربية إلى اتخاذ قرار لا يتلاءم مع معاهدة السلام الموقعة بين مصر وإسرائيل.

٢) تعريض لحياة المسئولين العرب القادمين إلى القاهرة (ممن عرفوا بمناهضتهم لإسرائيل) إلى الخطر.

٣) وقوع الجامعة ومقررات الجامعة تحت أضواء الاستخبارات الإسرائيلية (الموساد) فالقاهرة اليوم مركز هام جدا للاستخبارات الإسرائيلية على العروبة والإسلام.

٤) هناك من القادة العرب من لا يرتاحون الى الاجتماع فى بلد يعلو عليه العلم الإسرائيلى. وفى هذه الحالة تصبح الإسكندية أفضل من القاهرة.

ولذلك فنحن نقترح:

(١)عدم الاستعجال فى عودة المقر إلى القاهرة حتى يتحقق السلام فى الشرق الأوسط.

(٢) إلغاء المادة المتعلقة بالمقر (المادة العاشرة) فى الميثاق الحالى لعدم بقاء الحاجة إليها.

(٣) أن يكون للجامعة أكثر من مقر واحد.

هذا رأى شخصى نرجو من المسئولين عن سياسة أمتنا أن يدرسوه بتجرد وترو مع تأكيد تعلقنا بمصر وتقديرنا لجهود مصر وتضحيات مصر فى سبيل العروبة والإسلام.

في سبيل الاتحاد

أسرعو الخطى على بركة الله

الحمد والشكر لله: الانتفاضة المباركة فى فلسطين أيقظت الضمير العالمى وحققت ما عجز عن تحقيقه رجال السياسة والفكر المحبون للحق والحرية.

الحمد والشكر لله: إن الحرب المدمرة بين العراق وإيران قد توقفت وندعو الله تعالى أن يوفق الجارتين المسلمتين فيحققا سلماً وإخاء دائمين.

الحمد لله والشكر له عل أن جعل الدول العربية فى مشرق العروبة ومغربها تتحرك فى سبيل التقارب والتعاون فيما بينها وتسير فى سبيل الاتحاد منهية بذلك عهد الركود والجمود وما رافقه أحيانا من جفاء وجحود.

إن إجتماع رؤساء دول المغرب العربى الكبير المكون من ليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانية المقرر عقده فى مراكش فى ١٥ شباط (فيفرى ١٩٨٩) لتأسيس اتحاد عربى مغربى، واجتماع رؤساء دول مصر والأردن واليمن والعراق المقرر عقده فى بغداد يوم الخميس ١٦ شباط (فيفرى ١٩٨٩) لتأسيس «مجلس التعاون العربى» إلى جانب

«مجلس التعاون الخليجى» القائم فعلاً كل هذا لمما يبعث الغبطة والسرور فى نفوس طلاب التحرير والتوحيد من أبناء الأمة العربية.

إن هذه المنظمات الثلاث: الاتحاد العربى المغاربى ومجلس التعاون العربى ومجلس التعاون الخليجى إنما تستمد شرعيتها من نصّ المادة التاسعة من ميثاق جامعة الدول العربية الذى جاء فيه: «لدول الجامعة العربية الراغبة فيما بينها فى تعاون أوثق وروابط أقوى مما نص عليه هذا الميثاق أن تعقد بينها من الاتفاقات ما تشاء لتحقيق هذه الأغراض».

ولذلك فنحن نرى أن تصبح جامعة الدول العربية الخيمة الكبرى التى تظل هذه المجموعات الثلاث فيتولى مركزها الربط والتنسيق بين السياسات التى تقررها كل من هذه الكتل. ولما كنا من الداعين إلى تكوين اتحاد عربى شامل من الخليج إلى المحيط فنحن نرجو أن تصبح هذه التكتلات مرحلة فى الطريق الموصل إلى الهدف المنشود كما صرح بذلك العديد من رؤساء الدول العربية.

وبصراحة نقول كنا نتمنى لو أن المملكة العربية السعودية انضمت إلى مجلس التعاون العربى إضافة إلى انضمامها إلى مجلس التعاون الخليجى ذلك لما تتمتع به من وزن سياسى ودور إيجابى فى التقريب والتوفيق بين الدول العربية ـ فنحن نأمل أن يصفو الجو قريباً بين سورية وكل من العراق ومصر. فتنضم سورية أيضاً إلى مجلس التعاون العربى.

ثم إننا نرجو أن لا يتأخر اندماج «مجلس التعاون الخليجى بمجلس التعاون العربى» طويلاً وكذلك ارتباط المشرق العربى بمغربه بحيث

نحقق سوقاً عربية مشتركة واحدة من الخليج إلى المحيط. والمأمول من جامعة الدول العربية أن تعمل جاهدة للتعجيل فى هذا الترابط والتلاحم.

إن المفكر العربى ليحار أحياناً من جراء البطء الذى يشاهده فى سير الأمة العربية فى سبيل الاتحاد مع أنّ كل شىء فى عالمنا يتطلب التكتل والاتحاد. ونحن نعيش اليوم فى عصر الصواريخ. وقد دلت الحوادث المعاصرة على أن كل دولة من دولنا العربية (التى يربو عددها على العشرين) هى ضعيفة ما دمنا متفرقين. وقويّة فيما لو أصبحنا متحدين. فلو كنا متحدين لما حلّت كارثة فلسطين ولكان لنا وزن ولكان لنا صوت فى السياسة العالمية. ولتحررنا من كل تبعية أجنبية. وها هى أوروبا تسير فى سبيل الاتحاد لتحققه فى بداية التسعينات لتصبح كتلة عالمية عظمى إلى جانب الاتحاد السوفيتى والولايات الأمريكية. ألا يجدر بأمتنا العربية من الخليج إلى المحيط ولها من الثروات الروحية والفكرية والثقافية والمادية والموقع الجغرافى الممتاز بين القارات الثلاث أن تتحد فتكوّن قوة عالمية عظمى لتصبح أمة وسطاً تحمل رسالة التوحيد والحق والخير والتحرير للإنسانية جمعاء؟.

الأمر يتطلب من قادتنا فى السياسة والفكر ومن شبابنا الناهض سموّا فى التفكير وهمة وشجاعة فى التخطيط والتنفيذ.

وعلى كل فنحن نبعث بتحياتنا وتمنياتنا الطيبة للقادة العاملين فى

سبيل التقارب والتعاون والاتحاد بين أقطار الأمة العربية وندعو للجميع بالتوفيق والسّداد.

ونختم بقوله تعالى ﴿ **إن هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون** ﴾

صدق الله العظيم

التضامن العربى المنشود

بيت الداء:

فى حديث أجرته مجلة «رياليته» الفرنسية مع «أبا إيبان» (وزير خارجية إسرائيل الأسبق) ونشر فى عددها الصادر فى كانون الأول (ديسمبر) ١٩٦٦. سئل أبا إيبان علام تعتمد اسرائيل فى بقائها؟ أجاب: على أعمدة ثلاثة:

أولها: استعداد أبنائها للتضحية.

ثانيها: الانقسامات والخلافات فيما بين الدول العربية.

ثالثها: عون الأصدقاء.

إن استعداد إسرائيل العسكرى معروف فقد أصبحت إسرائيل ترسانة لأحدث الأسلحة الفتاكة وهى تمتلك القنبلة النووية على الأرجح. كما أن اعتماد إسرائيل على أصدقائها وفى مقدمتهم الولايات المتحدة أمر لا شك فيه. والأمر الذى يهمنا نحن العرب هو أن ندرك بأننا فى اختلافاتنا وفى صراعنا فيما بيننا إنما نقوم إسرائيل ونزودها بعامل البقاء والقدرة على الاعتداء. أى أننا نساعدها على تحقيق أهدافها ومراميها.

إن العامل الرئيسى لوقوع الكثير من المآسى والنكبات التى لحقت بالأمة العربية منذ الحرب العالمية الثانية إلى يومنا هذا هو اختلاف الرأى

وتضارب المصالح السياسية والعقائدية بين الحكومات العربية. فهناك دول عربية تنفرد فى سياستها وتختلف مع شقيقاتها شرقا وغربا الأمر الذى قد يؤدى إلى الاصطدام أحيانا. وهناك موطن ضعف خطير فى الجسم العربى يبرزر فى العلاقات بين الدول المواجهة لإسرائيل. وهذا الضعف يخدم أهداف إسرائيل ويغذى أطماعها فى الاستيلاء على حساب الحق العربى. كما يمكن إسرائيل من نشر بذور الفتن والحروب الداخلية فى دول المواجهة ويضعف الجسم العربى داخليا وخارجيا. فكان المأمول أن يشكل العراق وسورية والأردن ولبنان وفلسطين جبهة مواجهة متراصة متحدة يسود أجواءها الصفاء والتعاون. ولكننا مع الأسف الشديد نشهد الجفاء يحل محل الصفاء والقطيعة محل التعاون. هذه هى نقطة الضعف الأولى التى تعانى منها الأمة العربية اليوم وهى ما تؤيد نظرية «أبا إيبان» من أن بقاء اسرائيل يعتمد على الخلافات والصراعات العربية.

فبعد أن خرجت مصر من الصف العربى إثر توقيع اتفاقيتى مخيم داود استفرست إسرائيل فسارعت إلى ضم الجولان وقصفت المفاعل النووى فى العراق ثم غزت لبنان وعملت على إشعال نار الفتنة بين طوائفه الدينية وكتله السياسية بعد أن كانت أعلنت أنها حامية المسيحيين فى لبنان! وفى سنة ١٩٨٢ خططت منظمة الصهيونية العالمية لتقسيم لبنان إلى خمس دويلات طائفية. وها هم حكام اسرائيل اليوم يجاهرون بعزمهم على ضم الضفة الغربية وقطاع غزة بعد

غرس العديد من المستوطنات. واحالة الفلسطينيين من سكان الضفة الغربية وقطاع غزة على الأردن إن لم يخضعوا للسيادة الإسرائيلية. إن ما تفعله إسرائيل فى الأرض المحتلة وفى لبنان هو نتيجة طبيعية لتفكك الصف العربى وفقدان الخطة المستقبلية الموحدة والموحدة للأمة العربية. وما تفعله اسرائيل فى لبنان اليوم قد تطبقه غدا على كل قطر عربى يقع فريسة لإسرائيل الكبرى والسيطرة على المشرق العربى عن طريق تقطيع أشلائه. إذن فما فاه به «أبا إيبان» لمجلة «رياليته» هو صحيح وواقعي وهو بيت الداء الذى نرجو أن يعيه العرب فى هذه الساعة المتأخرة!.

الدواء:

إن خير دواء لمرضنا السياسى العضال دواء وصفه القرآن الكريم فى قوله تعالى: **﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا...﴾** (آل عمران: ١٠٣) وقوله تعالى: **﴿واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم...﴾** (الأنفال: ٤٦).

ولنستمع للأعرابى الحكيم يوصى أولاده:

كونوا جميعاً يا بنى إذا اعترى خطب ولا تتفرقوا أفرادا

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسراً وإن افترقن تكسرت آحادا

إذن فالداء معروف والدواء معروف. فهل نملك كأمة من الوعى

وقوة الإرادة ما يمكننا من أخذ الدواء وتحقق الشفاء؟ المسئولية المباشرة تقع على كاهل رجال الفكر والسياسية والمسئولية الأساسية تقع على عاتق المربين.

محاولات عربية وإسلامية متواضعة:

في سنة ١٩٤٥ وقبيل انتهاء الحرب العالمية الثانية أسست جامعة الدول العربية. واستبشر الكثيرون منا بتأسيسها معتبرا ذلك المرحلة الأولى في المسيرة نحو الاتحاد العربي الشامل وأنها سوف تجمعنا وتوحد أهدافنا وخططنا. ولا شك في أن الجامعة قد قامت مشكورة بالعديد من المساعي من أجل تنسيق وتوحيد جهود ونشاط الوفود العربية الذاهبة للجمعية العامة للأمم المتحدة للدفاع عن قضايا الأمة العربية. وفي محاضرة ألقيتها في نادي الاتحاد العربي في القاهرة في ٢٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٦ وكان عنوانها «الاتحاد العربي في عالم اليوم» قلت ما يلي:

«سادتي: إنه لمن دواعي السرور أن تثمر الثورة العربية المباركة ـ ولو بعد حين ـ ما أثمرت بشكل لم يكن زعماء الثورة قد تصوروه أو قصدوه. وأن نشاهد أن الاتحاد العربي قد أصبح حقيقة واقعة ملموسة.. فما وجود الجامعة العربية وما موقف الدول العربية صفا واحدا في اجتماع هيئة الأمم المتحدة في كل من سان فرنسيسكو ولندن ونيويورك ونجاح مصر وسورية في الانتخابات لمجلس الأمن ولبنان للمجلس الاقتصادي الاجتماعي إلا ظاهرة من ظاهرات الاتحاد. وما موقف البلاد

العربية من أدناها إلى أقصاها للدفاع عن سورية ولبنان فيما مضى وعن فلسطين وليبيا والبلاد العربية الأخرى المهضومة الحقوق اليوم إلا برهان ساطع على تحقيق الإتحاد.

أجل أيها السادة لقد خطونا ولله الحمد فى سبيل الاتحاد خطوات واسعة مباركة ولكننا ما زلنا فى مفتتح الطريق فما علينا إلا أن نجدّ السير وأن نعمل بهمة لا تعرف الكلل فى سبيل بلوغ أمانينا القومية كاملة غير منقوصة. ولربما كانت أول مهمة من مهام المشتغلين فى شئون الاتحاد هى تحديد أهدافهم وتعيين مراميهم.

«إن ما يستهدفه الاتحاد ـ ياسادة ـ هو التعاون الفعلى فى الشئون السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية بين أبناء البلاد العربية من الدار البضاء إلى البصرة (من الخليج إلى المحيط) وذلك لما بين هذه البلاد من روابط اللغة والثقافة والتاريخ والجغرافية والمثل العليا والشعور المشترك فى الآلام والآمال.

ولعل من حسن الطالع أن استعملت كلمة «اتحاد» فى هذه المرحلة التاريخية التى نجتازها اليوم بدل «الوحدة» فإن اتساع البلاد العربية وما بينها من تنوع فى الظروف والأحوال يجعل الوحدة غير قابلة المنال اليوم. وللاحتفاظ بذاتية كل إقليم من الأقاليم العربية مع ضمان اتحادها فائدة كبرى إذ يزيد نشاط الإنتاج المحلى فى الثروة المادية والفكرية. على أن لا تصبح هذه الذاتية المستقلة أنانية سلبية. فروح

الأخاء والإيثار والتعاون يجب أن تسمو فى العلاقات بين الأقطار العربية على الاعتبارات الشخصية والمحلية» .

هذا بعض ما قلته فى نادى الاتحاد العربى فى القاهرة سنة ١٩٤٦ وهو تعبير صادق عما كنا نشعر به من تفاؤل وما نحمله من عزيمة صادقة تدفعنا إلى التقارب والتضامن وتحقيق الاتحاد الشامل.

ولكن العوائق التى قامت فى سبيل الاتحاد كانت وما تزال عديدة وهى عوامل داخلية وخارجية لا مجال للخوض فيها فى هذا المجال. ومن براعة الأساليب الاستعمارية بث دعاية مآلها أن الدعوة إلى الاتحاد إنما هى دعوة استعمارية. وقد انطلت هذه الدعاية على الكثيرين من العرب البسطاء. ولما كان «الاتحاد قوة» لا ندرى متى أراد الاستعمار القوة للأمة العربية ؟.

والجامعة العربية بعد أن تعددت وتعقدت مهامها ومشكلات الأمة العربية طالما انشغلت فى حل الخلافات ورأب الصدع فى الصف العربى على حساب انشغالها فى أمور جوهرية تحقق المزيد من الترابط والتضامن فيما بين الدول العربية.

ومع ذلك فإن فكرة «الوحدة» أو «الاتحاد» ظلت تخامر أفكار الكثيرين من القوميين ومن ضمنهم العديد من المسئولين. وقد قامت محاولات عديدة تقارب العشرين محاولة لتحقيق الاتحاد بين بعض الدول العربية ولكنها كلها باءت بالفشل تقريبا إما لعوامل داخلية أو خارجية. فما تحتاج إليه الأمة العربية فى الداخل هو الأخذ بالأساليب

العلمية القابلة التطبيق على أسس شعبية ديمقراطية. ولما تكرر وقوع الفشل فى محاولات الاتحاد نشأت نزعة الحيطة والتروى لدى العديد من المسئولين فى البلاد العربية.

ولكن الحاجة إلى الاتحاد العربى تشتد يوما بعد يوم ورغبة الشعوب الواعية فى الاتحاد رغبة ملحة. والحقيقة أن الظروف العالمية والمآسى التى حلت بالأمة العربية تفرض الاتحاد فرضا على العالم العربى والإسلامى. فالمسألة مسألة حياة أو ممات. مسألة عزة وكرامة فى الاتحاد أم ذلة ومهانة فى الانفراد. تلافيا للأخطار المحدقة بالعالم العربى والعالم الإسلامى أخذت الشعوب والحكومات تستيقظ من جديد فتعى ضرورة الاتحاد من أجل ضمان بقائها وعزها وازدهارها. وها نحن فيما يلى نذكر بعض هذه المحاولات الجديدة.

١ ـ في سنة ١٩٦٥ فى مؤتمر رابطة العالم الإسلامى المنعقد فى مكة المكرمة فى موسم الحج (وكنت ممن شاركوا فى ذلك المؤتمر) دعا المغفور له الملك فيصل بن عبد العزيز إلى عقد مؤتمر إسلامى يعالج شئون المسلمين فقيل زورا وبهتانا آنذاك إنها دعوة استعمارية. ولما قام الصهاينة بحرق المسجد الأقصى سنة ١٩٦٩ دعا الحسن الثانى ملك المغرب إلى عقد مؤتمر قمة إسلامى فعقد فى الرباط وانبثقت عنه منظمة المؤتمر الإسلامى التى نرجو لها التوفيق فى مهامها فى توحيد كلمة المسلمين ورفع مستوى الحياة الإسلامية.

٢ ـ لقد اكتسب الخليج أهمية عظمى بالنسبة للعالم الصناعي نظرا لما تصدر عنه من ثرة نفطية. ولذلك أصبح الخليج معرضا لأخطار قد تأتيه من الشرق أو الغرب وتلافيا للأخطار المستجدة أسست ست من دول الخليج مشروعا حكيما هو «مجلس التعاون الخليجى» وهو خطوة أولى مباركة فى سبيل الاتحاد المنشود.

٣ ـ إن عزل مصر عن العالم العربى عزز التقارب بينها وبين السودان فأدى ذلك إلى إنشاء «التكامل» بين القطرين والسير فى طريق «وحدة وادى النيل» نرجو لهذه الخطوة الاتحادية النجاح والازدهار.

٤ـ هناك نشاط حثيث للتقارب والتعاون فيما بين أقطار المغرب العربى هدفه تحقيق وحدة المغرب العربى الكبير الذى تصوره عدد من زعماء هذه البلاد فى طنجة أيام الكفاح ضد الاستعمار. وهذا النشاط يبشر بالخير.

التضامن المنشود:

إن المحاولات الأربع التى مر ذكرها توا وكلها جيدة وبناءة ولكن اتحاداً خامسا نعنى به اتحاد دول المواجهة لإسرائيل هو ما يعوزنا اليوم! وهذا الاتحاد ينبغى أن يتكون فى نظرنا من السعودية والعراق وسورية والأردن وفلسطين. ويترك للبنان حرية اختيار الانضمام أو عدمه تبعا للظروف التى يجابهها هذا البلد الجريح. وللسعودية فى نظرنا دور

تاريخى هام فى الدفاع عن العروبة والإسلام وإنقاذ القدس خاصة. كما أن للسعودية دورا هاما فى تحقيق الصفاء والتعاون بين سورية والعراق والأردن وفلسطين. نحن ندرك ما فى هذا الاقتراح من صعوبة فى التحقيق ولكن حكمة القادة فى هذه البلاد وإخلاصهم ومؤازرة رجال الفكر والقلم لهم نرجو أن تتغلب على كل الصعوبات والعقبات النفسية والسياسية. إن اتحاد دول المواجهة هذا حيوى لبقاء الأقطار العربية هذه عزيزة ومستقلة وبدونها فقد تساق دول المجابهة إلى الاستسلام الواحدة تلو الأخرى. نحن نرى أن كل تفاوض أو مجابهة مع إسرائيل أو مع الشرق أو الغرب ينبغى أن تكون جماعية بعد اليوم ولا يجوز لدولة من دول المواجهة أن تنفرد فى سياستها وبذلك تضمن سلامة الجميع ومصلحة الجميع.

هذا هو رأينا المتواضع فى الموقف العربى الراهن إزاء إسرائيل.

ومن الله الهداية والتوفيق.

الباب الثانى

(المغرب العربى)

المشرق العربى يدعم المغرب العربى
فى كفاحه التحريرى

الأمة العربية من مشرقها إلى مغربها (من الخليج إلى المحيط) جسم واحد، ومع أن الظروف التاريخية قد مزقت هذه الأمة وجعلت منها دولاً ودويلات تزيد على العشرين فإن روح الأمة (بفضل الإسلام وعربية القرآن) تبقى واحدة وهى دوماً حية نابضة.

هذا وإن الأمة العربية اليوم تجابه عالماً سريع التطور غنياً بالمشكلات والإمكانات. ونحن نأمل أن تبرز الأمة العربية فيه كعامل تحرير وتنوير وتوحيد وتجديد لكل الشعوب العربية ولشعوب العالم أجمع.

بانتهاء الحرب العالمية الأولى وانهيار دولة الخلافة العثمانية أصبح الاستعمار الغربى مسيطراً أ مهيمناً على كل أقطار العروبة تقريبا. وإن الحلفاء (بريطانية وفرنسا) تنكروا للوعود التى تضمنتها مراسلات الشريف حسين ـ مكماهون والتى بموجبها قامت الثورة العربية (فى الحرب العالمية الأولى) ضد الدولة العثمانية. وذلك بإعلان بريطانية تصريح بلفور الذى وعد اليهود بتأسيس وطن قومى لهم فى فلسطين ـ ثم اتفاقية سايكس ـ بيكو التى وضعت البلاد العربية المنسلخة عن

الدولة العثمانية تحت الانتداب. فقامت ثورات وقامت حركات وطنية في معظم أرجاء العالم العربي من العراق شرقاً إلى المغرب الأقصى غرباً. بقي هذا الكفاح مستمراً إلى الحرب العالمية الثانية وما بعدها.

وكانت كل من اليمن والسعودية ومصر والعراق تتمتع باستقلال سياسي عند نشوب الحرب العالمية الثانية. وفي خلال الحرب حصلت كل من سورية ولبنان على وعد بالاستقلال وبدأتا بممارسته فعلاً قبيل انتهاء الحرب العالمية الثانية. وفي سنة ١٩٤٥ تأسست جامعة الدول العربية من هذه الدول السّت المستقلة نسبيا يضاف إليها دولة فلسطين كدولة عضو في الجامعة على أمل تحقيق استقلالها.

قاست البشرية عامة الويلات والمحن في الحرب العالمية الثانية وأصبحت كل الدول المتحاربة فيها (الغالبة والمغلوبة) منهوكة القوى مثخنة الجراح.

قبيل انتهاء الحرب بزغت لدى الحلفاء فكرة بناء عالم جديد واحد تسوده الحرية والعدل والرخاء والإخاء لكل بني الإنسان لكل الشعوب والأقوام فتأسست منظمة الأمم المتحدة سنة ١٩٤٥ وهي المنظمة التي تدعم حق الشعوب التي ترزح تحت نير الاستعمار بالحرية وحق تقرير المصير. وكانت كل من السعودية ومصر والعراق وسورية ولبنان قد دعيت للمشاركة في تأسيس هذه المنظمة وصوغ ميثاقها.

ومن الأدلة الساطعة على وحدة الأمة العربية مشرقها مغربها قيام دول المشرق العربي، الممثلة في جامعتها وفي الأمم المتحدة، بدعم

كفاح كل قطر من أقطار المغرب العربى فى الأمم المتحدة خاصة وفى الحقل الدولى عامة معتبرة قضايا تحرير المغرب العربى قضايا تخصها بالذات. فقد بدأنا العمل عند انتهاء الحرب العالمية الثانية على أساس أننا أبناء أمة واحدة مهما تعددت الأقطار، وها نحن فيما يلى نشير بإيجاز كلى إلى معالجة كل قطر من أقطار المغرب العربى فى الحقل الدولى على الوجه التالى:

(١) **ليبيا المجاهدة** : قدمت التضحيات الجسام فى مكافحة الاستعمار الإيطالى ولها وللعرب جميعاً أن يفخروا باستظهار البطل الجليل عمر المختار فى سبيل تحرير أمته وبلاده. ليبيا كانت أول قطر عربى تتناوله السياسة الدولية بعد الحرب العالمية الثانية إذ خسرت إيطالية الحرب واحتلّ الحلفاء ليبيا وحلوا محل الطليان. عقد مؤتمر للصلح بين الحلفاء وإيطالية فى باريس (قصر لكسمبورج) سنة ١٩٤٦ . ولما كان العراق الدولة العربية الوحيدة التى كانت أعلنت الحرب على إيطالية ووقفت إلى جانب الحلفاء فقد حضرت المؤتمر بوصفى وزيراً للخارجية آنذاك لإبداء وجهة نظر العراق حول الصلح مع إيطالية. وكان المستر بيفن وزير خارجية بريطانية فى كرسى الرئاسة.

أكدت فى كلمة العراق على اعتبار استقلال ليبيا شرطاً أساسياً فى شروط الصلح مع إيطالية. لم يتفق الحلفاء فيما بينهم حول تصفية المستعمرات الإيطالية فكانت مصالحهم وأطماعهم

متضاربة. فقرروا إحالة موضوع المستعمرات الإيطالية على الجمعية العامة للأمم المتحدة. ولما جاءت قضية ليبيا أمام الجمعية العامة عرض مشروع بيفن ـ سفورزا على الجمعية العامة وهو المشروع الذى توضع طرابلس بموجبه تحت الوصاية الإيطالية وبرقة تحت الوصايا البريطانية، وفشل المشروع بصوت واحد والحمد لله! وذلك بعد جهود مضنية قامت بها الوفود العربية والوفود الصديقة المحبة للحرية لإفشاله.

وفى السنة التالية ١٩٤٩ اتصل الكونت سفورزا (وزير خارجية إيطالية بالوفود العربية على أمل إيجاد حل للمستعمرات الإيطالية يرضى العرب ويحفظ لإيطالية ماء وجهها لتبرهن للعالم بأنها بلد ينشد الحرية ويحترم حقوق الشعوب. أقام الدكتور شارل مالك (لبنان) حفل شاى فى نادى جامعة هارفرد (وهى الجامعة التى تخرج منها) حضره عدد منّا مع الكونت سفورزا. وبعد المصارحة التامة بين الطرفين اتفقنا معه على ضرورة استقلال ليبيا بدون قيد أو شرط. وكان اتفاقنا هذا هو الأساس لقرار الجمعية العامة حول استقلال ليبيا ١٩٤٩ فقامت الأمم المتحدة بتعيين مندوب لها يشرف على إعداد ليبيا للاستقلال خلال ثلاث سنوات وقد تحقق استقلال ليبيا فعلاً سنة ١٩٥١.

(٢) **المغرب وتونس:** قرر مجلس جامعة الدول العربية عرض مطالبة المغرب بالاستقلال على الجمعية العامة للأمم المتحدة فى دورتها المنعقدة بباريس سنة ١٩٥١. فقامت الوفود العربية والوفود

الصديقة بعرض القضية المغربية وطلبت إدراجها فى جدول أعمال الجمعية العامة. ولكن العديد من الدول ارتأت عدم إزعاج فرنسا بوصفها الدولة المضيفة فى هذه الدورة إرجاء درجها فى جدول الأعمال وبحثها فى اجتماع الدورة القادمة ١٩٥٢ فى نيويورك. هذا وإن الوفود العربية قامت عند طلبها درج القضية بشرحها شرحاً وافياً والدفاع عن حق المغرب بالحرية والاستقلال بمنطق قوى.

وفى الوقت الذى كنا نطالب بدرج قضية المغرب فى جدول الأعمال تلقى رؤساء وفود الدولة العربية وأمين عام الجامعة العربية دعوة لتناول الغداء مع الأستاذ محمد شنيق رئيس وزراء تونس آنذاك وكان الأساتذة الحبيب بورقيبه وصالح بن يوسف ومحمد بدرة موجودين إلى جانب الأستاذ محمد شنيق. علمنا من الأستاذ محمد شنيق أن المفاوضات التونسية الفرنسية من أجل استقلال تونس وصلت إلى طريق مسدود وأنه يطلب منا عرض القضية التونسية على الجمعية العامة للأمم المتحدة. ولم يتيسر عرضها فى باريس لنفس السبب الذى تأجل من أجله عرض قضية المغرب. ولكننا رتبنا لقاءً بين رؤساء كتلة الوفود العربية ـ الآسيوية ورئيس الجمعية العامة السيد «باديّا نرفو» المكسيكى من أجل عرض القضية التونسية فتعهد بنقل مشاعر الكتلة وآرائها إلى وزير خارجية فرنسا المسيو شومان.

وفى السنة التالية ١٩٥٢ عرضت قضيتا المغرب وتونس على الجمعية العامة فى دورتها المنعقدة بنيويورك. فتولت الوفود العربية والوفود

الصديقة المحبة للحرية الدفاع عن حق كل من القطرين بتقرير المصير والاستقلال.

لقد قام رئيس الوفد العراقى باصطحاب الأستاذ صالح بن يوسف إلى داخل قاعة الجمعية العمومية وجلوسه ضمن أعضاء الوفد العراقى فاعترض مندوب فرنسا على وجود شخص لا يحق له الجلوس فى القاعة. فقام رئيس الوفد العراقى بضم الأستاذين صالح بن يوسف ومحمد بدرة إلى الوفد العراقى كعضوين مستشارين. فتكررت احتجاجات الحكومة الفرنسية على الحكومة العراقية فى بغداد كما أن رئيس الجمهورية الفرنسية استدعى السفير العراقى فى باريس وأبدى انفعاله. وكادت الحكومة العراقية أن ترضخ للاحتجاج الفرنسى ولكن رئيس الوفد العراقى اعتبر ذلك تدخلاً فى شئون العراق ومساً بسيادته فلم يعبأ بالاحتجاج. بعد ذلك قام الوفد الباكستانى الذى يرأسه محمد ظفر الله خان بضمّ الأستاذ أحمد بلفريج (المغرب) إلى الوفد الباكستانى. كما قام الوفد العراقى بضمّ الأستاذين عباس فرحات وحسين آية أحمد إلى الوفد العراقى عند عرض قضية الجزائر.

لقد قامت الوفود العربية والوفود الصديقة المحبة للحرية بدفاع قوى عن حق القطرين المغرب وتونس بالاستقلال ولكن الدول الغربية والعديد من الدول الصديقة لفرنسا لم تشأ أن تزعج فرنسا بل كانت تجاملها. ونحن بدورنا لم نكن نقصد إزعاج فرنسا بل كنا ننشد تطبيق مبادئ فرنسا فى الحرية والمساواة والإخاء. ولذلك فقد كانت قرارات

الجمعية العامة تصدر باللطف واللين وغير حاسمة. الأمر الذى حملنا على مراجعة وزارة الخارجية الأمريكية فى واشنطن ثم الاجتماع بالرئيس أيزنهاور فى البيت الأبيض بتاريخ ١٥ جويلية (١٩٥٤) نطالب بأن يكون الموقف الأمريكى أكثر صراحة وقوة فى المطالبة باستقلال كل من المغرب وتونس.

وفى اجتماع الجمعية العامة ١٩٥٥ حضر المسيو مندس فرانس الأمم المتحدة وألقى خطاباً تحدث فيه عن منح تونس الحكم الذاتى واعداً بأن فرنسا تعمل على تحرير الشعوب وتعترف بحقها فى الحياة الحرة النامية. وبعد نزوله من المنصة وفى طريقه إلى مقعده وقف إلى جانبى وسألنى هل أرضاك ما قلته عن تونس. أجبته والمغرب؟ قال انتظر قليلاً.

وفى السنة التالية ١٩٥٦ حققت كل من المغرب وتونس استقلالهما.

(٣) **الجزائر:** إن قضية الجزائر فى الأمم المتحدة كانت دقيقة وعويصة. ذلك لأن فرنسا كانت تعتبر الجزائر جزءاً من فرنسا. ووفق المادة الثانية من ميثاق الأمم المتحدة لا يحق للمنظمة الدولية أن تتناول أى موضوع داخلى يخص الدول الأعضاء. عرضنا قضية الجزائر فى اللجنة التوجيهية لتدرج فى جدول الأعمال فرفضت. ولما جاء قرار الرفض أمام الجمعية العامة طلبنا فتح باب النقاش حول الموضوع وبرهنا بالمنطق والواقع أن الجزائر ليست فرنسا وليست

فرنسية. فربحنا بصوت واحد هو صوت الفلبين والحمد لله. صعق الوفد الفرنسى وغادر قاعة الجمعية العامة وقرر عدم الاشتراك فى أعمال الأمم المتحدة. ولما كانت فرنسا من الأعضاء البارزين فى الأمم المتحدة وعضو دائم فى مجلس الأمن توسط الأمين العام للأمم المتحدة السيد داغ همرشولد ومندوب الهند السيد كريشنا منون بيننا وبين الوفد الفرنسى وتم الاتفاق على أن يؤجل بحث قضية الجزائر إلى السنة القادمة ويعود الوفد الفرنسى إلى المنظمة ولا يعترض على درجها فى جدول الأعمال فى السنة القادمة وهكذا كان. وفى الوقت نفسه كانت ثورة الجزائر على أشدها على أرض الجزائر كان ألوف الجزائريين يقدمون أرواحهم فى سبيل تحرير بلادهم واستقلالها.

وفى أوائل يوليه ١٩٥٦ جئت لتهنئة القطرين الشقيقين المغرب وتونس بالاستقلال موفداً من قبل ملك العراق. وفى طريقى من المغرب إلى تونس توقفت فى باريس. استقبلنى القائم بأعمال السفارة العراقية فى المطار وأخبرنى عن رغبة المسيو مندس فرانس بالاجتماع بى إن أمكن. اقترحت دعوته إلى تناول الشاى فى السفارة العراقية بعد الظهر وهكذا كان. تحدثنا نحو الساعتين، فى الأولى تناولنا قضايا المغرب العربى وفى الثانية تناولنا القضية الفلسطينية.

فيما يتعلق بقضايا المغرب العربى قال لى لو كان الأمر بيده لأمر بوقف النار فوراً فى الجزائر ولبدأ بالتفاوض. ولكنه لا يستطيع عمل

شيء في الوقت الحاضر. وهو يرى أن الرجل المؤهل للقيام بحل قضية الجزائر هو الجنرال ديغول. وهذا ما وقع فيما بعد. ثم قال لي إن فرنسا لم تؤهل الجزائريين للاستقلال ولم تفكر في ذلك مطلقاً. إنها فكرت في استقلال تونس يوماً ما. وأقل من ذلك في استقلال المغرب. أما الجزائر فابداً. وعلى كل فقد استمر الكفاح الجزائرى وقدمت الجزائر ما يزيد على المليون شهيد حتى جاء الجنرال شارل دويغول وبدأت المفاوضات من أجل الاستقلال وقد تحقق والحمد لله.

يتضح مما مر أعلاه أن أبناء المشرق العربى كانوا مؤمنين بأن قضايا تحرير المغرب العربى هى قضاياهم الخاصة فلم يدخروا وسعاً فى العمل فى الحقل الدولى فى دعم قضايا تحرير أشقائهم. واليوم وقد تحقق الاستقلال السياسى لكل أقطار المغرب العربى وقطعنا شوطاً لا بأس به فى معركة التحرير نرجو أن نسير قدماً فى عملية التوحيد.

الجامعة: جامعة الدول العربية هى الخيمة التى تظلل كل أقطار العروبة وقد قامت تنظيمات إقليمية: مجلس التعاون الخليجى، ومجلس التعاون العربى، وإتحاد المغرب العربى. نرجو أن تكون هذه التكتلات محطات تنطلق منها إلى اتحاد الدول العربية من الخليج إلى المحيط بحيث تصبح جامعة الدول العربية «منظمة اتحاد الدول العربية» لتبرز الأمة العربية فى الحقل الدولى ولها وزنها ولها قوتها المادية والمعنوية تعمل من أجل الخير والحق والأخلاق لأبنائها خاصة وللبشرية عامة.

قضية استقلال المغرب أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة ـ باريس ١٩٥١

كلمة السيد فاضل الجمالي

رئيس الوفد العراقي

المغرب يستحق الاستقلال

لقد كافحت القوات الديموقراطية خلال حربين عالميتين ضد الطغاة والمستبدين من أجل تحقيق الحرية لبنى البشر، وكنا نظن ـ بعد الحرب الأخيرة ـ أننا دخلنا فى عهد جديد يعترف فيه للشعوب باستقلالها وبحقها فى تقرير مصيرها بنفسها، وأحرزت بالفعل بعض الأقطار استقلالها كالهند والباكستان وبرمانيا وسيلان وسوريا ولبنان وأندونيسيا. وكنا نود مخلصين، من فرنسا ـ وهى الدولة التى لها تقاليد تليدة فى الحرية والديمقراطية والتى ضربت لنا المثل بما حققته فى بلادها ـ أن توافق على أن تكون هذه التقاليد متبعة أيضا فيما وراء البحر الأبيض المتوسط، فى أفريقيا الشمالية والمغرب الأقصى على الخصوص.

ذلك أن الشعب المغربى الذى برهن فى ماضيه على أنه كان ذا ثقافة واسعة وتقاليد عريقة والذى قدم للعالم عددا من رجال العلم

والثقافة. يستطيع اليوم إذا ما مكنته الفرصة أن يسير على نفس المنوال. وقد اشتهر الشعب المغربى أيضا بالشجاعة والإقدام وهو من أجل ذلك يستحق الاستقلال.

تضحيات المغرب في سبيل الحرية

لقد ضحى المغرب بالآلاف من أبنائه فى الحربين العالميتين. ومنذ ثلاثة أسابيع قمت بزيارة «شاطو ـ تييرى» حيث شاهدت نصبا شامخاً. أقيم تخليدا لذكرى الجنود الأمريكيين الذين قاتلوا فى سنة ١٩١٨ مدافعين عن «لامارن» وتأثرت جدا عندما قرأت في هذا النصب أن الفرقة المغربية الأولى أسهمت فى الحصول على انتصارات باهرة بجانب الجنود الفرنسيين والأمريكيين.

إن الدور الذى قام به المغرب فى الحرب الأخيرة كان على جانب عظيم من الأهمية، والكل يعلم أن الجنود المغاربة الأبطال قد شاركوا مشاركة كبيرة فى المعارك الحاسمة التى أدت إلى انهيار الأنظمة الفاشيستية.

روزفلت يعد جلالة الملك بالاستقلال

ولقد تلقى جلالة سلطان المغرب أثناء الحرب الأخيرة من الرئيس فرانكلين روزفلت وعدا يقضى بأن الأوضاع الراهنة فى المغرب سيطرأ عليها ـ بعد النصر ـ تغيير، وبأن المغرب سيحصل على سيادته واستقلاله التامين، وإن مئات البرقيات التى تلقيناها نحن، والخطاب

الذى ألقاه صاحب الجلالة سلطان المغرب يوم ١٨ نوفمبر ١٩٥١ كل ذلك يقيم البرهان القاطع على طموح الشعب المغربى للتمتع داخل المملكة المغربية بالسيادة والاستقلال التامين، وعلى رغبته فى أن تكون العلاقات بين المغرب وفرنسا مبنية على أساس من المساواة التامة والصداقة التى لا يشوبها نقصان. فقد أكد سلطان المغرب مطالبته بحق شعبه فى أن يحيا حياة سياسية كاملة فى نطاق الديموقراطية والعدل والحرية.

جلالة الملك يطالب بحق شعبه فى الديموقراطية والعدل والحرية

وها أنا ذا أقتطف من خطاب صاحب الجلالة السلطان الفقرة التالية:

«...ولذلك قمنا خلال السنة الماضية برحلة للديار الباريسية، كان مقصودنا الأكيد منها عرض القضية المغربية على رجال الحكومة الفرنسية، والسعى معهم فى الوصول إلى حل يرضى الرغائب ويحقق المطامح».

والفقرة التالية:

«...وكما حرصنا بذلك فى خطاب السنة السالفة، عرضنا مطلبنا ذلك فى مذكرتين مؤرختين فى ثالث أكتوبر وفاتح نوفمبر من سنة خمسين وتسعمائة وألف، وأضفينا عليهما حلة الوضوح والبيان بأن

رغبنا فى أن تبنى علاقات المغرب بفرنسا على اتفاق يضمن للمغرب كامل سيادته، ويجعل صلته معها على أسس جديدة فى دائرة الود والصداقة واحترام المصالح للبلدين، وضمان مصالح العناصر القاطنة بمملكتنا الشريفة» .

إننا نعتقد كل الاعتقاد أن المغرب يستحق الاستقلال العاجل وأن له الحق فى الحصول عليه. فما هى الشروط والمؤهلات المطوبة لإدراك هذا الاستقلال زيادة على تاريخ مجيد وثقافة متينة وتضحيات جسيمة بذلت طواعية من أجل قضية الديموقراطية والرغبة الأكيدة فى نيل الحرية ؟

ماذا فعلت فرنسا في أربعين سنة؟

لقد مضت أربعون سنة على وصاية فرنسا وحمايتها. فإذا كانت الحكومة الفرنسية قد قامت بواجبها نحو المغاربة خلال هذه السنوات التى انصرمت، فإن المغرب كان من حقه أن يكون قد تأهل تدريجيا لإدراك الاستقلال. وإذا كان الفرنسيون لم يقوموا بذلك فإن الوقت قد حان بالنسبة إليهم ليعرضوا هم القضية على الأمم المتحدة كى يتلقوا منها فى هذه الجمعية السامية إرشادات ونصائح جديدة، ومن أجل مساعدة فرنسا فى بناء علاقاتها مع المغرب على أساس ملائم للميثاق، ولاحترام مبادئ الحرية وحق الشعوب فى تقرير مصيرها بنفسها انضمت بلادى إلى أقطار أخرى منخرطة فى الجامعة العربية فى المطالبة بتدوين المسألة المغربية فى جدول أعمال الجمعية العمومية.

ونحن نرى أن هيئة الأمم المتحدة هى المؤسسة التى ينبغى أن تطرح أمامها مشكلات من هذا النوع، فقد قام الدليل غير ما مرة على أن الشعوب التى لا تحكم نفسها بنفسها تجد هنا آذاناً صاغية إذ فى هذه المنظمة تتجسم المساعدة التى تحتاج إليها الشعوب غير المستقلة لتحقيق أمانيها فى الاستقلال.

إن الشعب المغربى يضع آماله فى منظمتنا ولا أدل على ذلك من آلاف البرقيات التى وردت علينا من ذلك القطر ويجب أن لا تخيب هذه الآمال. فلنتقدم إلى المغرب وإلى فرنسا بالإرشادات والنصائح الضرورية لتمكينهما من إقرار علاقات ودية بينهما.

سمعة الأمم المتحدة في الميزان

إن كل تهرب من تسوية هذه المشكلة وكل تسويف فى حلها قد ينجم عنه ضرر خطير يمس سمعة الأمم المتحدة ونفوذها، وقد تكون فى ذلك خيانة لواجبنا نحو مبادئ الميثاق إذا نحن ولينا الأدبار عندما يتعين بحث جميع المشكلات الدولية بدون تمييز لأن ذلك قد يحمل على الادعاء بأن هذه المنظمة واقعة تحت مراقبة بعض الدول الكبرى وانها وحدها تؤثر فى سياستها وفى أعمالها.

إننا نرجو أن تحترم فى هذه المنظمة دائما حرية المناقشة، وإمكانية عرض المسائل المختلفة المتنوعة على الجمعية العمومية وفقا للمادتين ١٠ و ١٤ من الميثاق وأن يظل هذا الاحترام معمولا به فى الميدان العملى.

لقد قيل لنا إن الوقت الآن غير ملائم لعرض القضية المغربية على هيئة الأمم المتحدة، لأن العلاقات بين الشرق والغرب متوترة الآن لدرجة عظيمة جدا، ولأن الشيوعية العالمية قد تستغل هذه الحالة لفائدتها، ونحن نرد على هذا القول بأن هناك أهدافا أسمى من أى نزاع مذهبى، وأنه يجب علينا ـ سواء كنا شيوعيين أو غير شيوعيين ـ أن نطمح لتحقيق هذه الأهداف، أو للدفاع عنها إن كانت موجودة. وألمح بهذا إلى حق الشعوب فى تقرير مصيرها وتحقيق استقلالها.

ويلوح لنا، علاوة على ذلك، أن هذه فرصة حسنة سنحت للعالم الغربى كى يبرهن فيها على انتصاره لقضية استقلال الشعوب وحريتها، بدلا من تأخير ذلك لحماية نفسه من الشيوعية، فعرقلة حرية الشعوب واستقلالها من شأنها أن تعطى السلاح للشيوعيين وتهيئ لهم تربة خصبة ليبذروا فيها أفكارهم.

وعلى ذلك فإذا نظرنا إلى المسألة من أية ناحية من نواحيها سواء كان ذلك من ناحية مبادئ الميثاق، أم من ناحية حق المغربة فى الاستقلال، أو من ناحية النزاع الدولى بين الشرق والغرب، أو على الأقل من ناحية تمتين روابط الصداقة القوية الموجودة بين فرنسا والعالم العربى، يبدو لنا أن من الواجب إدراج القضية فى جدول أعمال الدورة الحالية للجمعية العمومية. ولهذا نناشد جميع الوفود أن تصوت محبذة هذا الإدراج.

ونحن نتجه بذلك على الخصوص نحو الدول الغربية كى يتسنى لها أن تبرهن على أن العالم الغربى يدافع عن مثل الحرية والديمقراطية، ونداؤنا يتجه بصفة أخص إلى فرنسا تلك الأمة العظيمة التى طالما سعت فى نشر مثل الحرية والمساواة والأخوة، كى تسهر اليوم على أن تكون هذه المثل منفذة ـ لا داخل حدودها فقط ـ بل وكذلك بين بنى البشر أجمعين وخاصة المغاربة.

ونحن واثقون من أن تدوين هذه المسألة فى جدول الأعمال سيمكننا من إقرار علاقات ودية بين فرنسا حرة ومغرب حر، بين فرنسا ذات سيادة ومغرب ذى سيادة، على أساس الحرية والمساواة والأخوة.

الأستاذ صالح بن يوسف كما عرفته
وخلافه مع الرئيس بورقيبه

فى خريف ١٩٥١ عقدت الجمعية العمومية للأمم المتحدة اجتماعها السنوى فى باريس فى قصر «شايو» وكنت على رأس الوفد العراقى لذلك الاجتماع وانتخبت واحدا من نواب رئاسة الجمعية العمومية فى تلك السنة.

كانت جامعة الدول العربية قد قررت عرض قضية استقلال المغرب على الجمعية العمومية فى هذه الدورة فى باريس. وكان الوفد التونسى (برئاسة الوزير الأول الأستاذ محمد شنيق) المفاوض للحكومة الفرنسية حول استقلال تونس قد وصل إلى طريق مسدود.

دعا الأستاذ محمد شنيق رؤساء الوفود العربية وأمين عام جامعة الدول العربية إلى مأدبة غداء. أتذكر من المدعوين (وأنا واحد منهم) الأستاذ فارس الخورى (سورية) الدكتور محمد صلاح الدين (مصر) الأستاذ خليل تقى الدين (لبنان) الأستاذ عبد الرحمن عزّام (أمين عام جامعة الدول العربية).

وأتذكّر من الجانب التونسى: الأستاذ الحبيب بورقيبه والأستاذ صالح ابن يوسف والأستاذ محمد بدرة.

كان الأستاذ صالح بن يوسف جالسا إلى يمينى فتعرفت عليه للمرة الأولى وكان الحديث بيننا جادًا فوجدت فيه شخصية جذابة ذات عواطف إنسانية جياشة ووطنية صادقة. كان يحادثنى بلهجة المؤمن المتحمس ويحفزنى على الحركة والعمل فى الحقل الدولى من أجل استقلال تونس فوجد فىّ استجابة مخلصة لدعوته والحمد لله.

بسط الأستاذ محمد شنيق فى هذا الاجتماع مجرى المفاوضات بين تونس وفرنسا وأنها وصلت إلى طريق مسدود. وطلب عرض القضية التونسية على منظمة الأمم المتحدة. أبديت استعداد العراق للمشاركة فى هذه المهمة فى أقرب فرصة ممكنة مع إبداء أن الجمعية العامة أجلت النظر فى قضية المغرب (بعد أن قامت الوفود العربية والصديقة بعرضها) إلى اجتماع قادم فى نيويورك مجاملة للدولة المضيفة فرنسا. فلم يتيسّر عرض القضية التونسية على الجمعية العامة فى اجتماعها الحالى فى باريس.

ومع ذلك فإن العمل السياسى من أجل تونس لم يتوقف فى باريس. فقد رافقت الأستاذين صالح بن يوسف ومحمد بدرة لمقابلة رئيس الجمعية العمومية السيد «باديًا نرفو» المكسيكى فبسطا له القضية التونسية بسطا وافيا. ووعد السيد «نرفو» بمقابلة السيد شومان وزير خارجية فرنسا وحثّه على أن تغير فرنسا سياستها إزاء تونس وتعترف بحقها فى الاستقلال.

ثم جمعنا الوفود العربية الآسيوية فى قصر شايو لبحث القضية التونسية واتخاذ موقف موحّد للدفاع عنها. وتشكل وفد من رؤساء الوفود لمقابلة رئيس الجمعية العمومية من أجل القضية التونسية.

وهكذا ظل الأستاذان صالح بن يوسف ومحمد بدرة على اتصال مستمر بالوفود العربية الآسيوية ما داما فى باريس.

بعد عودتى للعراق وصلتنى رسالة من الأستاذ على البهلوان يطلب فيها تدخل العراق لدى الولايات المتحدة لتمنح الأستاذ صالح بن يوسف تأشيرة الدخول للولايات المتحدة فقمت بالمهمة وحضر الأستاذ صالح اجتماع الجمعية العمومية (خريف ١٩٥٢) إلى جانب الأستاذين محمد بدرة والباهى الأدغم.

اعتراض فرنسا وإحراج الحكومة العراقية

اجْتمعت اللجنة التوجيهية فأقرت درج قضية تونس فى جدول الأعمال. وفى اجتماع اللجنة السياسية رافقنى الأستاذ صالح بن يوسف الى الاجتماع وكذلك إلى قاعة الجمعية العمومية وجلس إلى جانبى ضمن الوفد العراقى.

أثار مندوب فرنسا نقطة نظام معترضا على وجود شخص فى الاجتماع لا حق له بالمشاركة فى الاجتماع. فهمت أنه يقصد الأستاذ صالح بن يوسف. جاءنى موظف من السكرتارية العامة مستفسرا أجبته بأن العضوية فى أى وفد من الوفود تعود إلى الدولة الموفدة وليس

من حق أى وفد أن يتدخل فى تكوين الوفود الأخرى معتبرا ذلك مسّا بالسيادة.

وبعد ذلك وجهت مذكرة إلى الأمانة العامة أخبرهم فيها بأن كلا من الأستاذين صالح بن يوسف ومحمد بدرة أصبحا عضوين مستشارين فى الوفد العراقى. وصار الأستاذ صالح بن يوسف يجلس مع الوفد العراقى بصفة رسمية.

وصلتنى بعد ذلك برقية من الخارجية (بغداد) تخبرنى عن مراجعة الوزير المفوض الفرنسى فى بغداد وزارة الخارجية العراقية (بناء على تعليمات من حكومته) مشتكيا من جلوس الأستاذ صالح بن يوسف ضمن الوفد العراقى.

أجبتهم بأن المصلحة القومية تستدعى ذلك وأن العضوية فى وفد أية دولة هو من صلاحية تلك الدولة. وهو جزء من سيادتها فلا يحق لفرنسا أن تمس السيادة العراقية.

جاءتنى برقية ثانية تقول: إن الوزير المفوض الفرنسى زار الخارجية ثانية وأبدى «أن السيد صالح بن يوسف بوصفه عضوا فى الوفد العراقى سيدلى ببيانات يتهجم فيها على فرنسا وسيكون لهذا العمل نتائج خطيرة على العلاقات بين العراق وفرنسا» وأن الحكومة العراقية ترى أن يتكلّم الأستاذ صالح بن يوسف أو غيره من التونسيين بصفتهم تونسيين.

لم أغير موقفى وقناعتى وهى أن فرنسا لا حق لها فى التدخل.

وصلتنى برقية ثالثة من بغداد تقول: «نرى أن يوحد الوفد العراقى مساعيه فى الدفاع عن تونس والقضايا العربية الأخرى مع بقية وفود الدول العربية مع مراعاة وضع العراق السياسى الخاص وأن قرار الحكومة العراقية النهائى أنه فى حالة اتخاذ السكرتارية العامة للأمم المتحدة قرارا باستماع شهادات وبيانات من التونسيين يمكنهم الادلاء بصفتهم تونسيين لا بصفتهم أعضاء فى الوفد العراقى.

إن هذه البرقية تنم عن عدم اطلاع المسئولين فى بغداد على الصلاحيات والمسئوليات التى تمارسها الدول ذات السيادة فى الحقل الدولى. فلم أغير موقفى.

وصلتنى برقية رابعة هى صورة البرقية التى بعث بها الوزير المفوض العراقى فى باريس إلى وزارة الخارجية يقول فيها: «إن رئيس الجمهورية الفرنسية استدعاه إلى قصر الإليزيه وبعد المجاملة قال له إن لى رسالة أرجو إبلاغها إلى حكومتهم وهى أنى متألم من موقف العراق تجاه فرنسا فى القضية التونسية. وأن التهجمات القاسية من أعضاء الوفد العراقى فى الأمم المتحدة لا تنم عن أى صداقة وبعيدة حتى عن المجاملة. ولذا فإنى متأثر من هذا الموقف... كما أن فرنسا لا تحتاج الى درس من العراق وانها تحب العرب والإسلام وتعتز بهذه الصداقة وتريد أن تحافظ على ذلك...».

وفى الحقيقة لم تكن هناك تهجمات على فرنسا فالوفد العراقى كان يشيد دوما بمبادئ الحرية والمساواة والإخاء التى جاءت بها الثورة الفرنسية كما أن العراق يقدر دوما ما أنجزته فرنسا فى حقل العلوم والفنون والآداب. فالتهجم (إن وجد) كان على الاستعمار أهدافه وأساليبه. فالاستعمار الفرنسى مناقض لمبادئ الحرية والمساواة والإخاء وهى المبادئ التى تعتز بها فرنسا وتفتخر. وليس قليلا عدد الفرنسيين انفسهم الذين ناهضوا الاستعمار الفرنسى فهل يعتبر ذلك تهجما على فرنسا؟

إن ضم الأستاذين صالح بن يوسف ومحمد بدرة إلى الوفد العراقى كان بدافع قومى بحت. فإنه فتح باب الدخول إلى الأمم المتحدة والاتصال المباشر بالوفود بكامل الحريّة. ولقد قام الأستاذ صالح بنشاط وهمّة لا تعرف الكلل بالاتصال بالوفود الدولية المتعددة شارحا لهم القضية التونسية ومطالبة الشعب الفرنسى بالاستقلال التام وموقف الاستعمار الفرنسى المتعنّد منه.

(ونلحق بهذه الكلمة صورا فوتوغرافية تعبر عن نشاط الأستاذ صالح ابن يوسف فى الأمم المتحدة).

إن انضمام الأستاذين صالح بن يوسف ومحمد بدرة الى الوفد العراقى أصبح سابقة يحتذى بها. فقد قام الوفد الباكستانى الذى كان يرأسه، السيد محمد ظفر الله خان وزير خارجية الباكستان بضم

الأستاذ (أحمد بلفريج) مندوب المغرب إلى الوفد الباكستانى ثم إن الوفد العراقى ضم (فيما بعد) السيدين فرحات عباس وحسين آية أحمد من الجزائر إلى الوفد العراقى.

وللتاريخ والإنصاف أسجل أنى بعد عودتى إلى العراق من باريس كان فى استقبالى وزير الخارجية (بالوكالة) الذى عانقنى وقال إنى «بيضت وجه العراق» فى تمسكى بضم السيد صالح بن يوسف إلى الوفد العراقى مع الإصرار.

الأستاذ صالح بن يوسف ومؤتمر باندونغ

إن الأستاذ صالح بن يوسف حركى عاطفى لا يتحمل سير الأمور ببطء وميوعة كما هو الحال فى الجمعية العامة فى الأمم المتحدة. ولما كان لفرنسا مؤيدون كثيرون فى الأمم المتحدة كانت الجمعية العامة تصدر قرارات هادئة تدعو إلى التفاوض وحلّ القضية التونسية وأمثالها بالطرق السلمية. ولما كنت أشارك الأستاذ صالح فى عدم الرضا عن الشكل الذى تسير فيه الأمور وتعالج القضية خطر لى على أثر إبعاد المغفور له السلطان محمد الخامس ملك المغرب إلى جزيرة مدغشقر ضرورة عقد مؤتمر آسيوى. أفريقى من أجل قضيتى المغرب وتونس كالمؤتمر الذى عقد فى الهند من أجل استقلال أندونسيا. فكتبت بذلك إلى الأستاذ علال الفاسى وإلى الأخ على البهلوان فى القاهرة فلقيت الفكرة قبولا من الإخوان فى القاهرة وبدأ الأستاذ صالح بن

يوسف يبذل مساعيه لتحقيق فكرة عقد المؤتمر، فقد استلمت رسالة من الأستاذ على البهلوان أنقل منها الفقرتين التاليتين:

«وقد جرت محادثة بين رئيس حكومة الهند الانديت نهرو عند مروره بالقاهرة وبين الأستاذ صالح بن يوسف بيّن فيها نهرو موقف حكومة الهند من القضية التونسية. فقال إن الهند عازمة على متابعة الجهود بصفة جديّة لفائدة تونس وإنها تؤيد قضيتها تأييدا كاملا وستناصرها لا محالة فى المحافل الدولية خصوصا فى الأمم المتحدة كما ساندتها فى الماضى. ولكن فيما يتعلق بدعوة الدول الأفريقية الآسيوية إلى مؤتمر بنيودلهى فإن الظروف الحالية لا تسمح بذلك لأنه يظهرها بمظهر المتحرّش بفرنسا أمام الرأى العام الدولى لما بين الهند وفرنسا من منازعات شديدة حول المستعمرات الفرنسية بالهند.

ومن الملاحظ أن نهرو وإن لم يتبنّ فكرة ذلك المؤتمر المنشود إلا أنه لم يرفض الاشتراك فيه إذا ما قامت دولة أخرى بالدعوة إليه» هذا مسعى جدّى قام به الأستاذ صالح بن يوسف من أجل مؤتمر باندونغ.

أما الأستاذ على البهلوان فيقول فى الرسالة ذاتها:

«وقد اجتمعت قبل أيام بمعالى سفير أندونسيا بباريس عند مروره بالقاهرة فأعلمنى أنه أصبح رئيس دائرة الشرق الأوسط بوزارة الخارجية الأندونسية. ولما فاتحته بالموضوع أظهر استعدادا للسعى فى تحقيقه ووعدنى بأنه سيبذل قصارى جهده لإقناع فخامة أحمد سوكارنو والحكومة الأندونيسية».

هذا وإن الأستاذ علال الفاسى هو بدوره عمل من أجل عقد مؤتمر باندونغ. وهكذا تظافرت الجهود من جهات متعددة إلى عقد المؤتمر فعقد فى «أفريل» ١٩٥٥ : بشكل موسع ولغايات دولية شاملة وقد حضره الأستاذ صالح بن يوسف كمراقب وكان على اتصال دائم بالوفود من أجل قضايا شمال أفريقية فاتخذ المؤتمر قرارا بتأييد مطالبة كل من الجزائر والمغرب وتونس بحق تقرير المصير والاستقلال ودعا الحكومة الفرنسية إلى تحقيق ذلك سلميا من دون تأخير».

الخلاف بين الأخوين الحبيب بورقيبه وصالح بن يوسف

بعد العودة من مؤتمر باندونغ إلى العراق بمدة قصيرة سمعنا بأن الأستاذ الحبيب بورقيبه عاد إلى تونس من فرنسا حاملا وثيقة الحكم الذاتى الذى توصل إليه بعد جهد جهيد من المفاوضات. وكان الحكم الذاتى فى نظر الأستاذ الحبيب مرحلة يعقبها الاستقلال وفق خطة المراحل ومبدأ «خذ وطالب» الذى درج عليه.

ثم علمنا أن العديد من الأخوان التونسيين من أمثال صالح بن يوسف ويوسف الرويسى وحسين التريكى وبعض الأخوة المغاربة من أمثال الأستاذ علال الفاسى المقيمين فى القاهرة لم يرتضوا ما حققه الأستاذ بورقيبه معتبرين ذلك استسلاما للمستعمر وشرخا للحق الوطنى الكامل.

ونحن فى العراق كنا نألف ما يحصل من خلاف وتصادم بين من يوقع معاهدة أو اتفاق مع بريطانية من جهة وبين من يعارض من الجهة

الأخرى. وكان هناك شبه تفاهم ضمنى بين الحكومة والمعارضة فى أيام حكم الملك فيصل الأول رحمه الله.

لم أطلع على ما حصل بين الأستاذين الحبيب بورقيبه وصالح بن يوسف لمدة تزيد على السنة حتى جاءنا الأستاذ حسين التريكى إلى العراق حاملا رسالة من الأستاذ صالح بن يوسف إلى رئيس الوزراء السيد نورى السعيد وأخرى إلىّ. وشرح لنا الخلاف الذى أدى الى قطيعة بين الأخوين المجاهدين. ومن الرسائل ومن شرح الأستاذ حسين التريكى علمنا أن الأستاذ الحبيب بورقيبه بعد أن تحقق لتونس الاستقلال التام تنكر للأستاذ صالح بن يوسف والجماعة الذين لم يرتضوا بالأمس وثيقة الحكم الذاتى معتبرين إياها غير محققة للآمال ومحملين الأستاذ الحبيب مسئولية الإذعان لفرنسا.

وضع مؤسف ومؤلم أن يتحول الخلاف فى الرأى إلى قطيعة وجفوة بين الأخوين. طلب الأستاذ صالح من رئيس الوزراء السيد نورى التدخل لحلّ الأزمة بينهما وهأنا أرفق صورا من رسالة الأستاذ صالح بن يوسف إلىّ وصورة جوابى على الرسالة ورسالة الأستاذ حسين التريكى إلىّ بعد عودته من بغداد إلى القاهرة.

وساطتى بين الأخوين

فى سنة ١٩٥٦ عاد الملك محمد الخامس من منفاه إلى عرشه فى المغرب بعد أن حقق الاستقلال التام. وفى الوقت نفسه حصلت تونس على الاستقلال التام وانتهى عهد الحكم الفرنسى.

وفي جويلية ١٩٥٦ كنت موفدا من قبل ملك العراق (الملك فيصل الثاني) لتقديم التهاني للبلاد الشقيقة التي حققت استقلالها في الشمال الأفريقي. المغرب فتونس فليبيا.

في تونس كانت لي جلسة خاصة في ديوان الرئاسة مع الأستاذ الحبيب بورقيبه حول العلاقات بينه وبين الأخ صالح بن يوسف. فقال لي إن لديه أدلة قاطعة على أن صالح بن يوسف يريد القضاء عليه. أدركت أن العلاقات بين الأخوين بلغت مرحلة في غاية التأزم. فما كان مني إلا أن أحاول تهدئة الموقف مؤكدا على ضرورة التغلب على العوامل الشخصية والعاطفية والإهتمام المشترك بمصلحة الأمة والوطن.

من تونس ذهبت إلى طرابلس (ليبيا) فوجدت الأخ الأستاذ صالح ابن يوسف في انتظاري.

أثناء وجودي في ليبيا كنا معا في معظم الأوقات وكان يدعى للحفلات التي كنت أدعى إليها. وكان مجيئه يحرج السفير التونسي فيغادر الحفلة أحيانا. بحثت معه موضوع علاقته بالأستاذ الحبيب بورقيبه مفصلا ووقفت على العوامل النفسية والمبدئية والسياسية التي تفرق بينهما. اقترحت على الأخ صالح أن يبقى في طرابلس لمدة شهرين أو ثلاثة بهدوء تام وأن يسمح للأعصاب أن تهدأ لدى الطرفين. ثم يحرر رسالة أخوية للحبيب يعرب فيها عن ضرورة فتح صفحة جديدة بعد الاستقلال يتعاون فيها الأخوة لتحقيق أهداف

تونس في الإنشاء والبناء. وأنا مستعد بعد ذلك للاتصال بالرئيس بورقيبه مجددا وأحاول ربط الصلة بين الأخوين.

وافقني على اقتراحي هذا ووعد بتنفيذه ولكن علمت بعد ذلك أنه ذهب إلى مصر واتصل بالرئيس جمال عبد الناصر الذى لم يكن على علاقات صافية مع الأستاذ بورقيبه. فكانت القطيعة الحاسمة بين الأخوين المناضلين.

في اليوم الثاني لحصول تونس على الاستقلال التام أرسل إليّ الأخ الأستاذ على البهلوان رسالة شخصية يبشرني فيها بنيل تونس الاستقلال ويتحدث عن طموحات تونس في الإنشاء والتعمير في عهد الاستقلال متسائلا عن استعداد العراق للمساهمة في ذلك. ثم إنه تكلم عن الانتخابات للمجلس التأسيسي وقال إنه يتمنى لو وجدت معارضة في المجلس لأنها ضرورية في الحياة الديمقراطية ولكن المعارضة الوحيدة هي معارضة الأخ صالح بن يوسف ولكنها زالت من الوجود.

لم أسمع بعد لقائنا في ليبيا عن الأخ صالح بن يوسف ثم قامت الثورة العراقية 14 تموز (جويلية) 1958 فحكم عليّ بالإعدام و 55 سنة سجن ولما خرجت من السجن بعد ثلاث سنوات وغادرت العراق ١٩٦٢ كان المرحوم الأستاذ صالح بن يوسف قد استشهد، رحمة الله عليه!

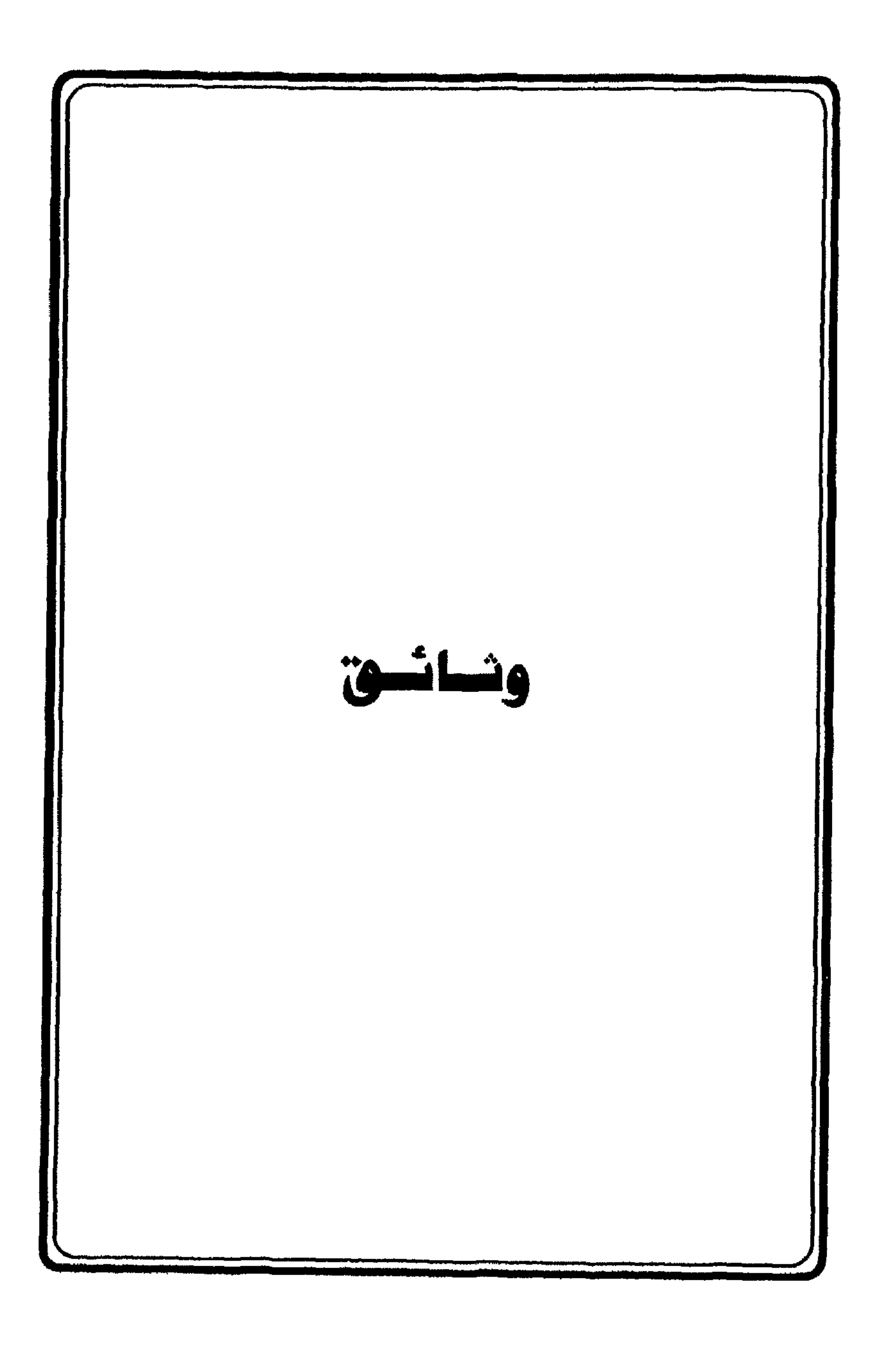
تقديري للأخوين

أنا مقتنع بأن كلا من الأخوين الأستاذ الحبيب بورقيبه والأستاذ صالح بن يوسف قدم لوطنه خدمة لا تنسى، فالأستاذ الحبيب بورقيبه اتبع سياسة المراحل: سياسة خذ وطالب، وهى السياسة التى تفرضها الظروف فى التعامل بين دولة صغيرة ضعيفة أمام دولة عظمى. ولولا سياسة المراحل لتأخر نيل تونس الاستقلال التام ولقامت حروب ضارية مستمرة بين فرنسا وتونس كما حصل فى الجزائر.

أما وقد حصلت تونس على «الحكم الذاتى» فإن معارضة صالح بن يوسف وعلال الفاسى وغيرهما للحكم الذاتى كانت مفيدة كل الفائدة، إذ جاءت بالاستقلال التام للمغرب الشقيق، ولم تستطع فرنسا أن تحجب الاستقلال التام عن تونس بعد أن حصل المغرب على الاستقلال التام.

إذن فالمعارضة كان لها دور إيجابى فى تحقيق الاستقلال لكل من المغرب وتونس وفى نظرى أن دور صالح بن يوسف جاء مكملا لا مناقضا لدور بورقيبه.

والأخوان كلاهما مجاهدان مخلصان لوطنهما. ولو تغلبت الأفكار على العواطف لتعاون الأخوان وتكاملا بدل أن يتخاصما ويتصادما. ولله الأمر من قبل ومن بعد.



وثائق

الحزب الحرّ الدستورى التونسى

ص. ب. رقم ١١٧١ . القاهرة ٢٧ أغسطس ١٩٥٢

حضرة صاحب المعالى الدكتور فاضل الجمالى

وزير الخارجية العراقية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

أما بعد، فإن تونس لن تنسى للعراق أياديها البيضاء ولن تنسى لوزير خارجيتها معالى الدكتور فاضل الجمالى احتضانه بقضيتها. وان تلك الأيادى البيضاء ومساعدة الشقيقة لشقيقتها تزداد وتتضاعف، وقد طالعت اليوم فى الصحافة أن الوزارة العراقية تفضلت على تونس ووافقت على ضمى كمستشار للوفد العراقى إلى الجمعية العامة وإنى أقبل هذا الشرف باعتزاز وأن هذا النبأ العظيم سيدخل على الشعب التونسى المجاهد سرورا وابتهاجا.

وإن سروره يتضاعف ويقينه بنجاح قضيته يزداد رسوخا لو أمكن فى آن واحد أن يتحصل معالى صالح بن يوسف على تأشيرة الدخول لأمريكا، إذ أنه رئيس البعثة الوزارية التونسية الرسمى لجلالة ملك تونس ولا يمكن أن ينضم لأجل تلك الصفات الرسمية إلى وفد من الوفود،.

وقد قدم مطلبا للحصول على تأشيرة الدخول إلى أمريكا، وإننا نتقدم لمعاليكم بأن تتفضلوا بالتدخل لدى حكومة الولايات المتحدة لمنح تلك التأشيرة المطلوبة.

وإن تونس لتعقد على معاليكم آمالا جساماً.

وتفضلوا معاليكم بقبول فائق الاحترام والتعظيم.

أبقاكم الله ذخرا للعروبة والسلام.

على البهلوان

الأمين العام المساعد للحزب الدستورى التونسى

صورة البرقية الواردة إلى وزير الخارجية

الدكتور محمد فاضل الجمالى

قدم الوزير المفوض الفرنسى بناء على تعليمات من حكومته شكواها عن جلوس صالح بن يوسف مع رئيس الوفد العراقى فى المقاعد المعدة له فى الجمعية العمومية فيما اعتبرته فرنسا مظاهرة غير ودية من العراق. سألناه عما إذا كانت حكومته اعترضت لدى رئيس المجلس أجاب بالإيجاب، نورونا.

خارجية

برقية وزارة الخارجية رقم ٤٩

لاحقا لبرقيتنا ٤٦ زارنا الوزير المفوض الفرنسى مرة ثانية وأبلغنا أن وزارة الخارجية الفرنسية أخبرته أن معالى رئيس الوفد العراقى طلب رسميا إلى الجهات المختصة فى سكرتارية الأمم المتحدة العامة السماح لصالح بن يوسف بالجلوس فى المقاعد المعدة للوفد العراقى فى اللجنة الأولى وتعتقد المراجع الفرنسية أن المومأ إليه سيدلى ببيانات بصفته عضوا فى الوفد العراقى يتهجم فيها على فرنسا وأضاف أن تعليمات حكومته هى طلب مواجهة رئيس الوزراء والتصريح إليه أنه فى هذه الحالة سيكون لهذا العمل نتائج خطيرة على علاقات العراق وفرنسا، يرجى تنويرنا وتزويدنا باقتراحاتكم. والأفضل أن تتخذ اللجنة قرارا باستماع إفادة صالح بن يوسف أو غيره بصفته تونسيا.

برقية وزارة الخارجية رقم ٥١

جوابا على برقيتكم رقم ٢٠ نرى أن يوحد الوفد العراقى مساعيه فى الدفاع عن تونس والقضايا العربية الأخرى مع بقية وفود الدول العربية مع مراعاة وضع العراق السياسى الخاص. نرى أن لا يدخل ضمن أعضاء الوفد العراقى غير العراقيين أما جواز جلوس صالح بن يوسف خلف الوفد العراقى من عدمه فأمر تقرره السكرتارية العامة للأمم المتحدة من الناحية الأصولية.

إن قرار الحكومة العراقى النهائى أنه فى حالة اتخاذ السكرتارية العامة للأمم المتحدة قرارا باستماع شهادات أو بيانات من التونسيين فيمكنهم الإدلاء بها بصفتهم تونسيين لا بصفتهم أعضاء فى الوفد العراقى.

بغداد في ١٩٥٢/١٢/٢٢

الرقم ٧٥ ما يلي لمعالي الدكتور الجمالي. نكرر نص برقية مفوضيتنا في باريس المؤرخة ١٩ الجارى. قبل يومين تلفن إلى سكرتير فخامة رئيس الجمهورية الفرنسية. قال لى إن فخامة رئيس الجمهورية يرغب في مقابلتك في قصر الأليزا في الساعة الرابعة بعد ظهر الجمعة وفي الموعد المحدد ذهبت اليوم إلى القصر المذكور فاستقبلني رئيس الجمهورية وبعد المجاملة المألوفة قال شيئين: إنني آسف باستدعائك إذ أن لي رسالة أرجو إبلاغها إلى حكومتكم وهي أنني متألم من موقف العراق تجاه فرنسا في القضية التونسية وأن التهجمات القاسية من أعضاء الوفد في الأمم المتحدة لا تنم عن أى صداقة وبعيدة حتى عن المجاملة ولذا فإنني متأثر من هذا الموقف الذى أرجو أن يوضع حد له كما أن فرنسا لا تحتاج إلى درس من العراق وأنها تحب العرب والإسلام وتعتز بهذه الصداقة وتريد أن تحافظ على ذلك على مر الزمن. في الأخير رجاني إبلاغ تحياته إلى صديقه العزيز... ثم ودعني عندما انصرفت حتى خارج باب مكتبه.

الحزب الحر الدستورى التونسى

٣٢ شارع عبد الخالق ثروت

القاهرة ١١ يوليو ١٩٥٢

.... حضرة صاحب المعالى الدكتور فاضل الجمالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد، فإن اعتقادنا بعد الاتصالات التى قمنا بها هنا بالقاهرة أن فكرتكم الفعالة فى عقد مؤتمر عربى آسيوى لفائدة القضية التونسية مماثل للمؤتمر الذى عقد بنيودلهى الذى حقق لأندونيسيا استقلالها، أصبحت فى حيز الإمكان.

وقد جرت محادثة بين رئيس حكومة الهند البانديب نهرو عند مروره بالقاهرة، وبين الأستاذ صالح بن يوسف بيّن فيها نهرو موقف حكومة الهند من القضية التونسية فقال إن الهند عازمة على متابعة الجهود بصفة جدية لفائدة تونس وإنها تؤيد قضيتها تأييدا كاملا وستناصرها لا محالة فى المحافل الدولية وخصوصا فى هيئة الأمم كما ساندتها فى الماضى. ولكن فيما يتعلق بدعوة الدول الأفريقية الآسيوية إلى عقد مؤتمر بنيودلهى فإن الظروف الحالية لا تسمح للهند بذلك العمل لأنه يظهرها فى مظهر المتحرش أمام الرأى العام الدولى لما بين الهند فرنسا من منازعات شديدة حول المستعمرة الفرنسية بالهند.

ومن الملاحظ أن نهرو وإن لم يتبنّ فكرة دعوة ذلك المؤتمر المنشود إلا أنه لم يرفض الاشتراك فيه، إذا ما قامت دولة أخرى بالدعوة إليه.

واعتمادا على ذلك قمت باتصالات مع سفراء بعض الدول الآسيوية لمعرفة رأيها فى ذلك الموضوع وخصوصا معالى سفير أندونيسيا الجنرال عبد القادر الذى وجدت منه التشجيع والتأييد بل صرح لى أنه يؤمل أن تتبنى أندونيسيا تحقيق هذه الفكرة.

وقد اجتمعت قبل ذلك بأيام بمعالى سفير أندونيسيا بباريس عند مروره بالقاهرة، فأعلمنى أنه أصبح رئيس دائرة الشرق الأوسط بوزارة الخارجية الأندونيسية.

أما الباكستان فسأقابل القائم بأعمال سفارتها بالقاهرة للاتصال مع حكومته ومعرفة رأيها فى الموضوع.

ومهما تكن جهودنا فإنها تحتاج إلى تأييد منكم ومساندة، بل الفكرة نفسها هى فكرتكم وأنتم أقدر الناس على تحقيقها وإن دوركم فى نجاحها هو الدور الرئيسى، ولذا فإن تونس ترجو من معاليك أن تتبنوا قضيتها فى هذه المرّة كما تبنيتموها فى أول أمرها وتعملوا لتحقيق دعوة ذلك المؤتمر وأن تبلغونا نصائحكم الغالية تثبيتا لخطانا وتقريبا للنجاح النهائى.

ولو أمكن أن تصدر الدعوة لعقد ذلك المؤتمر من حكومة إحدى الدول العربية لكان أقرب لنجاحها، لأن تونس عربية ولأن قضيتها إنما

تعتبر فى نظر الرأى العام الدولى إحدى القضايا العربية ولأن الدول الصديقة تريد أن تكون تابعة للدول العربيـة ـ فيما يتعلق بقضايا المغرب ـ وألا تقوم بدور القيادة والرعاية فيها.

ولا يخفى على معاليكم أن الظروف الراهنة التى تعيشها الدول العربية تجعل من العسير على غير العراق القيام بذلك العمل.

وإننا ننتظر رأيكم السديد لنتابع على ضوئه وبمساندتكم ما شرعنا فيه من عمل. وأن تونس لتعول عليكم وتضع أملها فيكم.

وتفضلوا معاليكم بقبول فائق الاحترام وجزيل الشكر والسلام.

(على البهلوان)

الأمين العام المساعد

للحزب الحر الدستورى التونسى

الحزب الحر الدستورى التونسى

الديوان السياسى ٩٤ باب سويقة ـ تونس

تونس ١٩٥٦/٥/٢

حضرة صاحب الفخامة

والصديق الودود سيدى الفاضل الجمالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد، فأظن أنه بلغ لعلمكم أن القضية التونسية التى أصبحت منذ زمن طويل قضية العراق نفسه وقضيتكم الخاصة إذ دافعتم عنها من الداخل والخارج قد خطت فى المدة الأخيرة الخطوة الحاسمة حيث أتممنا ما شرعنا فيه وحصلنا منذ يومين على استقلالنا التام.

ونحن اليوم نعد العدّة لانتخاب مجلس تأسيسى ينظم دستور الدولة التونسى. وقد رشحت نفسى لعضويته كرئيس القائمة بمنطقة الوسط الغربى. وكونا جبهة قومية تضم الحزب ونقابات العمال والتجار والصنائعية واتحاد المزارعين والمستقلين الذين شاركونا فى الكفاح أمثال صاحب المعالى محمد بدره. وأظن أن جبهتنا ستتحصل على الأغلبية السياسية وربما تحصل على الإجماع كما هو متوقع. وكان بودنا أن نجد معارضة. إذ المعارضة ضرورية فى النظام الديمقراطى. ولكن ليس

فى البلاد التونسية معارضة ما عدا التى كونها صديقنا القديم صالح بن يوسف والتى اضمحلت تماما تقريبا خاصة بعد أن حصلنا على الاستقلال التام.

الآن تضاعفت مسئوليتنا بعد أن أنقذنا هذا الوطن العربى من الاستعمار. بقى الطور الثانى من الكفاح. طور البناء والتشييد. وقد ساءت حالة البلاد اقتصاديا إثر ذلك الكفاح الطويل. فنحن فى حاجة أكيدة إلى رءوس أموال ضخمة لاستثمار أراضينا الشاسعة وبناء السدود والجسور والمدارس والمستشفيات والدور للسكن. ولإقامة صناعة تونس لتحرير المواد الأولية الكثيرة التى تنتجها بلادنا. وأول بلد عربى نتجه إليه هو العراق.

وقد أسسنا شركات خاصة أيضا ونحن بصدد تأسيس بعض البنوك. وقد فاتحت صديق الجميع حضرة صاحب المعالى عبد المجيد محمود فى الموضوع. فإذا كانت إمكانية للتعاون الإقتصادى والمالى بين تونس والعراق فإنى مستعد للسفر إلى بغداد للبحث مع المسئولين هناك فى تلك الإمكانيات.

بلّغوا تحياتى الخالصة للحرم المصون وجميع الأبناء الإخوان. وتفضلوا بقبول أحرّ سلام وأخلص تحية من صديق لا ينسى أعمالكم الجليلة وإكرامكم. والسلام.

(على البهلوان)

١٠ شارع رومة ـ تونس ـ

لجنة تحرير المغرب العربي

٣٢ شارع عبد الخالق ثروت باشا

القاهرة: في ١٩٥٧/٥/١٤

حضرة الأخ الكريم والصديق الحميم فخامة الدكتور فاضل الجمالي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد فإني أتشرف بأن أقدم إلي فخامتكم الأستاذ المجاهد حسين التريكي الذي أوفدته في مأمورية هامة لدى فخامة الرئيس دولة نوري السعيد باشا.

وإني أعتمد على أخوتكم في التفضل بمساعدة أخي حسين التريكي وتزويده بنصائحكم الغالية التي طالما أفادتني شخصيا في مناسبات عديدة جمعنا فيها عملنا المشترك لصالح القضية التونسية والقضايا العربية بصفة عامة.

وسيشرح لكم أخي حسين الوضع الحاضر الذي عشناه معا بتونس، حتى تتصوروا الحالة بكل وضوح.

وإني أغتنم هذه الفرصة لأجدد لكم عواطف الصداقة الأخوية، مؤملا أن تسمح لي ظروفي بزيارتكم في وقت قريب إن شاء الله.

المخلص: صالح بن يوسف

لجنة تحرير المغرب العربي

الوفد التونسي

أخى العزيز الأستاذ صالح:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد، فقد حمل إلىّ الأخ الأستاذ حسين التريكى رسالتكم الكريمة وكم كنت أتمنى أن أحظى برؤياكم مع الأستاذ حسين بدل الرسالة، فإنى مشتاق كثيرا لرؤياكم والتحدث إليكم لا سيما وتونس العزيزة وقضيتها التى هى جزء من قضية المغرب العربى الكبير تحل المحل الأول فى قلبى وفكرى.

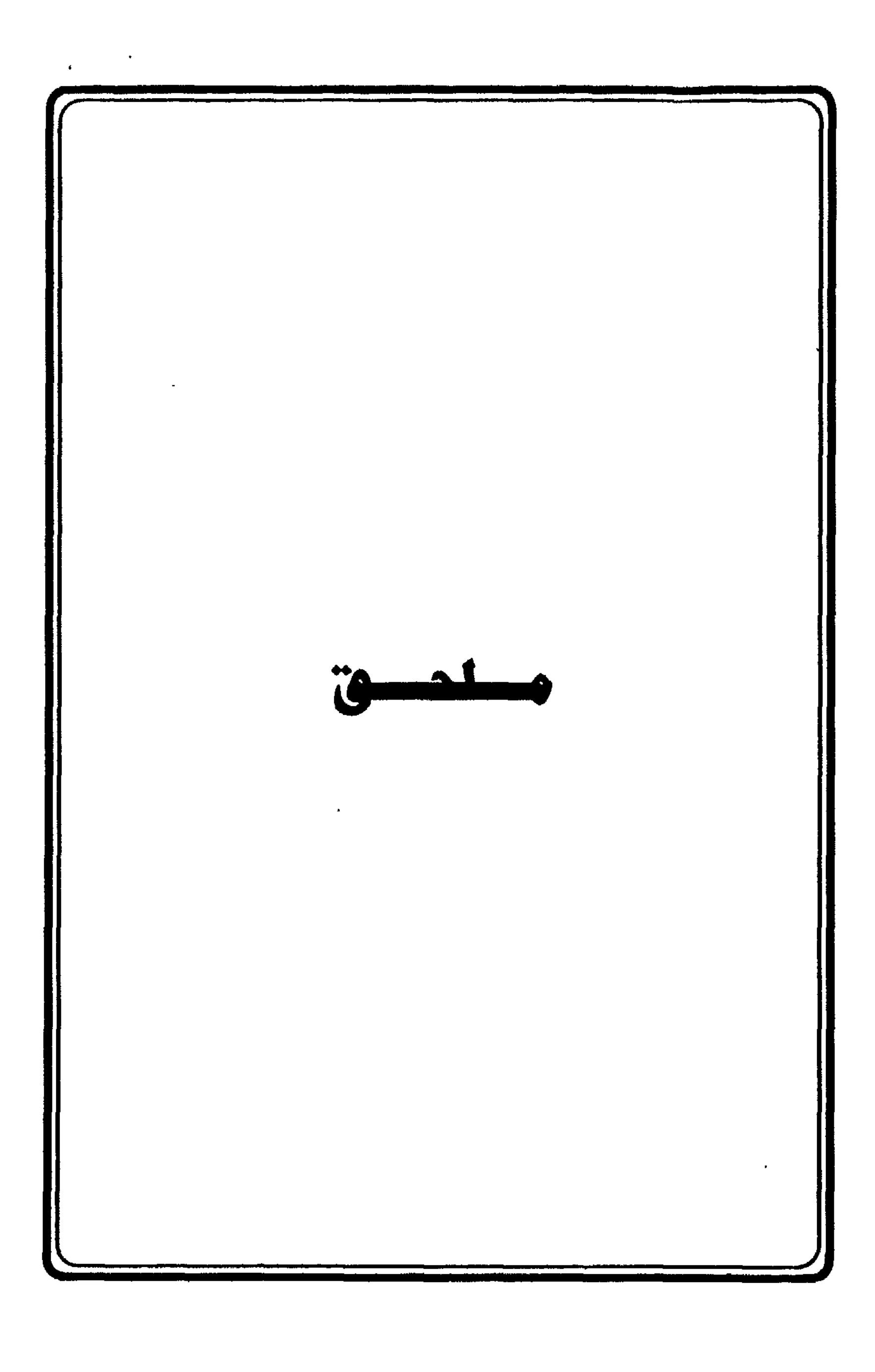
أخى، أنا متألم كثيرا لما حصل بينكم وبين الأخ الحبيب بورقيبه لا سيما وكلاكما له أمجاد شامخة فى الحركة الوطنية التونسية وإنى أرى أن المصلحة القومية تتطلب هدوء الأعصاب والتسامح بين الإخوان والوصول إلى خطوط عامة فى السياسة يتفق عليها بين الطرفين. أنا أفهم أن تكون هناك حكومة وتكون معارضة ولكن ذلك يجب أن يجرى وفق القواعد الرياضية (السبورت) فلا يبلغ الخلاف إلى درجة التجافى والخصومة.

رئيس وزراء العراق حاضر لتأدية أية خدمة لإصلاح ذات البين فيما إذا رغبتم أنتم والأستاذ بورقيبه فى تدخل العراق. أما أنا شخصيا فأعتبر نفسى من الأسرة التونسية وأضع نفسى تحت تصرفكم فأرجو إخبارى بما أستطيع أن أقوم به.

لقد سررت كثيرا بالتعرف على شخصية محبوبة هى شخصية الأستاذ حسين التريكى وأرجو أن أراكم حين يكون الجوّ فى العراق ألطف وتكون حرارة الصيف قد خفت.

أشواقى وتمنياتى الطيبة لكم وأسلم لأخيك.

محمد فاضل الجمالى



ملحق



السيد صالح بن يوسف الزعيم التونسي إلى جانب المؤلف
في قاعة الجمعية العامة للأمم المتحدة ١٩٣٢



في انعقاد الجمعية العامة للأمم المتحدة في باريس
الشيخ البشير الابراهيمي يلقي كلمة في حفلة عشاء (أقامها المؤلف في باريس سنة ١٩٥١)
يعلن فيها استعداد الجزائر للقيام بثورة عارمة في سبيل تحريرها

حسين التريكي مكتب ٤٥٨٩٤

أمين صندوق مكتب المغرب العربي سابقا منزل ٣١٩٧٣

حضرة صاحب الفخامة

الدكتور فاضل الجمالي

بغداد

تحية العروبة الخالدة

وبعد... فإني أبعث إلى فخامتكم بأطيب تحياتي وأجمل تمنياتي وجزيل شكري على ما حابيتموني به من عطف وكرم وحسن وفادة عربية أصيلة. وإني سوف أذكر تلك الأيام التي قضيتها في بغداد الخالدة التي طالما أنارت العالم بنور الهداية والمعرفة... ولن أنسى أريحتكم وكرمكم وحسن وفادتكم جزاكم الله عن تونس وعن الجزائر وعن العروبة كل خير.

لم أتمكن من مقابلة الأخ صالح فهو في ليبيا.. ولم أتمكن من السفر إلى هناك واكتفيت بإرسال خطابكم إليه مع رسالة مطولة شرحت له فيها أطوار مهمتي في بغداد. وإني أرجو أن أراه قريبا في القاهرة حيث أتحدث معه في كل الموضوعات التي بحثتها مع فخامتكم وأحيطكم علما بما سوف يستقر عليه الرأي.

هذا وإنى أكرر شكرى وامتنانى راجيا فخامتكم أن تقرئوا كل إخواننا أطيب التحية وأجمل التمنيات.

وتفضلوا بقبول فائق التحية...

أخوكم فى العروبة والإسلام

حسين التريكى

١٩٥٦/٦/١٢

٩ شارع معمل السكر

جاردن سيتى ـ القاهرة

التحول السياسى فى

تونس وإنجازاته

- فى الذكرى الخامسة للسابع من نوفمبر1987 -

فى مثل هذه الأيام وقبل أربعين سنة بالضبط كانت الأمم المتحدة تبحث القضية التونسية وكنت بوصفى ممثلا للعراق أحد المدافعين المتحمسين عن حق تونس بالاستقلال. وقد تحقق الاستقلال التام سنة 1956 والحمد لله. وها هى ثلاثون سنة تنقضى وأنا أعيش فى تونس كواحد من أبنائها، وقد اقتنعت بأن تونس واحة خضراء فى هذا العالم الصاخب يسودها الأمن والاستقرار والإنسانية المتزنة المحبة للسلام والإنصاف. والسرّ فى ذلك فى نظرى (إلى جانب العامل التاريخى والجغرافى) يكمن فى أن الشعب التونسى النبيل مؤمن بالله وبرسالة محمد بن عبد الله ﷺ فهو شعب مسالم محبٌ للخير والإنصاف والانسجام وقد حباه الله قيادة حكيمة حليمة تتسم بحب الخير للشعب وبكرامة الإنسان وحقه فى الحياة الهانئة السعيدة. فبعد أن تأسست الجمهورية التونسية سنة 1957على أسس إنسانية وعقلانية تضاهى المجتمعات الحية الراقية قطعت تونس أشواطا بعيدة فى سبيل الرقى والعمران.

وقد قام الرئيس الأول للجمهورية الزعيم الحبيب بورقيبه بجهاد وجهود مشكورة ولكن عامل الزمن والتقدم فى العمر استوجب التحويل والتغيير، والتحويل والتغيير سنّة الله فى خلقه؛ فكل ما فى الوجود يتغير ولا خلود إلا لخالق الوجود. فسعدت تونس بقيام ابن تونس البار الرئيس زين العابدين بن على بإنجاز التحويل فى 7 نوفمبر 1987.

لقد أشرف كاتب هذه السطور على التسعين من العمر وقد شهد تحوّلات وانقلابات وثورات عديدة فى حياته منها ما هو همجى ودموى كما حصل فى العراق فى الثورة على العهد الملكى سنة 1958 حين كان الناس يقتلون بلا حساب ويسحلون فى الشوارع فقد قتل شخصان فى اليوم الأول من الثورة ظنا أن كلا منهما هو «فاضل الجمالى» وفاضل الجمالى كان قد لجأ إلى مزرعة شمال بغداد. وقد حصل مثل ذلك فى بعض الأقطار العربية الأخرى.

وما يسجل لتونس بمداد الفخر والاعتزاز أن تحول 7 نوفمبر حدث بصورة شرعية إنسانية يندر أن يقع مثلها فى عالم اليوم، فقد تولى قيادة التحويل إنسان شريف ذو أخلاق كريمة ومبادئ إنسانية سامية: بدأ بالاعتراف بالجميل لمن سبق ودعا الشعب إلى العمل فى جو من التآخى والتصافى جوّ يسوده القانون والشرعية من جهة والحرية المسئولة من الجهة الأخرى.

فعملية التحويل ذاتها تضع تونس فى مصاف أرقى الأمم إنسانية وحضارة وحبا للسلام.

(1) إذا كانت التحولات تحدث بالثورات والانقلابات فى العديد من أنحاء العالم فتسيل الدماء وتملأ السجون.

فالتحويل فى تونس بدأ بنشر الطمأنينة والسلام وإخلاء السجون بالعفو والصفح وفسح المجال لفتح صفحة جديدة نقية فى حياة المساجين.

(2) احترام حقوق الإنسان ومراعاتها والاهتمام بها واتخاذها أساسا فى سياسة الدولة. فنصت الأجهزة اللازمة والدعاية والتثقيف لازدهار هذه الحقوق بين الناس.

(3) وقع التأكيد على القيم الديمقراطية فى الحكم والأخذ بمبدأ التعددية وبناء الجسور بين الحزب الحاكم والأحزاب المعارضة والإجماع على احترام ميثاق وطنى تم وضعه باشتراك جميع الأطراف الممثلة لمصالح الأمة.

(4) عناية متجددة بالشعائر الدينية من أداء الآذان فى الإذاعة إلى تلاوة القرآن الكريم فى جامع الزيتونة إلى رفع مستوى الكلية الزيتونية إلى المستوى الجامعى إلى رفع مستوى إدارة الشعائر الدينية إلى وزارة.

(5) عناية خاصة بالاقتصاد والإنتاج الصناعى والفلاحى وتشجيع التصدير والاهتمام بتشغيل الشباب.

(6) عناية متأكدة بوضع المرأة ورفع مستواها الاجتماعى والسياسى.

(7) عناية متجددة بشئون التعليم والثقافة وتكريم الناشئة من كل الولايات ورجال العلم والثقافة وقيام الرئيس بتنوير الشعب فى كل مناسبة عامة.

(8) عناية خاصة بالمعوقين والمعوزين والمسنين وتحسين ظروفهم المعاشية.

(9) التفقد الميدانى لشئون الدولة والكشف عن مواطن الضعف وتشجيع الجهاز الحكومى على أداء واجباته على الشكل الأتم.

(10) الالتزام بمبدأ السلام العالمى والتعاون الدولى المؤسس على الحق والشرعية ونص ميثاق الأمم المتحدة والإعلان العالمى لحقوق الإنسان. فتونس تعتبر فى مقدمة الدول المحبة للسلام فى العالم. وقد شاركت بقوة عسكرية وضعتها على ذمة الأمم المتحدة لحفظ السلام فى كل من أفريقية وآسية.

وصفوة القول أن تونس اليوم جديرة بأن تصبح قدوة لكل الشعوب والحكومات التى تنشد النمو والازدهار فى جو يسوده الأمن والحرية المسئولة وحقوق الانسان.

والمأمول من الجهاز الحكومى ومن الشعب التونسى النبيل أن يصغى لما يقوله القائد ويعمل بموجب توجيهاته السديدة، وفى مقدمتها:

(1) العمل الدائب والسعى المتواصل لرفع مستوى الإنسان التونسى.

(2) اعتبار العمل جهادا فى سبيل الله، وتأديته حبا فى إسعاد الآخرين وخدمة الشعب لا طمعا فى الأجر أو الراتب.

(3) رفع اعتبار العمل والعاملين فى كل حقول الحياة وعدم الترفع على الأعمال اليدوية مهما كانت شاقة.

(4) تقليص البيروقراطية والمركزية المفرطة فى المعاملات الإدارية واحترام الوعود والمواعيد والأوقات.

(5) المزيد من الإتقان فى كل إنتاج فكرى أو صناعى أو هندسى.. إن فى وسع الإنتاج التونسى أن يضاهى أفضل ما ينتجه الغرب فيما لو زاد التونسى 5٪ من الوقت والجهد فيما ينتجه.

ولنأخذ طبع الكتب كمثال:

الفرق بيننا وبين الغرب هو أن الغرب لا يسمح بوجود خطأ مطبعى فى كتاب يصدره. ففى وسعنا أن نفعل ذلك فيما إذا أضفنا 5٪ إلى مجهودنا. وقرأنا المطبوع مرة إضافية. الإتقان ثم الإتقان ثم الإتقان حتى يصبح الخطأ صفرا (أى لا وجود له).

(6) تشجيع الشباب على الحياة الكشافية ونشر هذه الحركة. وتنظيم معسكرات عمل للشباب.

(7) تأكيد الاهتمام بأعمال الصيانة وتجميل البيئة والإكثار من الحدائق العامة وملاعب الأطفال فى كل حارة وقرية.

وفى الختام أقول:

(1) إن التحويل يهيئ فرصة جديدة للشعب أن يتجدد ويتولى إصلاح نفسه بنفسه عملا بقوله تعالى: ﴿ **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** ﴾.

(2) إن القرآن الكريم يفرض طاعة الرئيس كما ورد فى قوله تعالى: ﴿**وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**﴾.

فليسر الشعب التونسى النبيل فى خطى القائد النبيل زين العابدين ابن على.

ومن الله الهداية والتوفيق.

حديث صحفى حول
قضية الجزائر فى الأمم المتحدة

الدكتور محمد فاضل الجمالى، أحد المفكرين العرب الذين سعوا إلى تكوين نظرية علمية، وحاولوا تجسيدها فى العالم العربى، وتقوم نظرية فاضل الجمالى (خريج جامعة كولومبيا ـ الولايات المتحدة الأمريكية) على التحرير والتوحيد والتجديد، وقد عرضها بالتفصيل فى كتبه العديدة مثل (تربية الإنسان الجديد) وآفاق التربية الحديثة فى البلاد النامية و «نحو توحيد الفكر التربوى فى العالم الاسلامى» و «نحو تربية مؤمنة» و «نحو تجديد البناء التربوى فى العالم الاسلامى» و«صفحات من الكفاح العربى فى سبيل التحرير والتوحيد والتجديد»، وقضى إلى الآن ٦٥ عاما لخدمتها.

أما الآن فهو يعمل منذ عشرين سنة أستاذا بكلية الآداب بجامعة تونس (اختصاص التربية وعلم النفس) أى منذ أن حكم عليه بالإعدام عام ١٩٥٨ بعد أن شغل منصب وزير خارجية العراق ثمانى مرات ورئيسا للوزراء مرتين وأسهم فى ضع ميثاق الأمم المتحدة، وفاضل الجمالى مع كل هذا، من المشاركين التقليديين فى ملتقيات الفكر الإسلامى التى تعقد سنويا بالجزائر وفى ملتقى تلمسان كان لنا معه هذا الحديث:

س: لماذا التحرير والتوحيد والتجديد؟

ـ نعانى الآن البلبلة والضعف الاجتماعى، والأخلاقى والروحى بصورة خاصة. نريد جيلا جديدا تبنى حياته على الإيمان والفضيلة والعلم الصحيح والعمل الصالح. هذه هى التربية الإسلامية التى نريدها وتحقق أهدافنا فى التحرير والتوحيد والتجديد، وتمثل الفلسفة الإسلامية الحقيقية، لكن مع هذا أرى أن هناك عنصرين بارزين فى ضعفنا هما الضعف الأخلاقى والضعف التقنى، وما دامت التقنية تتطلب صبرا وجدا وإتقانا، فإننا نحتاج إلى مربين من نوع جديد.

إن المسلم يعانى ترسبات كثيرة منها العصبيات والأفكار الخاطئة كالكسل والجمود والاتكالية والأنانية وحب السيطرة ويكمن مصدر تخلفنا فى مصدر خارجى استعمارى بحيث صرنا نأخذ من الغرب عناصر الانحلال المبتلى به.

فالعالم اليوم تسيره ثلاثة أنواع من القوى:

١) (القوى الرجعية المتحجرة والتقاليد البالية ـ التعصب الفكرى والدينى والمذهبى والطمع والجشع الاقتصادى والاقطاعى) وهذه القوى الرجعية تولد القوى الثانية.

٢) القوى الناسفة قوى الهدم وهى وليدة القوى الرجعية.

٣) قوة الإسلام البناء «المتفتح الحركى الذى يماشى العقل والعلم والاعتدال والأخوة والرحمة والتعاون ويستخدم البناء ويعمل بالحكمة والموعظة الحسنة».

س : الا تعمل المدارس العربية فى هذا الاتجاه؟ وأى حكم تصدره بشأن منهجها وأسلوبها فى التعامل مع العلم؟

ـ إن مدارسنا الحاضرة تقصر عادة فى النواحى الروحية الأخلاقية وفى النواحى التقنية، وتخرج لنا على الأكثر أكاديميين اتكاليين استهلاكيين بينما نحن نريد رجال إيمان وعلم وعمل (إن الفلاح يحتقر الفلاحة والعامل يحتقر العمل اليدوى) وعلينا أن نعطى العامل فرصة التمتع بالعلم وهذه الفكرة لا بد من بثها فى الناس، علينا أن نغرس روح الجهاد والعمل على أسس أخلاقية روحية سمحاء مفتوحة بدون تذمر ويأس وقنوط وإذا كان لنا أن نأخذ من أوروبا علينا أن نأخذ منها المثابرة فى العمل التقنى وإتقان العمل وحب البحث والمغامرة والنظام والنظافة والذوق وأن تكون التربية عملية مستمرة لا تتوقف عند الشهادة، وتربية تطور حياتنا بدل حفظ «معلومات مصبّرة».

س : المعروف أنكم كنتم من الوفد العراقى فى الأمم المتحدة أثناء عرض القضية الجزائرية فهل من الممكن أن ترووا لنا شيئا عما دار آنذاك فى كواليس الأمم المتحدة؟

ـ لما كان ميثاق الأمم المتحدة يكتب فى سان فرانسيسكو عام ١٩٤٥ اقترحت بصفتى ممثل العراق فى اللجنة التى تصيغ مواد الفصول الخاصة بـ «الوصاية» فى الميثاق وضع مادة لحماية ثقافات الشعوب المستعمرة. وضربت مثلا على ذلك بالجزائر، فاحتج مندوب فرنسا وضرب على الطاولة وقال: الجزائر فرنسية، فقلت له: لا، الجزائر

مسلمة عربية ووضعت المادة، ووقتها تهيجنا حين قتلت فرنسا عام ١٩٤٥، ٤٥ ألف شخص وكنت حينئذ عضوا فى اللجنة التى كانت تكتب مواد مجلس الأمن، وقلت إن فرنسا لا تستحق أن تحمل حق الفيتو لأنها تقتل السوريين والجزائريين وثار الفرنسيون لما ترجم حديثى إلى الفرنسية.

وفى سنة ١٩٥١، اجتمعت الجمعية العامة فى باريس (قصر شاليو) وانتخبت نائبا لرئيس الجمعية، فزارنى أخى المرحوم الشيخ البشير الإبراهيمى طالبا عرض قضية الجزائر على الجمعية العامة ولما كنا نحاول درج قضية المغرب ولم ننجح بدعوى أننا ضيوف فرنسا أجلنا قضية المغرب إلى السنة القادمة مع تونس، أما الجزائر فلم يكن فى الإمكان آنذاك وما زلت أتذكر، أننى أقمت بوصفى رئيسا للوفد العراقى حفلة عشاء على شرف استقلال ليبيا وكان من بين المدعوين الشيخ الإبراهيمى، وبعد العشاء نهض الإبراهيمى خطيبا فى الحفلة وقال: «إن الجزائر ستثور قريبا وتدهشكم بشجاعتها وتضحياتها».

وفى عام ١٩٥٤ وبالضبط يوم ١٥ جويلية، زرت الرئيس أيزنهاور فى البيت الأبيض، وشكوت عدم تعاون الوفد الأمريكى معنا لتحرير تونس والمغرب، فقال لى الرئيس الأمريكى: لماذا لا تنضم تونس والمغرب إلى فرنسا مثل الجزائر! قلت له ياسيادة الرئيس إن الجزائر ستثور قريبا. فأيدنى مساعد وزير الخارجية لشئون الشرق الأوسط الذى كان

يرافقنى وقال له يا سيادة الرئيس إن الدكتور الجمالى يقول لك الحقيقة.

وبعد افتتاح دورة الجمعية العامة فى خريف ١٩٥٤ طلبنا درج قضية الجزائر فى جدول أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة، فرفض الطلب من اللجنة التوجيهية باعتبار القضية الجزائرية قضية فرنسية داخلية. ووفق المادة الثانية من ميثاق الأمم المتحدة لا يجوز التدخل فى الشئون الداخلية لأية دولة، ولما جاء تقرير اللجنة التوجيهية إلى الجمعية العامة طلبت فتح باب النقاش معترضا. فقام هنرى سباك (وزير خارجية بلچيكا) ودافع عن حق فرنسا فى الجزائر، منددا بالدول التي تريد أن تتدخل فى شئونها و(إزعاج فرنسا) وذهبت إلى المنصة وطلبت الكلمة فناقشت سباك بوصفه أحد حماة الحرية فى أوروبا المكافحين ضد النازية. ألا يريد أن تعم الحرية، وبينت أن الجزائر بلد شعبه ليس فرنسيا وأرضه غير متصلة بفرنسا ووافقته بأننا متخلفون. ولكننا نريد السير فى سبيل النهوض والتمتع بمبادئ الحرية والأخوة والمساواة وقوبل خطابى بتصفيق متكرر من الجمعية وبعد نزولي. وقفت عند صديقى مندوب الفلبين وسألته كيف تصورت، فقال إنه سيستنكف فقلت له، إن الفلبين نصيرة الشعوب التى تطالب بالحرية وهى صديقتنا ونحن نؤيدها لجمع أصوات لحصولها على كرسى فى مجلس الأمن. فصوت معنا. وحين أخذت الأصوات حصلنا على الأكثرية بصوت واحد هو صوت

الفلبين فأدرجت القضية، ولكن الوفد الفرنسى ترك القاعة محتجا وقرر مغادرة الأمم المتحدة!

ولما كان وجود فرنسا مهما فى الأمم المتحدة. توسط مندوب الهند بيننا وبين الوفد الفرنسى، واتفقنا على ألا نبحث قضية الجزائر هذه السنة على أن تدرج وتبحث فى السنة الموالية. وفى سنة ١٩٥٥ بحثت القضية. بعد أن سجلتها اللجنة التوجيهية وانضم جزائريان الى الوفد العراقى لدخول القاعة والاشتراك فى اللجان هما فرحات عباس وحسين آية أحمد، وكان محمد يزيد نشيطا فى الكواليس.

وكان لفرنسا أنصار فى الأمم المتحدة وحدثت مشكلة مع الوفد التركى الذى لم يكن فى البداية ليصوت معنا بوصفه عضوا فى الناتو ولما كنت من المؤيدين لتركيا فى القضية القبرصية، هددت بسحب التأييد إن لم يصوت معنا، فجاءت تعليمات إلى الوفد التركى من حكومته ليتفاهم معنا.

وفى العراق كان المرحوم الشيخ البشير الإبراهيمى يتردد علينا بين الحين والآخر. للتعريف بالقضية الجزائرية، وحصلنا على كمية لا بأس بها من السلاح من وزارة الدفاع العراقية وأرسلت إلى الثوار الجزائريين (١٩٥٥) وكنا فى البداية، نرسل الأسلحة عن طريق السيد عبد الحميد المهرى فى دمشق ثم صرنا نرسلها فى طائرة خاصة إلى ليبيا والحكومة العراقية كانت تقدم للجزائر مبالغ متواضعة من ميزانية

وزارة الخارجية ولما كانت هذه المبالغ لا تشفى الغليل. قررنا تنظيم أسبوع الجزائر وتشكيل لجنة عليا لجمع التبرعات وقد افتتح الأسبوع فى حفل عام بحضور الملك فيصل وأركان الحكومة فخطب فى ذلك الاجتماع البشير الإبراهيمى.

أما فى اجتماعات ميثاق بغداد السرية. فقلت لوزير خارجية بريطانيا: لو كانت الجزائر فرنسية حقا، لما أعطى سكانها المسلمون (١٠ ملايين) فى الانتخابات مقاعد تساوى ما يعطى لمليون فرنسى يعيشون فى الجزائر. فلو أعطى المسلمون الجزائريون حقهم فى التصويت والانتخابات لحكموا فرنسا، وعندما كنت مارا بباريس بعد تهنئة المغرب بالاستقلال، أخبرنى سفير العراق بباريس أن السيد منداس فرانس، يريد الاجتماع بى فدعوناه لتناول الشاى فى السفارة العراقية وعند لقائنا قضينا ساعتين معا. ساعة نبحث القضية الجزائرية، وساعة لبحث القضية الفلسطينية. وقال لى منداس فرانس بخصوص الجزائر « لو كنت مسئولا عن الحكم لأوقفت النار فورا » وسوف أتفاوض مع الجزائريين ولكن لن يجرأ على عمل ذلك غير ديغول (١٠ جويليا ١٩٥٦).

س : لكن كيف تم طرح القضايا الثلاث. وفيم اختلاف كل قضية ؟

ـ إن قضية الجزائر كانت أصعب القضايا. باعتبار أن فرنسا لم تكن

تفكر يوما ما فى أنها ستنفصل، فقد قال لى منداس فرانس: نحن كنا نحتمل أن تونس ستستقل يوما ما وقد أعددنا الكوادر اللازمة لذلك.

أما المغرب فكذلك ولكن بدرجة أقل، وأما الجزائر فلم يُهيأ لها شيء لاستقلالها أبدا...

الرئيس أيزنهاور كما عرفته

من بين رؤساء الدول الذين عرفتهم فى حياتى (وهم عديدون) اعتبر الرئيس أيزنهاور فى المقدمة، من حيث الأثر العميق الذى تركه فى نفسى.

إنه حقا رجل عظيم، إنه قائد عسكرى شجاع انتصر فى قيادته فى الحرب العالمية الثانية. إنه إنسان نبيل ذو أخلاق حميدة ومثل عليا سامية. إنه مربٍّ حكيم وزعيم قدير إذ اختير بعد الحرب لرئاسة واحدة من أعظم جامعات الولايات المتحدة، أعنى بها جامعة كولمبيا، التى أفخر لكونى أحد خريجيها. إنه عرف بإيمانه العميق بالحرية والديمقراطية وبحق الشعوب بتقرير المصير. إنه يمقت التمييز العنصرى والظلم والاضطهاد الذى تمارسه أنظمة الحكم البوليسى والاستبداد الفردى.

الرئيس أيزنهاور لم يكن سياسيا محترفا ولا حزبيا متطرفا. لقد جاء إلى الحكم لأن الشعب الأميركى أحبه ووثق به، فاختاره رئيسا له. إنه لم يحمل (كما قال لى) منّة كتلة خاصة فى نجاحه فى الانتخابات، ولذلك فهو كرئيس يتمتع بحرية واستقلال كاملين فى اتخاذ قراراته. كان همه الأول فى الحكم تأمين العدل والرفاه لأبناء الشعب

الأميركي، ومكافحة التمييز العنصرى فى الداخل، وضمان سلامة العالم الحرّ وحمايته من أخطار الشيوعية العالمية فى الخارج. وقد كان موفقا كل التوفيق فى اختياره (زميلى فى الأمم المتحدة) المستر جون فوستر دالس، كاتب دولة للشئون الخارجية. فقد كان المستر دالس يتمتع بخبرة واسعة فى الشئون الدولية، ولا سيما معرفته العميقة بالأخطار التى تتهدد العالم من الشيوعية العالمية. ولذلك فقد كان للمستر دالس الدور الفعال فى رسم سياسة خارجية للولايات المتحدة تتسم بالقوة والإيمان والوضوح. إن إعتماد الرئيس أيزنهاور على المستر دالس، واعتماد المستر دالس على حكمته وخبرة دبلوماسى قدير وهو المستر لوى هندرسون، لمن الصدفة التاريخية الفريدة فى سياسة أميركا الخارجية فى الشرق الأوسط.

كنت رئيسا لمجلس النواب العراقى من ١٩٥١ إلى ١٩٥٣، ثم رئيسا للوزارة العراقية خلال سنتى ١٩٥٣ و ١٩٥٤، وكانت لى آراء صريحة فى مكافحة الاستعمار فى كل أشكاله، معتبرا الشيوعية العالمية نوعا جديدا من أنواع الاستعمار. ولذلك كنت أنتمى بطبيعة الحال إلى العالم الحر. وقعت أثناء رئاستى الوزراة اتفاقية العون العسكرى بين الولايات المتحدة والعراق. وكانت علاقة العراق بالحكومة الأميركية تتسم بالصداقة والتعاون المخلص لأهداف إنسانية تشمل تحرير الشعوب من ربقة الاستعمار، وضمان الحريات الأساسية للأفراد. وكانت هذه

الآراء، والمعتقدات السياسية تلقى تجاوبا إيجابيا من الجانب الأميركى فى عهد الرئيس أيزنهاور.

فى يونيو/حزيران ١٩٥٤ سافرت إلى الولايات المتحدة لإجراء فحوص طبية، ولاستلام «دكتوراه شرف فى القانون» شرفتنى بها جامعة كولمبيا، وأنا واحد من خريجيها، وللاجتماع بالرئيس أيزنهاور فى «البيت الأبيض».

١٥ يوليو/تموز ١٩٥٤ كان موعد زيارتى للرئيس أيزنهاور فى البيت الأبيض، وكان برفقتى المستر «هنرى بايرود» مساعد وزير الخارجية لشئون الشرق الأوسط.

رحب بى الرئيس أيزنهاور، وبادرنى بالتهنئة على السياسة التى ينتهجها العراق، وقال لى إن رئيس وزراء ليبيا، السيد مصطفى حليم، كان فى زيارته ذلك اليوم، ولما سأله عن السياسة التى تتبعها ليبيا أجابه أن ليبيا تقتدى بالعراق. ثم أطلعنى على أثر تاريخى هو حمامة برونزية من عهد الفراعنة أرسلت إليه كهدية من الرئيس جمال عبد الناصر. وأثنى على الرئيس جمال عبد الناصر، وقال إنه يعلق عليه الآمال. فأيدته فى رأيه، ورجوته مساعدة مصر وتشجيع الرئيس جمال على تحقيق مشاريعه.

ثم جلسنا للحديث، فبادرته بالسؤال: «ياسيادة الرئيس، لقد سبق أن نشرتم بالاشتراك مع المستر تشرشل فى ٢٩ يونيو/حزيران الماضى بيانا

تبدون فيه استعدادكم لمؤازرة الشعوب التى تنشد الحرية والاستقلال، هل كان ذلك البيان للاستهلاك المحلّى أم أنتم تعنون ذلك؟».

أجاب: «إنا نعنى ذلك بالتأكيد».

قلت له: فها هى المغرب وتونس تنشدان الاستقلال وإنهاء الحماية الفرنسية عليهما، فلم لا يساعدنا مندوب الولايات المتحدة فى الجمعية العامة فى اتخاذ قرار يدعو فرنسا إلى إنهاء الحماية والاعتراف باستقلال هذين القطرين؟

أجاب: لماذا لا يتحد هذان البلدان مع فرنسا كما فعلت الجزائر؟.

قلت له إن الجزائر يا سيادة الرئيس على أبواب ثورة على فرنسا، فهى بدورها تنشد الاستقلال. وأيدنى المستر بايرود قائلا إن الدكتور الجمالى يقول لكم الحقيقة يا سيادة الرئيس. وقد قامت الثورة الجزائرية فى أول نوفمبر/ تشرين الثانى من تلك السنة.

إن هذا الحديث يدل على طيبة قلب الرئيس أيزنهاور، فإنه كإنسان يحب الحق والحرية لكل شعوب العالم، ويريد أن يحتفظ بصداقة فرنسا فى الوقت نفسه، ولكنه لم يكن قد اطلع على الحقيقة من كل جوانبها من قبل، فلما اطلع، أوعز إلى مندوب الولايات المتحدة فى الأمم المتحدة ليتخذ موقفا أكثر وضوحا فى قضيتى المغرب وتونس فى الأمم المتحدة.

سألته: «يا سيادة الرئيس، لماذا تزج القضية الفلسطينية فى الانتخابات الأمريكية، فتبدأ المباراة والمزايدة بين الحزبين الجمهورى والديمقراطى، أليست القضية الفلسطينية قضية خارجية؟

أجابنى بأنها فى الولايات المتحدة قضية داخلية، وأن فى الولايات المتحدة خمسين حزبا جمهوريا، وخمسين حزبا ديمقراطيا فلكل ولاية حزباها. ولو فرضنا أن معظم الاحزاب قررت ان القضية الفلسطينية قضية خارجية، فإن ولاية نيويورك وحدها تكفى لمعارضة هذا القرار.

ثم قال إنه يعلم ويتألم لما لحق بالشعب الفلسطينى من ظلم واجحاف بحقوقه. ومع أنه لا يستطيع إزالة ما لحق به من ظلم، فإنه يتعهد بأن الفلسطينيين لن يصيبهم ظلم أو حيف ما دام هو فى الرئاسة.

ثم انتقلنا إلى الحديث عن الوضع الدولى، فقلت له اعرف يا سيادة الرئيس ثلاثة أصناف من الحكومات فى العالم:

صنف تسيطر فيه القوى الرجعية التى تمارس الحكم الفردى والطغيان المادى والفساد الاجتماعى والتعصب الدينى والطبقى أو العنصرى أو الجنسى ويسوده الجمود والانغلاق الفكرى والاجتماعى.

وصنف تسيطر فيه القوى النسافة والمبادئ الهدامة، وتحكمه حكومات تدعى الثورة فتكبت الحريات وتستعبد العقول والأفكار

وتحارب الأديان وتمارس الحكم البوليسى وتشيع الخوف والذعر بين الناس عن طريق التجسس. فيخبر الولد على أبيه والأخ على أخيه!

وصنف تقوم فيه حكومات تمثل شعوبها، حكومات تتمسك بالحياة الحرة الكريمة المؤسسة على الإيمان بالله والأخلاق الفاضلة، حكومات تستعين بالشعب لتحقيق نهضة اجتماعية واقتصادية شاملة بأساليب ديمقراطية مسئولة. إنها حكومات تشجع المبادرة والمشاركة بين أفراد الشعب بروح الأخوة والصفاء.

وسألت الرئيس: أين تقف الولايات المتحدة من هذه الأصناف الثلاثة؟ فأكد لى أن الولايات المتحدة تنتمى إلى الصنف الثالث، وأنها تشجع وتتعاون مع الحكومات التى تنتمى لهذا الصنف. واتفقنا على أن العالم اليوم فى حاجة أكيدة إلى حكومات تمارس الصدق والغيرية والمحبة والتعاون بين الأفراد والشعوب. حكومات تكافح الغش والنفاق والفساد والعدوان فى الداخل والخارج.

الرئيس أيزنهاور لم يكن من الساسة الانتهازيين المنافقين الذين يتقلبون مع الظروف ويضحون بالأخلاق والمبادئ من أجل مصالحهم الشخصية أو الحزبية. إنه رجل دولة باصدق ما يمثله هذا الوصف من معنى سام.

وقد تجلت عظمة الرئيس أيزنهاور فى الحقل الدولى فى موقفه من العدوان الثلاثى على مصر سنة ١٩٥٦. يوم غزت إسرائيل سيناء

بالاتفاق مع كل من فرنسا وبريطانيا، فقد وقف وقفة قوية حازمة تجاه حليفيه المقربين فرنسا وبريطانيا، ولم يقر له قرار حتى تحقق الجلاء عن الأراضى المصرية. كما أنه هدد إسرائيل بالعقوبات حين تأخرت وتلكأت فى الانسحاب. إنه موقف أخلاقى شجاع ما أحوج العالم اليوم إلى أمثاله.

أجل إن الرئيس أيزنهاور رئيس عظيم، وإنه يمثل عظمة أميركا الأخلاقية والروحية أصدق تمثيل.

وندعو الله تعالى أن تبقى روحه ومثله العليا حية فاعلة فى كل من يتولى رئاسة الولايات المتحدة ذلك لأن للولايات المتحدة دور هام فى قيادة البشرية اليوم.

لقاء مع منداس فرانس

فقدت فرنسا في أكتوبر ١٩٨٢ واحدا من ألمع ساستها وأكثرهم تعلقا بالحرية وبالأخلاقية السياسية، أعني به المسيو بيار منداس فرانس.

كان رجلا مثاليا ـ واقعيا في السياسة الدولية متبصرا في مجرى التاريخ وحاسبا حسابا دقيقا للعواقب... ادرك أن عصر الاستعمار الأوروبي قد انتهى، وأن فرنسا لا بد لها أن تبدأ بتحرير مستعمراتها وأن تصفي إمبراطوريتها بأقل ما يمكن من الخسائر والآلام. ولذلك فقد كان أول فرنسي مسئول يبدأ بتصفية الاستعمار الفرنسي في العالم. فقام بإنهاء حرب الهند الصينية ثم اتبع ذلك باعتراف فرنسا بحق تونس بتقرير المصير والحكم الذاتي. وبعد سنوات معدودات جاء شارل ديغول فأكمل ما بدأه منداس فرانس في تحرير سائر المستعمرات الفرنسية.

١) في خريف ١٩٥٥ كنت رئيسا للوفد العراقي في اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة المنعقد في نيويورك وكنت واحدا من المناضلين دفاعا عن قضايا المغرب العربي (المغرب فتونس فالجزائر) في الجمعية العامة. وفي تلك الدورة جاء المسيو منداس فرانس إلى الجمعية العامة وألقى خطابه المتضمن اعتراف فرنسا بحق تونس بالحكم الذاتي وتقرير المصير. وبعد أن نزل من المنصة جاء إليّ ووقف إلى جانبي

وبادرني بالسؤال: هل أرضاك ما قلته عن تونس. أجبته «نعم» والمغرب؟ قال لى «انتظر قليلا» لم يكن هناك أى تعارف شخصى سابق فيما بيننا ويظهر أنه كان قد سمع عن مواقفى الجدية بل والعنيفة أحيانا، دفاعا عن قضايا المغرب العربى. وعلى كل فقد ترك الرجل فى نفسى أثرا طيبا وقدرت صراحته وشجاعته ودماثة أخلاقه.

٢) فى جويلية ١٩٥٦ كنت موفدا من قبل ملك العراق لتقديم التهانى لكل من المغرب وتونس وليبيا بمناسبة نيل هذه البلاد الاستقلال. بعد انتهاء زيارتى للمغرب توجهت إلى تونس عن طريق باريس. وحين نزلت فى مطار «أورلى» وجدت السفير العراقى فى انتظارى فأخبرنى بأن المسيو منداس فرانس قد تلفن للسفارة العراقية يسأل عنى وأنه يرغب فى الاجتماع بى إذا مررت بباريس. اقترحت على السفير أن يدعوه إلى السفارة العراقية فى باريس لتناول الشاى معا بعد ظهر اليوم. وهكذا كان، جاء المسيو منداس فرانس إلى السفارة العراقية وقضينا ما يقرب من الساعتين معا. قضينا نحو الساعة نبحث قضايا المغرب العربى ونحو الساعة نبحث قضايا المشرق العربى ولاسيما فلسطين.

فيما يتعلق بالمغرب العربى قال لى إنه متألم كثيرا من استمرار حرب الجزائر وهلاك الأرواح ووقوع الخسائر فيها. ولو كان الأمر بيده وكان هو فى السلطة «لأوقف النار حالا» ولكنه لا يقوى على ذلك فالأمر خطير ولا يستطيع أحد فى فرنسا أن يعالج هذه القضية سوى شارل

ديغول. ثم قال إن قضية الجزائر صعبة جدا لأن الفرنسيين نشأوا على اعتبار أن الجزائر جزء لا ينفصل عن فرنسا إنها فرنسا. ولذلك فهم لم يفكروا يوما باستقلالها ولم يعدوا «الإطارات» والاختصاصات الضرورية لبلد سيستقل، لقد فكرنا بأن تونس قد تستقل يوما ما ولذلك فقد تتوفر الإطارات المطلوبة فيها والمغرب بدرجة أقل من تونس أما الجزائر فلم نحسب حساب استقلالها أبدا!

أعجبنى فى هذا الصدد منطق الرجل فهو يريد إيقاف النار أولا ثم الجلوس حول طاولة لبحث حل القضية بالحق والمنطق، والطريف فى الأمر تنبؤه بأن حل القضية الجزائرية يتوقف على شارل ديغول. وهكذا كان!

أما فيما يتعلق بالمشرق العربى فقد تناول البحث القضية الفلسطينية وقد وجدته واقعيا يؤيد قرارات الأمم المتحدة لسنتى ١٩٤٧ و ١٩٤٨ المتعلقة بالتقسيم وعودة النازحين. أخبرته بدورى بأن مؤتمر باندونغ للدول الآسيوية ـ الأفريقية والذى شاركت فيه كل الدول العربية وصادقت على مقرراته بالإجماع قرر: الاعتراف بالحق العربى فى فلسطين وحل القضية سلميا وفق قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة.

ثم تحدثنا عن مشروع الاتحاد بين العراق وسوريا ذلك المشروع الذى كنت كرست جهودا مضنية من أجل تحقيقه. وأخبرته بأنى كنت قد تفاهمت مع سفير فرنسا فى بيروت حول المشروع أملا ألا تعارضه

فرنسا. كما تفاهمت مع حزب الكتائب اللبنانى الذى يرأسه الشيخ بيار الجميل دفعا لما يخامر هذا الحزب من مخاوف بسبب اتحاد القطرين، كان ذلك الاجتماع فرصة فريدة حصل التعارف فيها بينى وبين المسيو منداس فرانس.

٣) بقيت من المعجبين المقدرين لمزايا الرجل وسياسته ومما زاد فى إعجابى به (وأنا ممن يكافحون المسكرات والتدخين) دعوته للفرنسيين لنبذ شرب النبيذ والاستعاضة عنه بالحليب الأمر الذى أغضب الكثيرين من أبناء وطنه. ولم يبال.

تمنيت لو أن الذين يتعاطون المسكرات من أبناء أمتنا اقتدوا بمنداس فرانس سيما إذا كانوا يجهلون تعاليم الإسلام ونصوص القرآن الكريم.

وأخيرا أقول:

وإنما المرء حديث بعده		فكن حديثا حسنا لمن وعى

الباب الثالث

(العراق)

علاقات العراق مع دول الشرق الأوسط
من ١٩٤٥ ـ ١٩٥٨

أتوجه بالشكر إلى الزميل الفاضل الأستاذ «شفاليه» لدعوته الكريمة التى تجسم روح التعاون بين المعاهد العلمية فى كل من تونس وفرنسا. وإنه لشرف عظيم لى أن أتحدث اليوم فى واحدة من أمهات الجامعات فى فرنسا بل وفى أوروبا كلها بعد أن تحدثت فى السنة الماضية فى جامعة هارفرد واحدة من أمهات الجامعات الأمريكية.

وقبل أن أبدأ بالحديث أبدى ملاحظتين:

الأولى: هى أنى لست من رجال السياسة ولا من علماء التاريخ، أنا معلم بسيط قضيت فى الدرس والتدريس ما يزيد على السبعين سنة وقد زج بى فى عالم السياسة رغم أنفى.

الثانية: هى أن الحقبة التى سأتحدث عنها هى الحقبة التى مارست فيها المسئولية عن سياسة العراق الخارجية فأعتبر نفسى مرجعا أوليا. وقد دونت مذكراتى بالإنجليزية عن هذه الحقبة وهى مرقونة ولم تنشر منذ ١٩٧٤. وتقع فى ما يقرب من سبعمائة صفحة. ولى فى العربية ثلاثة كتب تعالج سياسة العراق الخارجية فى هذه الحقبة وهى:

(١) العراق الحديث آراء ومطالعات فى شئونه المصيرية.

(٢) صفحات من الكفاح العربى.

(٣) مواقف وعبر فى سياستنا الدولية.

فما سألقيه على حضراتكم يمثل نظرة طائر على هذه الحقبة.

العراق الحديث يتكون من ثلاث ولايات انسلخت عن الدولة العثمانية بسبب الحرب العالمية الأولى وهى: الموصل وبغداد والبصرة. والعراق يحوى تراثا تاريخيا وحضاريا زاخرا كما يملك ثروات طبعية (أراضى ـ أنهار ـ نفط ـ كبريت) ما يجعله من أغنى بلاد العالم. وقد وهبه الله ثروة بشرية تمتاز بالذكاء وتنوع المواهب. ولما كان موقعه الجغرافى يجعل منه البلد العربى الإسلامى الذى يتاخم الشعوب الاسلامية غير العربية فإنه يحتوى على عناصر بشرية متنوعة من حيث العنصر والدين والحضارة. فالعرب هم الأكثرية يليهم الأكراد فالفرس فالترك فالهنود فالأرمن فالأثوريين. وأديان ومذاهب إسلامية ومسيحية ويهود وصابئة ويزيدية وبهائية. وفيه البدو والحضر وفيه المثقف ثقافة غربية أو المثقف ثقافة إسلامية أو بدوية.

والعراق الغنى هذا طالما اجتاحته جيوش الفاتحين من الشرق الى الغرب وبالعكس ومن الشمال إلى الجنوب وبالعكس. والعراقيون فى مثل هذه الظروف قد يقابلون الفاتح بالاستسلام والخضوع أولا ثم التمرد والثورة بعد أن تستقر الأحوال. وهذا ما حصل بالفعل حين

احتلت بريطانيا العراق فى نهاية الحرب العالمية الأولى. فقامت ثورة ١٩٢٠ التى اشتعلت لمعاملة الإنجليز الجافة لشيوخ القبائل ثم قادها علماء الدين فى كل من النجف وكربلاء والكاظمية مع زمرة من الوطنيين الأحرار من أبناء المدن العراقية. وقد اقتنع الإنجليز بعد تلك الثورة أن ليس من مصلحتهم ولا استطاعتهم حكم الشعب العراقى. ووافقوا على استقلال العراق تحت تاج الملك فيصل الأول وربطوا العراق بمعاهدة. كما حصلوا على امتياز النفط كل ذلك مع الاحتفاظ بانتداب عصبة الأمم. ولكن العراقيين لم يهدأوا واستقلالهم منقوص بقوا يطالبون حتى وقعت معاهدة ١٩٣٠ التى اعترفت بسيادة العراق التامة وبدخول العراق فى عضوية عصبة الأمم (١٩٣٢).

جاء الملك فيصل الأول إلى العراق بعد أن نحى من عرش سورية وجاء معه عدد من الضباط العراقيين الذى نشأوا فى الدولة العثمانية والبعض منهم شارك فى الثورة العربية ضد الدولة العثمانية. وأسماء جعفر العسكرى ونورى السعيد ووياسين الهاشمى وطه الهاشمى وجميل المدفعى وعلى جودة الأيوبى تمثل بعض الذين قدموا إلى العراق وأصبح كل واحد منهم رئيسا للوزارة العراقية فى العهد الملكى. كما جاء مع الملك فيصل شخصان ممتازان أحدهما رستم حيدر (من بعلبك) والثانى الأستاذ ساطع الحصرى (استانبولى ــ حلبى) وكلاهما قومى عربى فى العقيدة والفعل، وعدد غير قليل من الشخصيات العراقية والسورية واللبنانية. وضع الملك فيصل الأول قواعد للسياسة

العراقية ما زالت صالحة لظروف العراق. وكل تهاون فى العمل بها يسبب آلاماً ومشكلات للبلاد.

ومن هذه القواعد:

(١) دعم استقلال العراق وتحقيق وحدة الشعب العراقى.

(٢) توجيه العراق ليكون عضوا عاملا فى جسم الأمة العربية.

(٣) تصفية الأجواء مع جيران العراق وتأسيس علاقات صميمة معهم.

(٤) العمل فى سبيل تحرير البلاد العربية وتوحيدها.

(٥) التعاون والصداقة مع الدول التى تبادل العراق الصداقة وحسن النية.

إن هذه المبادئ الأساسية للسياسة العراقية بقيت ثابتة تهتدى بها الحكومات المتعاقبة بدرجات متفاوتة طبعا. أنا لخصتها بكلمات التحرير والتوحيد والارتقاء فى الحقلين الداخلى والخارجى وهى المبادئ التى أريدها لأمتى العربية من مشرقها إلى مغربها. وقد ظهرت بين الحربين العالميتين ولا سيما بعد مجيىء هتلر إلى الحكم فى ألمانيا مبادئ جديدة تعرض السلام العالمى إلى الخطر أعنى بها:

(١) الديكتاتورية: المتمثلة فى الفاشية والنازية.

(٢) الصهيونية المسلحة جماعة جابوتنسكى.

(٣) الشيوعية العالمية.

هذا وقد وجدت الديكتاتورية طريقها إلى نفر من العراقيين كما اعتنق الشيوعية عدد من الشباب المثقفين كما تصهين بعض اليهود العراقيين. هذا وإن الحكومة العراقية اصطدمت بالإنجليز فى وزارة السيد رشيد عالى الكيلانى فى بداية الحرب ١٩٤١. ولما فشلت حركة السيد رشيد عالى أعلن العراق الحرب على كل من ألمانيا وإيطاليا ووقف إلى جانب الحلفاء. وبذلك أصبحت الديمقراطية عنصرا أساسيا فى السياسة العراقية.

وقبل انتهاء الحرب العالمية الثانية عقد مؤتمر لتأسيس الأمم المتحدة فى مدينة سان فرانسيسكو دعيت الدول التى أعلنت الحرب على المحور لحضوره وكنت عضوا من أعضاء الوفد العراقى إلى ذلك المؤتمر فشاركت فى صياغة الميثاق كما وقعت على الميثاق باسم حكومة العراق. وفى مؤتمر سان فرانسيسكو هذا برزت قضايا جديدة منها تحرير الشعوب ومنها ضمان حقوق الشعب الفلسطنى ومنها حفظ السلام العالمى والتعاون الدولى وكل هذه أدخلت عناصر جديدة فى سياسة العراق لم تكن موجودة قبل ١٩٤٥.

بعد هذه البسطة الإجمالية للمبادئ التى سارت عليها السياسة العراقية ها نحن فيما يلى نستعرض بعض المواقف الهامة للسياسة الخارجية العراقية فى هذه الحقبة التى تحت الدرس:

(١) استقلال العراق وأمنه وإعماره:

كان العراق على اتصال وثيق مع بريطانية العظمى فهى التى ترعى أمنه وتسلح جيشه وتعمل على إعماره وتقدمه. وذلك وفق ما اعتادت عليه الحكومات العراقية منذ الحرب العالمية الأولى ووفق ما نصت عليه المعاهدات المتتالية. إلا أن النفوذ البريطانى أخذ يتقلص بعد الحرب العالمية الثانية وشكوانا من البريطانيين هى أنهم كانوا شحيحين بطيئين فى دفعهم العراق نحو التقدم وكنت أضرب مثلا على ذلك جسرا حديديا ضيقا فى الفلوجة على نهر الفرات. إنه الجسر الوحيد الذى يربط بغداد بالبحر المتوسط عن طريق سورية. إنه جسر عتيق أتى به من «اسكوتلاندة» ولا يستوعب عرضه إلا لسيارة واحدة تمر فيه فالسيارات تنتظر حتى يتسنى لسيارات الجهة المقابلة أن تمر. ولكن هذا الحال انتهى حين ارتفعت واردات النفط فى أوائل الخمسينيات وتأسس مجلس الأعمار وأسست جسور جديدة عريضة عديدة. وبمرور الزمن وانتماء العراق لميثاق بغداد استلم العراق القواعد الجوية وألغيت الامتيازات التى كانت تتمتع بها الحكومة البريطانية وأصبحت تتعامل كدولة صديقة. حتى إن العقود التى كانت تعطى من قبل مجلس الأعمار كان يتعهدها الفرنسيون أكثر من الإنكليز وذلك وفق المناقصات التى تجرى فى منح العقود.

وفيما يتعلق بالخدمات العامة فى سائر الوزارات كانت الحكومة العراقية تستقدم من تحتاج إليهم من أبناء البلاد العربية: مصر لبنان سورية فلسطين الأردن. ويصدق الأمر بصورة خاصة على حقل التعليم فقد كنا نستقدم الأساتذة الجامعيين من مصر وغيرها من البلاد العربية حسب الحاجة. ولذلك فالدعاية التى كانت توجه ضد العراق بأنه خاضع للنفوذ البريطانى دعاية بالية عفا عليها الزمن. ما زلت أتذكر حديثا مع السياسى القومى المعروف الأستاذ صلاح الدين البيطار ١٩٥٥ قال لى فيه إن سورية لا تستطيع الاتحاد مع العراق ما دامت المعاهدة الإنكليزية العراقية قائمة والعراق يحكمه نورى السعيد. قلت له المعاهدة انتهى مفعولها بميثاق بغداد ونورى السعيد لن يحكم إلى الأبد فلنتحد ونجابه الموقف سوية، أيدنى الأستاذ أكرم الحورانى.

(٢) العمل من أجل تحرير البلاد العربية:

(أ) **استقلال سورية ولبنان والأردن**: كان العراق على اتصال مستمر بالحكومتين الأمريكية والبريطانية من أجل تحقيق استقلال سورية ولبنان وإنهاء الانتداب عليهما بعد سقوط حكومة «فيشى» فى فرنسا. فدعينا للاشتراك فى مؤتمر سان فرانسيسكو الذى صاغ ميثاق الأمم المتحدة وكنت عضوا فى لجنة مجلس الوصاية الذى صاغت الفصول المتعلقة بالشعوب المولّى عليها. فوضعت المادة «٧٨» فى الميثاق خاصة من أجل سورية

ولبنان والهند والمادة تقول:

«لا يطبق نظام الوصاية على الأقاليم التى أصبحت أعضاء فى هيئة الأمم المتحدة إذ العلاقات بين أعضاء هذه الهيئات يجب أن تقوم على احترام مبدأ المساواة فى السيادة»

ولما أصبحت كل من سورية ولبنان عضوا فى الأمم المتحدة فإنهما يتساويان مع فرنسا فى السيادة. ولذلك أصبح البلدان مستقلين وتم جلاء فرنسا عنهما سنة ١٩٤٦ .

وفى السنة ذاتها أنهت بريطانيا انتدابها على شرقى الأردن فأصبحت المملكة الأردنية الهاشمية دولة مستقلة.

(ب) **استقلال ليبيا**: شارك العراق بهمة ونشاط من أجل تحقيق استقلال ليبيا. فقد كان العراق البلد العربى الوحيد الذى أعلن الحرب على إيطاليا فى الحرب العالمية الثانية. ولما عقد مؤتمر الصلح مع إيطاليا فى «قصر لكسمبورج» فى باريس ١٩٤٦ دعيت كوزير لخارجية العراق لبيان موقف العراق فألقيت كلمة العراق التى تتمسك باستقلال ليبيا وتحرير سائر المستعمرات الإيطالية ودفع التعويضات لمصر كشروط أساسية للصلح مع إيطاليا. ولمّا لم يتفق الحلفاء على حل مشكلة المستعمرات الإيطالية أحيلت القضية على الجمعية العامة للأمم المتحدة فأسهم العراق فى إفشال مشروع بيفن ـ سفورزا الذى كان يريد منح

إيطاليا الوصاية على «طرابلس» وبريطانيا الوصاية على «برقة» ثم تفاهمنا كزمرة ممثلة للدول الآسيوية ـ الأفريقية مع الكونت سفورزا فى حفلة «شاى» أقيمت فى نادى جامعة هارفرد فى نيويورك على أساس استقلال تام لليبيا ووصاية إيطالية على الصومال واتحاد فدرالى بين إريتريا والحبشة. كانت إيطاليا تريد وصاية ٢٥ سنة على الصومال خفضناها إلى عشر سنوات. وفى الجمعية العامة أصرت بريطانيا على أن تصبح ليبيا دولة اتحادية... ولما كانت الأصوات التى تملكها بريطانيا ضرورية لنجاح القرار اتفقنا مع الوفود الليبية فى الأمم المتحدة على قبول مشروع الاتحاد ثم تحقيق الوحدة بعد الاستقلال وهكذا كان. اتخذ القرار سنة ١٩٤٩ واستقلت ليبيا سنة ١٩٥١.

(جـ) **استقلال المغرب وتونس**: عمل العراق بحماس من أجل استقلال كل من المغرب وتونس. فقد حاولت الوفود العربية معالجة قضية المغرب فى اجتماع الجمعية العامة فى باريس فى قصر شايو سنة ١٩٥١ ولكن الوفود ارتأت الاكتفاء بالمناقشة حول درج القضية فى الجمعية إكراما للدولة المضيفة فرنسا وهكذا كان.

وكان فى باريس فى الوقت نفسه وفد تونس برئاسة الوزير الأول المرحوم محمد شنيق وكان معه الأساتذة الحبيب بورقيبه وصالح ابن يوسف ومحمد بدرة. دعا الأستاذ محمد شنيق رؤساء الوفود

مغربية وأطلعهم على أن المفاوضات مع فرنسا حول استقلال تونس وصلت إلى طريق مسدود وطلب عرض القضية التونسية على الجمعية العامة فأخبرناه بمشكلة القضية المغربية. وبحثت القضية التونسية مع رئيس الجمعية العامة وبين الوفود الآسيوية ـ الأفريقية فى باريس فى ١٩٥٢ وعرضت كلتا القضيتين على الجمعية العامة فى نيويورك وبقيت تبحث ويدافع عن حق البلدين بالاستقلال. حصلت تونس ١٩٥٥ على الحكم الذاتى على عهد المسيو منداس فرانس. ثم عاد الملك محمد الخامس ملك المغرب من المنفى فى مدغشقر وتحصل المغرب على الاستقلال ثم استقلت تونس أيضا. ومن أجل المغرب وتونس اتصلت بالرئيس أيزنهاور فى (البيت الأبيض) ١٥ جويلية (تموز) ١٩٥٤ وعلى إثر نفى السلطان محمد الخامس إلى مدغشقر اقترحت على الأخوة علال الفاسى صالح بن يوسف وعلى البهلوان المقيمين فى القاهرة العمل على عقد مؤتمر آسيوى ـ أفريقي ليجابه فرنسا مجابهة كما جوبهت هولنده من أجل استقلال أندونيسيا وقد عملنا سويا لتحقيق الفكرة التى أنتجت مؤتمر «باندونغ» بإندونيسيا سنة ١٩٥٥ .

د) **قضية الجزائر:** طلب الشيخ البشير الإبراهيمى ورفقاؤه فى باريس عرض قضية الجزائر على الجمعية العامة سنة ١٩٥١ ولما كانت قضية المغرب ثم قضية تونس لم تعرضا، قلنا إن عرض

قضية الجزائر غير واردة آنذاك ثم إن فرنسا تعتبر الجزائر جزءا من فرنسا وتعتبرها قضية داخلية ووفق المادة الثانية من ميثاق الأمم المتحدة لا يجوز للجمعية العامة أن تتدخل فى الشئون الداخلية لعضو من أعضائها. تأخر عرض قضية الجزائر على الأمم المتحدة حتى تتبلور قضيتا المغرب وتونس وإلا فقد نخسر الكل. ولما قامت الثورة الجزائرية أصبح من الضرورى عرض القضية على الجمعية العامة ولما جيئ بالقضية رفض تسجيلها باعتبار أنها قضية داخلية. ولما جاء الرفض على الجمعية العامة طلبت فتح باب النقاش فجرى سجال بينى وبين المسيو «هنرى سپاك» الزعيم البلچيكى، وبرهنت للجمعية العامة بأن الجزائر ليست فرنسا، وأن قضيتها ليست قضية داخلية، وأن كل ما نطلبه هو أن تطبق فرنسا مبادئ الحرية والإخاء والمساواة على الشعب الجزائرى. وربحنا النقاش بصوت واحد. فانسحب الوفد الفرنسى من الجمعية العامة محتجا. وبعد وساطة قام بها المستر داغ همرشولد والسيد كرشنامنون ممثل الهند وافقنا على إرجاء بحث القضية الجزائرية إلى السنة القادمة فعاد الوفد الفرنسى واشتعلت نار الثورة ودامت سنوات ومات مئات الألوف من البشر حتى جاء الزعيم الحكيم شارل ديغول فحل الأزمة بشجاعة وشرف. وكان العراق على اتصال مستمر مع جبهة التحرير يمدها بما يستطيع من عون مادى ودعم سياسى فى المحافل الدولية طوال سنوات الكفاح.

القضية الفلسطينية:

تعتبر القضية الأولى فى سياسة العراق الخارجية منذ أواسط الثلاثينيات (من القرن العشرين) حين قامت ثورة فلسطين ضد الاستيطان اليهودى المدعم بالانتداب. فقد تولى العراق فى وزارة المرحوم ياسين باشا الهاشمى (الذى دعى فى وقته بسمارك العرب) بدعم الثورة وتغذيتها. وقد حل بعد تلك الثورة فى بغداد «الحاج أمين الحسينى» الزعيم الفلسطينى الشهير ومعه عدد من أعضاده المجاهدين. وكان لهم التأثير القوى على مشاعر العراقيين نحو فلسطين لا سيما فى معاهد التعليم وفى صفوف الجيش بالإضافة إلى المنظمات السياسية الوطنية والنوادى القومية.

وفى سنة ١٩٣٩ دعت الحكومة البريطانية الدول العربية إلى طاولة مستديرة حول فلسطين فى لندن. وبعد ذلك المؤتمر صدر كتاب «أبيض» بريطانى تصبح فلسطين بموجبه دولة مستقلة بعد خمس سنوات يقبل إليها خمسة وسبعون ألف مهاجر يهودى بمعدل خمسة عشر ألف سنويا. وتقف الهجرة.

لم تقبل الهيئة العربية العليا لفلسطين الكتاب الأبيض.

ولما قامت الحرب العالمية الثانية. وقف الجيش العراقى فى وجه القوات البريطانية واصطدم الطرفان فى «الحبانية» فى وزارة السيد رشيد عالى الكيلانى. فقد كان العديد من الضباط العراقيين يحملون

عواطف جيّاشة إزاء القضية الفلسطينية وبعد فشل هذه الحركة التجأ كل من الحاج أمين الحسينى والسيد رشيد عالى الكيلانى إلى ألمانيا النازية وهو الأمر الذى استغلته الدعاية الغربية ولا سيما الصهيونية منها بكل مهارة.

وفى الوقت الذى رفض الفلسطينيون الكتاب الأبيض البريطانى قاومه الصهاينة أعنف مقاومة وعبأوا الرأى العام فى الولايات المتحدة خاصة ضده. كما أنهم استغلوا ظروف الحرب العالمية الثانية ومظالم «هتلر» لليهود أبرع استغلال من أجل تحقيق أهدافهم القومية ـ الدينية.

وفى سنة ١٩٤٢ عقد الصهاينة مؤتمرا فى أوتيل بلتمور (فى مدينة نيويورك) أقروا فيه مقاومة الكتاب الأبيض وطالبوا بالهجرة اليهودية غير محدودة إلى فلسطين واعتبار فلسطين دولة يهودية.

حين أصبحت مديرا عاما لوزارة الخارجية العراقية ١٩٤٣ بدأت بتتبع النشاط الصهيونى فى الولايات المتحدة وأدركت أبعاد الخطر الصهيونى المقبل على عروبة فلسطين. فصرت أدبج المقالات وأحث حكومتى على السعى المتواصل لدى كل من الحكومتين البريطانية والأمريكية لدرء الخطر الصهيونى.

وفى سنة ١٩٤٤ يوم بدأت الدول العربية تهيىء لتأسيس جامعة الدول العربية بوضع «بروتوكول الإسكندرية» كأساس تقوم عليه الجامعة، أعددت مشروعا للنشاط الإعلامى فى الولايات المتحدة بقصد

تعريف الغرب بوجهة النظر العربية حول الحق العربى الثابت فى فلسطين. أقر مجلس الجامعة العربية المشروع ولكن تمويله اقتصر على العراق ودفعت سورية ما عليها لسنة واحدة فقط. وقد قام المرحوم السيد موسى العلمى بتأسيس وإدارة مكتبين للإعلام الواحد فى الولايات المتحدة والآخر فى بريطانيا خير قيام مستعينا بنخبة ممتازة من العناصر المثقفة لهذا الغرض.

وفى سنة ١٩٤٥ عقد مؤتمر الأمم المتحدة الذى تولى صياغة الميثاق فى مدينة سان فرانسيسكو. كنت عضوا فى الوفد العراقى إلى المؤتمر واشتركت فى لجنتين من لجانه: اللجنة التى صاغت فصول «مجلس الأمن» واللجنة التى صاغت فصول «مجلس الوصاية».

ولما نجحنا فى وضع المادة (٧٨) فى الميثاق (فى لجنة الوصاية) المادة التى تضمن استقلال الدول المشاركة فى المؤتمر التى لم تكن قد حققت استقلالها بعد (الهند ـ سورية ـ لبنان) سعينا لوضع مادة خاصة بحق الفلسطينيين، بالاستقلال وإنهاء الانتداب. ولكن الوفد الأمريكى الذى كان برئاسة «الكوماندر هارولد ستاسن» وكان يجلس خلفه وفد صهيونى برئاسة عضو الكونغرس «سول بلوم» عارض الاقتراح بكل إلحاح فاكتفت اللجنة بصياغة المادة (٨٠) والتى تبقى الأمور خاضعة للنصوص التشريعية القائمة إلى أن تحل محلها تشريعات جديدة. أى أن ميثاق سان فرانسيسكو لم يخدم القضية الفلسطينية

بصورة خاصة. ولكن مبادئه لو طبقت بأمانة فإنها تكفى لضمان الحق الفلسطينى فى فلسطين.

لقد نشطت الصهيونية فى الولايات المتحدة خلال الحرب العالمية الثانية. وأصبحت قضية فلسطين فيها قضية داخلية تثار فى موسم الانتخابات. وصار الحزبان الجمهورى والديمقراطى يتسابقان على كسب التأييد الصهيونى فى الانتخابات. واستطاع القادة الصهيونيون أن يؤثروا على الرئيس «هارى ترومان» ليطلب من الحكومة البريطانية إدخال مائة ألف يهودى إلى فلسطين. عارض السيد أرنست بيفن (وزير خارجية بريطانيا) هذا الطلب فجرى سجال بين الطرفين اتفقا على أثره على إيفاد لجنة تحقيق أنكلو ـ أمريكية إلى أوروبا لدرس أحوال اليهود وإلى المشرق العربى لدرس الإمكانية وتقديم التوصيات.

جاءت اللجنة (وفى أعضائها نفر عرفوا بانحيازهم إلى الصهيونية) الى القاهرة وبدأت بالاستماع إلى وجهة النظر العربية فى فندق (مينا هاوس) أوفدتنى الحكومة العراقية لإبداء وجهة نظرها أمام اللجنة واتسمت شهادتى أمام اللجنة بالموضوعية والصراحة والوضوح. قائلا إن اليهود كمواطنين مخلصين ينبغى أن يبقوا فى كل بلد يعيشون فيه متمتعين بكامل حقوق المواطنة. وليس من الإنصاف قلعهم من أوطانهم وجلبهم إلى فلسطين ليحلوا محل سكانها الشرعيين ويستولوا على أراضى شعب آمن هو شعب فلسطين. ثم إن العلاقة الطيبة التى

تربط العرب باليهود طوال التاريخ ستتضرر حتما فى كل الأقطار العربية فيما اذا تضخمت الهجرة اليهودية إلى فلسطين.

ثم دعوت اللجنة باسم الحكومة العراقية للمجيئ إلى العراق والاستماع إلى شهادة اليهود العراقيين. فكان ذلك.

أصدرت اللجنة تقريرها كما أراد ذلك الرئيس «ترومان» داعية إلى إدخال مائة ألف يهودى إلى فلسطين حالا.

وفى سنة ١٩٤٦ اجتمع مجلس جامعة الدول العربية فى بلودان (سورية) لبحث الخطر المتأتى من السماح بالهجرة اليهودية مع تجاهل الحق العربى بممارسة سيادته فى وطنه.

كنت قد تقلدت وزارة الخارجية العراقية للمرة الأولى وكنت فى الوفد العراقى الذى حضر اجتماع مجلس جامعة الدول العربية فى بلودان برئاسة المرحوم حمدى الباجه جى (رئيس وزراء سابق) كنت قد اطلعت على تقرير من وزير داخلية الولايات المتحدة (ايكيس) إلى الرئيس ترومان يحذره من مخاصمة العرب فى القضية الفلسطينية بسبب احتياج الولايات المتحدة إلى النفط العربى. فاقترحت على مجلس الجامعة استعمال سلاح النفط فيما إذا تمادت الولايات المتحدة فى دعمها للصهيونية على حساب الحق العربى. لم يقبل الاقتراح العراقى آنذاك واكتفى المجلس بإصدار قرار يحذر كلا من بريطانيا والولايات المتحدة من إعادة النظر فى مصالحها الإقتصادية فى البلاد

العربية فيما إذا اندفعا فى دعم الصهيونية على حساب الحق العربى. ولم يعلن القرار هذا بل سمى «بالقرارات السرية» ثم إن الدول العربية وجهت مذكرات إلى الحكومتين البريطانية والأمريكية تحذرهما من الاندفاع فى الاعتداء على الحق العربى فى فلسطين.

دعت الحكومة البريطانية الدول العربية وممثلين عن عرب فلسطين إلى مؤتمر يعقد فى لندن فى أوائل سنة ١٩٤٧ مثلت العراق فى المؤتمر. عرضت الحكومة البريطانية مشروع حل للقضية الفلسطينية على أساس «كانتونات» شبيهة بالسويسرية تكون دولة اتحادية. رفضت الوفود العربية ذلك وقدمت مشروعا يدعو إلى قيام دولة فلسطينية واحدة يكون نظام الحكم فيها ديمقراطيا: يمثل فيه العرب واليهود على أسس واحدة والعرب بطبيعة الحال يشكلون الأكثرية. رفض الصهاينة المشروع العربى فقررت الحكومة البريطانية التخلص من المشكلة الفلسطينية فأحالتها على منظمة الأمم المتحدة لتتولى علاجها.

عقدت الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ربيع ١٩٤٧ فى مدينة نيويورك اجتماعا خاصا للنظر فى القضية الفلسطينية. مثلت العراق فى ذلك الاجتماع ودافعت عن حق الفلسطينيين بوطنهم وباستقلالهم بكل إلحاح وناقشت ادعاءات الصهيونية بحقها فى فلسطين من النواحى القانونية والتاريخية والدينية بكل موضوعية فهى غير واردة فى عصرنا هذا. كما أنها تنسف مبادئ السلام والعدل الدوليين من

الأساس. قررت الجمعية العامة تشكيل لجنة تحقيق لدرس وضع اليهود في أوروبا وعلاقة ذلك بالقضية الفلسطينية والبلاد العربية المجاورة.

جاءت اللجنة (وفى أعضائها من هم متحيزون إلى الصهيونية صراحة) إلى «صوفر» لبنان بعد أن زارت معسكرات اليهود فى أوروبا.

ذهبت الى «صوفر» وأبديت وجهة نظر العراق حول القضية الفلسطينية أمام اللجنة. قدمت اللجنة تقريرها إلى الأمم المتحدة فى أواسط الصيف وتقريرها يحتوى على رأى للأكثرية يوصى بتقسيم فلسطين إلى دولتين إحداهما عربية والأخرى يهودية مع تدويل منطقة القدس ورأى للأقلية يوصى بإحداث نظام كانتونى على النمط السويسرى.

شرعت الجمعية العامة فى النظر فى التقرير فى اجتماعها العادى خريف ١٩٤٧ فشكلت لجنة سياسية خاصة لمعالجة القضية الفلسطينية.

رفضت الوفود العربية التقرير ومحتوياته فهى لم تقبل مبدأ التقسيم ولا مبدأ التشتيت على أساس كانتونات. فاتخذت موقف الدفاع عن عروبة فلسطين والهجوم على التقسيم فكان كفاح وكان سجال بين مؤيدى التقسيم ومعارضيه دام أياما وليالى. الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ومن يتبعهما كانا وراء التقسيم وكذلك الأمين العام للأمم المتحدة السيد تريغفى لى.

أثرت نقطة قانونية شاركنى فيها الأستاذ فارس الخورى رئيس الوفد السورى: هل من صلاحية الجمعية العامة للأمم المتحدة أن تقسم بلدا ضد موافقة سكانه الشرعيين؟ واقترحت استشارة محكمة العدل الدولية حول ذلك. أيد اقتراحى العديد من المتكلمين ولكن الرئيس لم يأخذ الأصوات بل أجل الجلسة إلى المساء ودعى بعض المؤيدين إلى حفلة عشاء وجرى التصويت في غيابهم فتعادلت الأصوات. فكان صوت الرئيس إيفات (وزير خارجية استراليا) عدم الذهاب إلى المحكمة وإن الموجه الخلفى لإدارة الجلسة هو السكرتير العام تريغفى لى. بعد سنوات معدودات ظهر كتاب هام عنوانه «قانون الأمم المتحدة» للأستاذ هانس كلسن وكان أستاذا للقانون الدولى فى جامعة هارفرد يقول فى إحدى حواشيه إن الاعتراض الذى أثاره كل من مندوبى العراق وسورية حول صلاحية الجمعية العامة لتقسيم بلد ضد إرادة سكانه الشرعيين اعتراض وارد من ناحية شرعية بحتة.

أقرت اللجنة السياسية الخاصة مشروع التقسيم بعد أن منحت إسرائيل أراضى عربية لم توص لجنة التحقيق فى تقريرها بأن تكون لإسرائيل. بدأت مناقشات حامية فى الجمعية العامة وكدنا ننجح فى إحباط مشروع التقسيم ولكن الرئاسة بتوجيه من السكرتير العام وطلب من الجهة الأمريكية أجل التصويت ٤٨ ساعة إلى ما بعد «عيد الشكر» الأمريكى. وخلال هذه الفترة استطاع الرئيس ترومان والهيئات الصهيونية أن يحملوا العديد من الحكومات التى كانت تعارض التقسيم

على تبديل مواقفها أو الاستنكاف على الأقل فجرى التصويت فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ . هاج العالم العربى وماج وتعالت الاحتجاجات وسالت دماء فى فلسطين تحت أعين الإنجليز وهم ما يزالون مسئولين عن الحياة والأمن فيها. فقد قامت عصابة «الايرغون» الصهيونية بذبح ما يقرب من ثلاثمائة فلسطينى فى قرية دير ياسين سنة ١٩٤٨ وألقت بجثثهم فى حفر. وبعثت الرعب فى نفوس الفلسطينيين العزل بحيث نزح السكان من ديارهم بالألوف فأصبحوا فى عداد اللاجئين. ثم قامت عصابة «الشترن» بقتل وسيط الأمم المتحدة الكونت «برنادوت» السويدى الجنسية. وفى شهر مايو ١٩٤٨ تم انسحاب القوات البريطانية من فلسطين وأعلن بن غوريون استقلال إسرائيل فتسابقت الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى فى الاعتراف بإسرائيل. ومنذ ذلك التاريخ إلى يومنا هذا لم يثبت أمن ولا سلام فى الشرق الأوسط. فإسرائيل استمرت فى الاعتداء على الأراضى العربية. فاستولت على كل أرض فلسطين والجولان السورية وجنوب لبنان متحدية قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن. والشعب الفلسطينى قسم منه يعانى الغربة والتشرد خارج وطنه والقسم الباقى فى وطنه يعانى القمع والقهر والاذلال من الاحتلال الإسرائيلى داخل وطنه.

وقبل أن أنهى موضوع فلسطين ودور العراق فى معالجة القضية الفلسطينية أود أن أشير إلى مواقف ثلاثة اختص العراق بمعالجتها فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية.

(١) **تدويل القدس**: ذكرنا أن لجنة التقسيم أقرت تقسيم فلسطين إلى دولتين وإلى جعل منطقة القدس منفصلة عن الدولتين تديرها هيئة دولية. وبعد أن عارضت الوفود العربية قرار التقسيم جملة وتفصيلا بعد صدوره، وجدت نفسها أمام الأمر الواقع بعد تنفيذه. اتفقت الوفود العربية على تأييد التدويل مجاراة للرأى العام الدولى. وأحالت الجمعية العامة موضوع تدويل القدس على مجلس الوصاية ليتولى وضع دستور للتدويل، وكان العراق العضو العربى الوحيد فى مجلس الوصاية الذى اجتمع فى جنيف سنة ١٩٥٠ لوضع دستور للقدس برئاسة السفير «غارو» مندوب فرنسا فكان للعراق مشاركة فعالة فى جعل دستور القدس يضمن المصالح العربية والديانتين الإسلامية والمسيحية. كان الأستاذ أحمد الشقيرى يحضر الجلسات كملاحظ عن سورية وكنا نتعاون فى المواقف الواجب اتخاذها إزاء الموقف الإسرائيلى. وضع دستور مهم للقدس المدوّلة ولكن الموقف المعارض لكل من المملكة الأردنية الهاشمية وإسرائيل الدولتان الحاكمتان للقدس آنذاك حال دون تنفيذ الدستور فوضع على الرف.

(٢) حوالى سنة ١٩٥٠ جاء الوفد الأمريكى فى الأمم المتحدة بمشروع يصفى فيه حقوق الفلسطينيين النازحين عن وطنهم بإسكانهم نهائيا فى بلاد عربية مجاورة ومن البلاد التى جاء ذكرها «العراق». قدم الاقتراح الأستاذ فيليب جسب أستاذ القانون

الدولى فى جامعة كولمبيا. فما كان منى إلا أن سألته بوصفه أستاذا فى القانون الدولى إن كان القرار هذا يتدخل فى الشئون الداخلية لبلد عضو فى الأمم المتحدة أم لا؟

فإن كل تدخل فى الشئون الداخلية لعضو من أعضاء المنظمة فهو ممنوع بموجب المادة الثانية من الميثاق. فما كان من الأستاذ حبيب إلا أن اعترف بذلك وسحب الاقتراح.

(٣) فى جلسة مغلقة فى اجتماعات «ميثاق بغداد» فى أنقره سنة ١٩٥٨ تحدث السيد نورى السعيد رئيس الوزراء العراقى عن وضع عرب فلسطين اللاجئين وكيف أن أحوالهم المزرية تغذى الحركة الشيوعية فى المنطقة بكل تأكيد وطلب إيجاد حل عادل للقضية الفلسطينية وفق مقررات الأمم المتحدة لسنتى ١٩٤٧ و ١٩٤٨. وكان كل من المستر جون فوستر دلاس وزير خارجية أمريكا والمستر سلوين لويد وزير خارجية بريطانية حاضرين ولما لم يتلق جوابا شافيا غادر الوفد العراقى الاجتماع محتجا وعاد الى السفارة العراقية. وبعد عودته إلى السفارة بنحو النصف ساعة دق جرس التليفون وإذا بالمستر دلاس يطلب المجيئ إلى السفارة العراقية فكان ذلك. جاء إلى السفارة واجتمع بالسيد نورى السعيد رئيس الوزراء وبالسيدين توفيق السويدى ومحمد فاضل الجمالى (كلاهما رئيس وزراء سابق). وبعد المناقشة حول الوضع فى

الشرق الأوسط وعلاقة القضية الفلسطينية بالمد الشيوعى. أبدى المستر دلاس استعداد الولايات المتحدة لأن تعاد القضية الفلسطينية إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة لتعين لجنة توفيق جديدة تتولى حل القضية على ضوء مقررات الأمم المتحدة الصادرة فى سنتى ١٩٤٧ و ١٩٤٨ ووعد بأن الحكومة الأمريكية سوف تؤيد هذا الحل. وقد عهد إلىّ أن أتولى القضية فى الاجتماع القادم (خريف ١٩٥٨) للجمعية العامة. ولكن الثورة العراقية فى ١٤ يوليو ١٩٥٨ داهمتنا ولم يبق مجال لتنفيذ الخطة التى اقترحها المستر دلاس.

هذا الاجتماع فى السفارة العراقية فى أنقره كان آخر موقف مسئول لى فى القضية الفلسطينية. ولكن القضية الفلسطينية تعقدت بعد ذلك التاريخ وحلت الكثير من المآسى فى فلسطين وفى البلاد العربية منذ ذلك التاريخ. وهى لا تزال تنتظر الحل على أساس الشرعية الدولية واحترام حقوق الإنسان ولا سيما حقوق أبناء الأديان الثلاثة الإسلام والمسيحية واليهودية فى الأرض المقدسة. المسألة تتطلب من جميع الأطراف التسامح والتفاهم والتآخى على أساس الإيمان بالله الواحد والمعايير الإنسانية الواحدة للجميع. ولن يتحقق سلام فى المنطقة ما لم تتراجع إسرائيل عن تحقيق حلم إسرائيل الكبرى وتتعايش مع سكان المنطقة من مختلف المذاهب والأديان بروح الأخوة والمساواة وتعترف

بالحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني بوطنه. هذا وإن العراق اعتبر القضية الفلسطينية من قضاياه الوطنية الخاصة وتصرف فى الحقل الدولى على هذا الأساس.

العمل من أجل توحيد البلاد العربية:

على أثر استقلال العراق ودخوله عصبة الأمم سنة ١٩٣٢ شرع المرحوم الملك فيصل الأول بالعمل على الاتصال بالبلاد العربية والتعاون معها والعمل على تحرير من لم يزل منها تحت الانتداب. وكان الاتصال الثقافى والتعليمى هو الوسيلة الأولى فقد نشطت فى الثلاثينيات من هذا القرن حركة ثقافية وحدوية مهمة فقد استقدم أساتذة من سورية ولبنان ومصر وفلسطين للتدريس فى المعاهد العلمية كما دعى علماء وأدباء وفنانين لإلقاء المحاضرات وإحياء الحفلات الفنية.

أتذكر جيدا الحفل الذى أقيم فى البلاط الملكى (وقد حضرته) والذى غنى فيه الفنان الشاب محمد عبد الوهاب الأغنية المشهورة لأحمد شوقى:

ياشراعا وراء دجلة يجرى فى دموعى تجنبتك العوادى

سر على الماء كالمسيح رويدا واجر فى اليم كالشعاع الهادى

كما أتذكر مجيىء الأستاذ على الجارم وسماع قصيدته التى لحنت فيما بعد «بغداد يا بلد الرشيد ومنارة المجد التليد».

وكان نادى المثنى بن حارثة الشيبانى وكنت أحد أعضائه المؤسسين يسعى لبث فكرة لوحدة القومية بين البلاد العربية وكان يضم النادى إلى جانب أعضائه العراقيين نخبة من أبناء الأمة العربية العاملين فى العراق من سوريين ولبنانيين وفلسطينيين. فكان من أعضائه الشاعر السورى الكبير بدوى الجبل وهو القائل:

ليس بين العراق الشام حد   هدم الله ما بنوا من حدود

كما كان من أعضائه الأستاذ المجاهد أكرم زعيتر من فلسطين والدكتور فريد زين الدين من لبنان ـ سورية وغيرهم عديدين.

وكانت بغداد مركزا للقاء السوريين والفلسطينيين المجاهدين العاملين من أجل استقلال بلادهم والمطالبين بحقوقهم الوطنية المشروعة وكان الشعب العراقى عامة متحمسا لتحرير البلاد العربية وتوحيدها. حتى إن رئيس الوزراء السيد ياسين باشا الهاشمى نعت بـ «بسمارك» العرب.

وفى سنة ١٩٤٣ خلال الحرب العالمية الثانية قدم السيد نورى السعيد (رئيس الوزراء) ما دعى «بالكتاب الأزرق» إلى المستر كيسى وزير الدولة البريطانى المقيم فى القاهرة مقترحا فيه وحدة الهلال الخصيب المكون من: العراق وسورية ولبنان والأردن وفلسطين. والاعتراف بحق المسيحيين فى لبنان واليهود فى فلسطين بحكم ذاتى ضمن الهلال الخصيب. ولكن الحكومة البريطانية لم تأخذ بهذا

الاقتراح. واكتفت بتصريح المستر إيدن بأن الحكومة البريطانية ترحب باتحاد البلاد العربية وتعاونها السياسى والاقتصادى. فقامت فكرة إنشاء جامعة الدول العربية. وتولى السيد نورى السعيد الذى عمل كوزير مفوض للعراق فى القاهرة (فى ١٩٤١) بإقناع النحاس باشا ليتبنى الفكرة وبذلت جهود لإقناع الملك عبد العزيز آل سعود وملك اليمن بأن يشاركوا فى تأسيس الجامعة وبعد إقرار بروتوكول الإسكندرية سنة ١٩٤٤ وضع الميثاق وتأسست الجامعة فى مارس سنة ١٩٤٥.

إن القوميين العرب اعتبروا الجامعة العربية كمحطة أولى فى سبيل سير القطار العربى نحو الوحدة ولكن القطار لم يتحرك منها إلى الآن.

فى سنة ١٩٤٦ أصبحت وزيرا للخارجية للمرة الأولى وكان دور العراق رئاسة مجلس الجامعة فترأست أطول اجتماع فى تاريخ الجامعة على ما أعلم وجابهت أول مشكل بين الدول العربية وهو: شكوى الحكومة السورية على حكومة الأردن لقيام المرحوم الملك عبد الله بدعوة السوريين لمبايعته باعتباره ملك سوريا الكبرى. إنه تدخل سافر فى شئون وسيادة دولة شقيقة (كما يقال اليوم) فكانت مهمتى شاقة: إعادة الصفاء بين عضوين من جسم واحد اقترحت تشكيل لجنة من وزراء خارجية الدول الأعضاء: دعيت «باللجنة السياسية» فى جامعة الدول العربية. وبعد جهد ونصح أخوى نجحت اللجنة فى تصفية الموقف وذلك بإعلانها عن النوايا القومية المخلصة للأردن التى لم يقصد بها المس بسيادة الحكومة السورية.

كان العراق يسعى منذ نهاية الحرب العالمية الثانية الى الاتحاد مع سورية والأردن. أما سورية فلم تتحد مع العراق لعوامل عديدة عربية وأجنبية: وفى مقدمتها اعتراض كل من مصر والسعودية على الاتحاد لكى لا يختل «توازن» القوى فى المنطقة! وكان الرئيس شكرى القوتلى فى زيارته الأولى إلى السعودية بعد الاستقلال سنة ١٩٤٦ قد وعد الملك عبد العزيز آل سعود بأنه لن يدخل فى اتحاد منفرد مع العراق.

أما الأردن فقد ارتبطت بالعراق بمعاهدة أخوة وتعاون وقعتها عن العراق ووقعها المرحوم سمير الرفاعى عن الأردن سنة ١٩٤٦. والمعاهدة تشتمل على التعاون بين القطرين فى مجابهة المشكلات الداخلية أو الخارجية التى تحدث لإحديهما.

وفى سنة ١٩٤٩ وقع أول انقلاب عسكرى فى سورية فأزيح الرئيس شكرى القوتلى عن الحكم وجاء الزعيم حسنى الزعيم. كنت وزيرا للخارجية. أسرعنا فى الاتصال به. ولما كان الزعيم كرديا نسبنا أن يتولى الأستاذ جمال بابان وهو وزير كردى معروف أن يسافر إلى سورية كما أوفدنا الدبلوماسى (تى) عونى الخالدى وهو كردى الأصل أيضا إلى دمشق. وكانت التقارير التى تردنا تحمل شيئا من الأمل فى موضوع اتحاد القطرين. إلا أن مصر سارعت بدعوة الزعيم إلى القاهرة فاستقبله الملك فاروق وكرمه ثم زاره فى دمشق عبد الرحمن عزام باشا الأمين العام للجامعة العربية فنصحه بعدم السير فى اتجاه الاتحاد مع

العراق. ولما زاره السيد نورى السعيد وجده غير مؤهل لبحث الموضوع.
لم تمض مدة طويلة على انقلاب حسنى الزعيم واذا بانقلاب ثان يطيح به هو ورئيس وزرائه المرحوم محسن البرازى. وجاء الى السلطة العقيد سامى الحناوى. كان الحناوى من محبذى الاتحاد بين سورية والعراق وله صلة نسابة مع العراق. ولقى تأييدا من قادة حزب الشعب الذى كان رئيسه السيد رشدى الكيخيا وعدد من قادة الحزب الوطنى. وكان الاتصال بين العراق وسورية نشيطا وأتذكر اجتماعى بالرئيس «ناظم القدسى» فى شتورا بدعوة من المرحوم رياض الصلح على الغداء.

ولكن الحناوى لم يعش طويلا فقد حدث انقلاب ثالث جاء بالعقيد أديب الشيشكلى. وقتل الحناوى فى بيروت.

العقيد الشيشكلى جاء معارضا العراق والاتحاد معه. كما كان قويا صارما مع معارضيه الأمر الذى جعل العديد من الساسة المحترمين يلجأون للإقامة فى لبنان (بيروت) ويعملون من أجل إنقاذ سورية من بطشه ولا سيما فى جبل الدروز.

ولما أصبحت رئيسا للوزارة ١٩٥٣ جوبهت بطلب من عدد من أقطاب السياسة السوريين بتدخل العراق لإنقاذ سورية على التحرر من الطغيان الشيشكلى حتى إن أحدهم اقترح بتخصيص عدد من الجنود العراقيين ليتزيوا بزى الجندى السورى فيدخلوا إلى سورية فاتحين. نحن لم نلبّ طلبا كهذا ولا نؤمن بالتدخل فى شئون دولة مجاورة. فما قمنا

به هو إيفاد شخصية عراقية مهمة السيد صالح جبر (رئيس وزراء سابق) ليقيم فى بيروت ويقدم العون المادى أو المعنوى لإخواننا السوريين فى بيروت على أن يتولوا هم شئون سورية بأنفسهم. وبقينا على اتصال دائم مع إخواننا السوريين المقيمين فى بيروت حتى تم سقوط العقيد أديب الشيشكلى. وغادر دمشق إلى بيروت سالما بتوسط العراق إذ كان يراد القضاء عليه.

علاقة العراق بلبنان كانت ممتازة فى عهدنا طوال الوقت: فكانت تربطنا بالقوميين العرب اللبنانيين رابطة أخوة ومبدأ وتربطنا بالمسيحيين عامة رابطة تعاطف وتعاون فقد كانت لى مع زميلى فى الدراسة «شارل مالك» ومع الرئيس كميل شمعون ومع بيير الجميّل وغيرهم صلات حميمة. ووجدت فى شخصية البطرك المعوشى إنسانا حكيما متسامحا يريد الخير للبنان وجيرانه. أما الشهيد رياض الصلح فقد كان أخا فى السراء والضراء ومرشدا وصديقا لساسة العراق. لما كنت أسعى للاتحاد بين العراق وسورية زالت كل المخاوف من عواقب الاتحاد لوجود عراق متسامح. كما أن عددا عديدا من الإخوان من أمثال الأستاذ كامل مرّوة صاحب جريدة الحياة والأستاذ أكرم زعيتر المجاهد الفلسطينى الذى كان يلتقى فى لبنان والأستاذ كاظم والأستاذ محمد شقير والأستاذ سعيد تقى الدين وغيرهم وغيرهم كانوا يؤيدون المسعى. ثم إنى اتصلت بسعادة السفير الفرنسى فى بيروت وطمأنته حول نوايا العراق من مشروع الاتحاد.

مشروع العراق للاتحاد العربي:

في يناير ١٩٥٤ وكنت رئيسا للوزارة العراقية قدمت لجامعة الدول العربية مشروع اتحاد لدول الجامعة الراغبة فى الاتحاد على أسس مرحلية حرة فقد ورد فى المشروع:

«يستهدف الدستور الاتحادى وحدة السياسة الخارجية والدفاع والشئون الاقتصادية المشتركة وغير ذلك مما يتفق عليه المتفاوضون وينص الدستور على الأداة الاشتراعية والتنفيذية للاتحاد» . كما ورد:

«إن العراق ليعرب عن استعداده للدخول فى الاتحاد مع أى قطر من الأقطار العربية الراغبة فيه ويرجو مخلصا أن يلقى من لدن الأعضاء مثل الرغبة التى يحسها ويعمل لتحقيقها» .

لقد دعينا للغذاء فى اليوم الأول من وصولنا إلى القاهرة فى نادى الضباط وكان الرئيس محمد نجيب على يمينى فى جلوسنا على المائدة والبكباشى جمال عبد الناصر على شمالى. (وقد علمت فيما بعد أن الرئيس عبد الناصر طلب الجلوس بجانبى للتعرف على) .

بعد الغذاء دعانى الرئيس محمد نجيب لتناول طعام العشاء لوحدنا فى داره فقبلت الدعوة شاكرا مع السفير العراقى الأستاذ نجيب الراوى. ذهبنا فى الموعد فوجدنا السيدين جمال عبد الناصر وحسين الشافعى معنا تحدثنا عن العلاقات العراقية المصرية وفى العلاقات العربية عامة كما تحدثنا عن مشروع الاتحاد الذى كنت قدمته فلقى استحسانا

وتأييدا تاما. وقبل الوداع سألت الرئيس محمد نجيب إن كان في وسعه أن يشرفنا لتناول العشاء في السفارة العراقية غدا فاعتذر لموعد سابق ولكن السيد جمال عبد الناصر قبل الدعوة فجاء في الليلة التالية الى السفارة العراقية وتناولنا أحاديث في السياسة الدولية والسياسة المصرية مع بريطانية وكنا متفقين حول كل الأهداف والسياسات تقريبا. ثم إن الرئيس جمال أخرج من جيبه صفحة من جريدة «النيويورك تايمز» تحمل خبر عن حلف تركي ـ باكستاني. ويضيف الخبر أن العراق قد ينضم إلى الحلف. سألني عن ذلك فقلت له إن العراق لم يدع إلى الإنضمام إلى هذا الحلف وإذا دعي سيستجيب. ذلك لأننا ننتمي منذ الثلاثينيات إلى ميثاق سعد آباد وهو ميثاق يربط بين تركيا وإيران والعراق وأفغانستان. رجاني تأجيل الانضمام فيما إذا دعي العراق حتى تنتهي مفاوضات مصر مع بريطانيا حول الجلاء عن القنال ـ فوعدته بذلك. عرضت مشرع الاتحاد على مجلس الجامعة فأحاله على الأعضاء للدرس، فدرس حتى قبر. عدت إلى العراق وإذا باذاعة صوت العرب تهاجم العراق ورئيس وزرائه لانضمام العراق إلى الحلف التركي الباكستاني وهو أمر غير صحيح. بعد شهور من الحادث وكنت قد استقلت من رئاسة الوزارة يأتي السيد صلاح سالم إلى العراق يقدم الاعتذار عن التحامل على وزارة الجمالي وهي بريئة! لا شك من أن جهة مغرضة دست الخبر المكذوب.!!

استقالتي من رئاسة الوزارة بسبب الاتحاد:

لم يكن نورى السعيد وهو زعيم حزب الأكثرية فى البرلمان مؤيدا لسياستى فى السعى وراء الاتحاد مع سورية، وكان يعتقد أن العمل من أجل الاتحاد مع سورية يتطلب التفاهم مع فرنسا أولاً. استقلت من الوزارة لأن المجلس ماطل فى اقرار ما كنت أنوى صرفه من أجل الاتحاد. كلف هو بتشكيل الوزارة بعدى وكلف بعض الزملاء فى وزارتى للدخول فى وزارته فاعتذرنا، فلم يشكل الوزارة، استدعى السيد أرشد العمرى لتشكيلها. كلفنى بالاشتراك معه كوزير خارجية فقبلت بشرطين أولهما: حل المجلس النيابى ـ ثانيهما الاستمرار فى سياسة الاتحاد. قَبِلَ الشرطين فاشتركت فى الوزارة وبعد أيام أصبت بإغماء فى وزارة الخارجية فتبين أن بليت بقرحة فى الاثنى عشرى، ذهبت الى مستشفى الجامعة الأمريكية فى بيروت للعلاج ثم النقاهة فى أوتيل «الجبل الأخضر» فى برمانا فأصبح كل من المستشفى والأوتيل مركزين هامين للمفاوضات واللقاءات مع الإخوة السوريين. ثم سافرت للولايات المتحدة لفحص طبى ونيل دكتوراه شرف من جامعتى كولمبيا والاجتماع بصديقى وزير الخارجية جون فوستر دالاس والرئيس أيزنهاور فى البيت الأبيض بحثت موضوع اتحاد العراق وسورية مع المستر دالاس فأجابنى كعادته بصراحة أن حكومة الولايات المتحدة لا تستطيع أن تؤيد الاتحاد بسبب موقف الكونجرس المؤيد لإسرائيل. ولكنه عاد فقال إذا انضم العراق إلى تنظيم يشكل حزاما أمنيا حول الاتحاد

السوفييتى ففى وسع الولايات المتحدة آنذاك أن تؤيد الاتحاد. وجد الاقتراح قبولا من نفسى وفكرى لأنى من جهة أدعو إلى الوقاية من الخطر الشيوعى على العراق ومن الجهة الثانية أنا متحمس من أجل الاتحاد.

ميثاق بغداد:

من الموضوعات التى شغلت الفكر السياسى العربى فى أواسط الخمسينات موضوع ميثاق بغداد ـ فقد أعلن الرئيس عبد الناصر الحرب على حلف بغداد وعبأ الرأى العام ضد انتماء العراق لهذا الميثاق. فما هو هذا الميثاق كيف نشأ.

إن ميثاق بغداد فكرة دفاعية ضد الخطر الشيوعى الذى كان يهدد البلاد المتاخمة للاتحاد السوفيتى، عدت من الولايات المتحدة وأنا متأثر برأى المستر دالاس حول الحزام الأمنى حل الاتحاد السوفيتى، كنت قد فاتحت المستر دالاس بموضوع اتحاد سورية والعراق فأبدى أن الولايات المتحدة لا تستطيع تأييده لمعارضة «الكنغريس» المؤيد لإسرائيل، وأن الاعتراض قد يزول لو انتمى العراق إلى حزام أمنى ضد الخطر الشيوعى. عدت إلى العراق فوجدت أن السيد نورى السعيد يتحدث عن تنظيم إقليمى تدعمه كل من بريطانيا والولايات المتحدة ولما فاتحنى بالموضوع كنت مؤيدا ومؤازرا. قال لى إنه فاتح الصاغ صلاح سالم وزير الإعلام المصرى بالموضوع على أساس أن مصر ستكون من أركان هذا التنظيم وكلفنى عند مرورى بمصر أن أقابل الصاغ صلاح سالم

وأسأله عن موقف مصر. ولما وصلت مصر علمت بأن صلاح سالم قد يكون عرض الأمر على الحكومة المصرية فلقى إهانة من أخيه ورفضا للموضوع وأنه فى الوقت الحاضر انزوى في قريته مبتعدا.

ولما عدت من الولايات المتحدة بعد حضورى اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة وجدت أن السيد نورى كان قد اتصل بتركيا ومصر وبريطانيا. وأن مصر كانت تنوى الانضمام لكن حادث اطلاق النار على الرئيس جمال عبد الناصر وهجمات الدعاية المسلطة عليه من الإخوان المسلمين جعلته يتراجع ويترك للعراق حرية العمل فى الموضوع. وفى بداية ١٩٥٥ قدم إلى بغداد وفد تركى هام برئاسة رئيس الوزراء عدنان مندرس وبحث موضوع الميثاق وطلب السيد نورى السعيد تأجيل التوقيع على الميثاق بعض الوقت لكن حماسى من أجل الاتحاد مع سوريا جعلنى أرجو صديقى عدنان مندرس ألا يغادر بغداد ما لم يتم التوقيع على الميثاق. هكذا كان. ثم انضمت كل من إيران وباكستان وبريطانيا الى الميثاق أما الولايات المتحدة فإنها لم تنضم إلى الميثاق كعضو كامل بل كملاحظ وعضو فى اللجنة الاقتصادية فقط.

انتهت بدخول بريطانيا الميثاق معاهدة ١٩٣٠ وتحرر العراق نهائيا من كل هيمنة رسمية بريطانية على سياسته. بقيت وأنا عضو فى البرلمان أدافع عن ميثاق بغداد، ودعيت للاشتراك فى اجتماعات الميثاق فى كل من طهران وكراجى وأنقره. هذا وإن العراق اتخذ من اجتماعات الميثاق مناسبة لخدمة قضايانا القومية. فحاولنا (فى اجتماع

أنقره ١٩٥٨) إقناع كل من بريطانيا والولايات المتحدة بوجهة نظرنا حول موضوع الجزائر أن الجزائر ليست فرنسا. فيما يتعلق بفلسطين قلنا إن الشيوعية لا يمكن أن تقاوم فى البلاد العربية ما دام الشعب الفلسطينى محروما من حقوقه المشروعة وما دام مئات الألوف من أبنائه يعيشون عيشة مزرية فى المخيمات. ولما حصل تلكؤ حول اتخاذ قرار من أجل فلسطين خرج الوفد العراقى محتجا من الاجتماع عائداً إلى السفارة العراقية. دق جرس التليفون وإذ بالمستر دلاس يريد المجىء إلى السفارة العراقية. جاء إلى السفارة فالتقى بالوفد العراقى المكون من رئيس الوزراء السيد نورى السعيد والسيدين توفيق السويدى ومحمد فاضل الجمالى (وكلاهما رئيس زراء سابقا) بعد المصارحة حول المشكلة الفلسطينية أقر المستر دلاس اعتراف الولايات المتحدة بأن القضية الفلسطينية تهدد السلام فى الشرق الأوسط واقترح أن يعاد موضوع فلسطين إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة فى دورتها القادمة وأن الولايات المتحدة سوف تدعم حلا يأخذ بعين الاعتبار مقررات الجمعية العامة لسنتى ١٩٤٧ (التقسيم) و ١٩٤٨ عودة النازحين، وكان المفروض أن أقوم أنا بمباشرة القضية في الجمعية العامة فى الدورة المقبلة، لكن الثورة العراقية أزاحت النظام الملكى فى العراق، وانسحب العراق من ميثاق بغداد بعد الثورة. وبقيت القضية الفلسطينية تزداد تعقيدا وتعفننا إلى يومنا هذا.

بفضل ميثاق بغداد توطدت صداقات حميمة بين العراق وكل من إيران وباكستان وتركيا. وتكونت لى شخصيا صداقات مع العديد من قادة إيران ورئيس وزراء تركيا عدنان مندرس ورئيس جمهورية الباكستان اسكندر ميرزا.

فى صيف ١٩٥٧ دعانى الرئيس عدنان مندرس إلى تركيا فقضيت ما يزيد على الشهر فى استانبول وتجولت أنحاء تركيا مع الرئيس مندرس. وكان ملك العراق الشهيد فيصل الثانى وعائلته وخاله الأمير عبد الإله يصطافون فى اليخت الملكى فى البوسفور، وفى أحد الأيام جاءنى تليفون يدعونى لتناول الغذاء فى قصر «يلدز» على شرف ملك العراق وحاشيته، وكان الرئيس جلال بايار رئيس الجمهورية التركية ورئيس الوزراء عدنان مندرس هما المعزبان، دار الحديث حول الخطر الشيوعى على سورية لا سيما والسيد عفيف البزرى رئيس أركان الجيش يتعاطف مع الشيوعيين، فاقترح السيد عدنان مندرس استشارة الولايات المتحدة حول الموضوع. الولايات المتحدة أُوفدت المستر «لوى هندرسن» الى استانبول لشرح وجهة النظر الأمريكية ولوى هندرسن من الأميركان الملمين بشئون الشرق الأوسط والمدركين للخطر الشيوعى ـ اجتمعنا على مائدة غذاء ثانية فى قصر «يلدز» عند قدوم المستر هندرسن وأكد المبعوث الأمريكى أن الشيوعية ناشطة فى سورية وأن خطرها على الأقطار المجاورة وارد. ولكن الولايات المتحدة لا تنوى التدخل وتترك الأمر لدول المنطقة. قال عدنان مندرس وتركيا لن

تتدخل وتترك الأمر للدول العربية. كان المرحوم السيد على جودة الأيوبى رئيسا للوزراء العراقية آنذاك. ولما سئل عن رأيه حول الخطر الشيوعى فى سوريا قام بزيارة لها وعاد مطمئنا أن لا خطر شيوعى فى سورية. ونحن نميل الى الاعتقاد بأن السيد على جوده كان متأثرا بصديقه الأستاذ مزاحم الباجه جى من دعاة السياسة المصرية فى العراق وهو صديق حميم للرئيس جمال والرئيس جمال لم يسلّم بوجود خطر شيوعى على الأمة العربية. ونحن كنا على علم بأن سورية أصبحت مسرحا لتيارات عديدة متضاربة والدول الصديقة والعدوة كانت تعبث فى شئونها وأن الخطر الشيوعى هو الذى حمل القوميين من أبناء سورية أن يطلبوا الالتحاق بمصر ويحققوا الوحدة الاندماجية مع مصر ١٩٥٨.

الوحدة المصرية ـ السورية والإتحاد الهاشمي

لما ساءت الأحوال وتشرذم الشعب السورى بتضارب السياسات والمعتقدات رأى جمع من القوميين المخلصين تسليم زمام سورية إلى الرئيس جمال عبد الناصر، فقبل الرئيس جمال هذا الحمل الثقيل من دون أن يحسب حساب العواقب أو أن يتعرف على حقيقة الأوضاع فى سورية كما أنه هو والأخوة السوريين تجاهلوا علاقة العراق بهم قومياً واقتصادياً وسياسياً وجغرافياً. الأمر الذى حملنى على تحرير مقال فى جريدتى «العمل» التى كنت أصدرها فى بغداد متسائلاً «أتحد أم اتحاد؟» الأمر الذى أغضب الرئيس جمال عبد الناصر. ثم إن

الرئيس جمال بعد أن قبل الحمل الثقيل فى سورية بدأ فى التدخل فى شئون لبنان والعديد من البلاد العربية الأخرى ومن ضمنها العراق واليمن وشمال أفريقيا.. وبعد أن أعلنت الوحدة بين مصر وسورية ذهبت إلى البلاط الملكى واقترحت عقد اتحاد بين العراق والأردن وقبل اقتراحى، فذهب وفد عراقى إلى عمان وتم الاتفاق على تحقيق اتحاد القطرين برئاسة الملك فيصل الثانى ملك العراق ونيابة الرئاسة لجلالة الملك حسين، وعلى إثر ذلك استقال رئيس الوزراء العراقى السيد عبد الوهاب مرجان وكلف السيد نورى بتشكيل وزارة تعد للاتحاد. دخلت الوزارة كوزير للخارجية (للمرة الثامنة) فأعددنا دستور الاتحاد وعدلنا الدستور العراقى على ضوء دستور الاتحاد. خطر على بال السيد نورى السعيد ونحن نعالج الدستور حاجة الأردن إلى معونة مالية لتمويل جيشه النظامى الذى كان يمول من قبل بريطانيا ومساعدة الولايات المتحدة وأن العراق لا يستطيع تحمل نفقات الجيش الأردنى لوحده. فاقترح انضمام الكويت إلى الاتحاد كى يقوى الاتحاد وتساعد الأردن مادياً. حدث أن مرّ وزير خارجية بريطانيا المستر سلوين لويد ببغداد فى طريقه عائداً من الشرق، فاجتمعنا به فى قصر الرحاب (مسكن الملك وخاله ولى العهد) وكان الحضور: الملك والأمير عبد الله ورئيس الوزراء السيد نورى وفاضل الجمالى وزير الخارجية. بحث موضوع استقلال الكويت وانضمامه الى الاتحاد. واقترحت أنا أن يصبح الأمير ملكاً بعد الاستقلال ليتشكل الاتحاد من ملوك ثلاثة. وعد

المستر لويد بأن تقوم الحكومة البريطانية بدرس الموضوع وتباطأت بريطانيا فى رفع الحماية حتى قامت ثورة ١٤ تموز العراقية وزال العهد الملكى من الوجود وزال الاتحاد.

استقالت وزارتنا وتشكلت وزارة اتحاد كما تشكلت وزارة عراقية جديدة (من دون وزير خارجية لأن وزير الخارجية أصبح واحداً فى الاتحاد) لم أشترك فى أى من الوزارتين ولكنى عينت عضواً فى مجلس الاتحاد.

وفى ليلة افتتاح المجلس الاتحادى فى عمان استدعانى الملك فيصل بحضور خاله (فى غرفة النوم) وأخبرنى بأنى سأكون المرشح لرئاسة الوزارة الاتحادية بعد السيد نورى السعيد وكلفنى بالسفر غداً صباحاً إلى الأمم المتحدة فى نيويورك للدفاع عن لبنان فى مجلس الأمن. كان لبنان مشتعلاً بنار حرب داخلية يغذيها الرئيس جمال عبد الناصر عن طريق سوريا فذهبت إلى الأمم المتحدة وتعاونت مع الدكتور شارل مالك فى الدفاع عن لبنان وألقيت خطاباً صريحاً عرفت فيه «الناصرية» المصطلح هذا هو من وضعى Nasserism وأنها سياسة يحق بموجبها للرئيس عبد الناصر أن يتدخل فى شئون أى بلد عربى يختار وأن يوجهها حسب هواه وإلا فستلقى المصير الذى وصله لبنان. وقد ثبتت صحة قولى حين ظهر أن الرئيس جمال عبد الناصر كان قد أسهم فى الإعداد للثورة على النظام الملكى فى العراق بالتعاون مع المرحوم السيد رشيد عالى الكيلانى اللاجئ السياسى فى مصر آنذاك.

كان خطابى دسماً وكان يستحق أن تقوم الثورة بتشريع خاص ذى أثر رجعى لذلك الخطاب حكمت من أجله عشرين سنة سجناً لإلقائى ذلك الخطاب، ولما كان حكم محكمة المهداوى علىّ بالإعدام وخمسة وخمسين سجناً وغرامة مالية تقدر بمليون دولار لم أعبأ كثيراً بالعشرين سنة سجناً.

وفى الختام أقول إن علاقة العراق بالدول العربية من مشرقها إلى مغربها وبالدول المجاورة كانت ودية وإيجابية عدا فترات قصيرة برزت فيها الخلافات مع سوريا فى عهد أديب الشيشكلى ومع مصر فى عهد نورى السعيد وجمال عبد الناصر، أما السعودية فلم نختلف معها على قضية جوهرية وقد كانت تجمعنا والسعودية فى السنوات الأخيرة من العهد الملكى مقاومتنا للشيوعية وأصبحت العلاقات ودية حين بدأ الرئيس عبد الناصر يتحامل على الملكين سعود أولاً وفيصل أخيراً.

ومهما تغيرت الظروف وتعاقبت الحكومات فالأهداف الثابتة للعراق وللأمة العربية سوف تبقى وهى :

التحرر والاستقلال.

الاتحاد والتعان والتآخى.

التجديد والبناء.

لخير العروبة والإسلام خاصة خير الإنسان عامة.

رسالة مفتوحة إلى الشعب العراقى الكريم من الدكتور محمد فاضل الجمالى ١٩٦٩

بنى وطنى الأعزاء: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. بعد غياب دام أكثر من سبع سنوات عن عراقنا الحبيب مع ما يرافق هذا الغياب من حنين إلى الوطن وشوق إلى الأهل والأصحاب أحمد الله تعالى على نعمة الحياة والحرية ولبقائى على قيد الحياة لأتحدث إلى إخوانى وأخواتى فى العراق على اختلاف عناصرهم ومذاهبهم وأحزابهم على اختلاف مناصبهم ومهنهم بكل صراحة وتجرد.

أؤكد لكم أيها الأعزاء بأنه لم تغمض لى عين فى يوم من الأيام دون أن أفكر فى أحوال العراق وما حل به فى السنوات العشر الأخيرة. فقد كان ينتظر من العراق أن يقوم بدور حيوى فى إنتاج الخيرات والبركات لأبنائه وللإنسانية جمعاء. كما كان ينتظر منه أن يقوم بدور فعال فى الدفاع عن الحرية والعدالة فى العالم لا سيما فى حقل الدفاع عن حقوق إخواننا عرب فلسطين. فإن ما يتمتع به العراق من تراث تاريخى وحضارى زاخر وما يحيوه من ثروات طبعية (أراض، مياه، نفط، كبريت) ما لا يملكه إلا النادر من بلاد العالم. وما وهبه الله لأبنائه من ذكاء وقاد وأريحية كريمة كان يؤمل أن يجعل العراق فى

مصاف أرقى الدول حضارة وأكثرها رفاها وخصباً وأسماها إنسانية وكرامة. إذن ما الذى حدث ليؤخر سير العراق نحو أهدافه الإنسانية العليا؟ ما الذى جعل العراق الغنى يلجأ إلى الاستجداء والاستقراض؟ ما الذى جعل العراق بلد الخيرات والبركات يستورد الطعام من الخارج؟ وما الذى جعل بغداد دار السلام تصبح مسرحاً للمعتدين يغتالون الرجال العاملين ويبعثون الخوف والرعب فى قلوب المواطنين الآمنين؟ وما الذى جعل الهوة تزداد عمقاً بين الحاكمين والمحكومين على مر السنين؟ ما الذى جعل مئات الأساتذة والعلماء من أبناء العراق يهجرون وطنهم إلى حيث ينعمون بنعمة الحرية والأمان فى بلاد نائية؟

هذه وأمثالها أسئلة تراودنى ولا أشك فى أنها تخالج أفكار الكثيرين من أبناء العراق المخلصين فقد قرأت مذكرات عديدة واطلعت على تعليقات صحفية منوعة والبعض منها تحوى أفكاراً نافعة وعواطف صادقة ولكنها كلها تقريبا أصوات فردية متباعدة وما نحتاج إليه اليوم هو رأى عام عراقى يقوده الفكر النير والإخلاص والتجرد من المصالح الشخصية والحزبية. رأى عام يعرف أسباب الداء ويتطلع إلى معرفة الدواء. يعرف ويميز بين طريق الخير وطريق الشر كما يريد باستعجال السير فى طريق الإصلاح والعلاج فإن العالم يسير بسرعة والظروف العالمية لا ترحم الضالين والمتخلفين فى السير كما أنها لا ترحم

المرضى أو الضعفاء الذين يتوانون فى الأخذ بوسائل العلاج ووسائل القوة.

فالمهم إذن هو أن يدرك أبناء العراق كلهم خطورة الداء الذى منى به العراق وأن يشعر كل واحد منا بأنه مبتلى به وأن نعزم على تناول الدواء فنبدأ بمعالجة أنفسنا معالجة جديّة ونطلب الشفاء من الله تعالى ليعيد لنا قوتنا ويعيد لنا عزنا ووحدتنا ويعيد لنا عزمنا على القيام بالدور الذى يجب أن نتعهده فى خدمة العروبة والإسلام والإنسانية جمعاء.

علل العراق. منشؤها. من المسئول عنها؟

لقد أشرنا إشارة عابرة إلى بعض العلل التى استفحلت فى عراقنا العزيز فى السنوات العشر الماضية لا لنلقى اللوم على جهة معينة. فالمسئولية فى نظرنا عامة شاملة قديماً وحديثاً، وقد ورد فى الحديث الشريف «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته» ولقد صدق من قال «كما تكونون يولى عليكم» والحقيقة أن بعض مشكلات العراق وبعض علله ليست بالجديدة ولا هى مقتصرة على فرد أو جماعة معينة. فالعراقيون يعلمون جيداً أن العراق هو البلد الذى استشهد فيه الإمام الحسين عليه السلام كما أنهم يقرأون أن العهد العباسى فى بعض أدواره شاهد من الفتن والمحن ما تقشعر له الأبدان. وما جرى آنذاك لا يختلف فى كثير أو قليل عما عرفناه فى السنوات العشر الماضيات من مآسٍ وسفك للدماء البريئة وإزهاق للأرواح العزيزة لا سيما فى الموصل وكركوك.

إن هذه الأمراض والعلل النفسية والخلقية لم تعالج بمرور الزمان بل زادت تعفناً وتعقداً أحياناً. فالعراقى قد يحمل فى داخله عقداً نفسية وعصبيات جاهلية منوعة. والعراقى قد عرف باندفاعاته العاطفية سواء الشريفة والكريمة منها أو الهمجية البربرية.

نحن نميل إلى الاعتقاد بأن بعض هذه الأمراض النفسية والخلقية هى وليدة انعدام الطمأنينة والاستقرار فى العراق كما أنها هى بدورها تزيد فى انعدام الطمأنينة والاستقرار. أما منشأ ذلك فهو أن العراق بلد الخيرات ومهد الحضارات ذا الموقع الجغرافى الممتاز فى العالم طالما اجتاحته جيوش الفاتحين من الشرق إلى الغرب وبالعكس ومن الشمال إلى الجنوب وبالعكس. ويجب أن ندخل فى عداد الجيوش القبائل البدوية التى اتخذت من العراق موطناً لها. والعراقيون فى كل هذه الأحوال قد يقابلون الفاتح بالاستسلام والخضوع أولاً ثم بالثورة والتمرد بعد أن تستقر الأحوال. ومن الواضح جداً أن العراقيين ينظرون إلى حكامهم الذين يتسلمون الحكم بالقوة نظرهم إلى الغزاة الفاتحين. وهذا قد يفسر لنا ظاهرة تكرر الانقلابات والانتفاضات.

إن التقلبات السياسية القاسية وعدم استقرار الحكم قد أثرا فى العراقيين تأثيرا نفسياً خلقياً عميقاً. ولذلك نجد النفاق والتزلف وانعدام الثقة بين الأفراد والجماعات والانطوائية (أو التقية) التى يمارسها الضعفاء فى العمل السرى والقسوة والوحشية المفرطة التى يمارسها

القوى أحياناً هى من الأمور التى يشكو منها العقلاء المتزنون من العراقيين فى كل حين.

ثم إن عامل الطقس يجب أن يحسب حسابه فى تكوين الطباع. فطقس العراق (باستثناء أقصى الشمال وأقصى الجنوب) هو طقس صحراوى على الأكثر وتغلب عليه الحرارة العالية فى الصيف والبرودة القارسة فى الشتاء مع نشوفة وجفاف وهذا جعل العراقى إما خاملاً وهادئاً جداً أحياناً وإما حاد الطبع سريع التهيج ثائراً فى أحيان أخرى. إن هذه هى طباع البداوة عادة. ولذلك ففى حالة الهيجان تحل لغة الرصاص محل لغة الكلام أحياناً.

ومما يزيد فى حدة هذا الداء عامل انقسام أهل العراق إلى جماعات بعضها داخل بعض متطاحنة ومتضاربة. فمن جماعات قبلية عنصرية إلى جماعات مذهبية ودينية إلى تكتلات إقليمية. كل هذه ولدت فى عصور الانحطاط عصبيات وعنعنات متفاوتة ومتضاربة أحياناً. وصار الصراع والتناحر بين هذه الجماعات هو الشائع أحياناً بدل التآخى والتعاون والامتزاج.

ومما يزيد فى تعدد الأمراض وتعقدها المبادئ الوافدة التى تسربت إلى كل بقاع العالم فى عصرنا هذا. فمن مادية غربية تهمل الحياة الروحية وتحمل معها الشراب والمسكرات وارتياد الملاهى كما تحمل معها متطلبات الحياة العصرية من سيارة وثلاجة ومكيفة هواء وراديو وتليفزيون وكل هذه تتطلب مصاريف ونفقات لا يمكن للعراقى

المتوسط الحال أن يتحملها ناهيك عن طبقة العمال والفلاحين وهم الأكثرية من أبناء البلاد. إن اشباع هذه الاحتياجات المستجدة يتطلب رفع مستوى حياة الفرد وثروته عن طريق العلم والكد والتعب وهذا ما لم يألفه العراقى الذى يريد الوصول إلى أهدافه بالطرق السهلة. ولذلك فقد فشا التذمر المقترن بالحسد والنفاق والكذب والانتهازية لغرض الحصول على المادة. وهنا جاءت الماركسية الملحدة ومشتقاتها العربيات فاستغلت هذا التذمر المقترن بالفراغ العقائدى فى نفوس بعض الشبان والشابات فدعت إلى حرب الطبقات باعتباره الدواء الناجح والعلاج الشافى للنفوس المريضة والأعصاب المتهيجة. ولكن هذه العقائديات المستوردة ليست فى الحقيقة بالأدوية الناجحة ذلك لأنها تشجع الفوضى وتنشر البغضاء والعنف بين الطبقات كما أنها تحطم بعض القيم الإنسانية فيصير الأخ يحارب أخاه والابن يتحدى أباه. وهذا بطبيعته يؤدى إلى المآسى والقلاقل كما أنه يغذى الانقلابات ويشجع سفك دماء الأبرياء.

يرافق هذه الأدواء المار ذكرها والعوامل المؤدية لها داء وعامل كان ينبغى أن يذكر فى المقدمة ولكننا تعمدنا وضعه فى المؤخرة لا لنقلل من خطورته بل لنجعل منه قاعدة العوامل كلها ألا وهو الجهل المتفشى بين الناس وما يرافق هذا الجهل من تعصب وجمود فالجهل مصدر العلل كلها. إننا نجهل أننا مرضى كما نجهل حاجتنا إلى العلاج. فجهلنا مركب يصدق عليه قول الشاعر :

إذا كنت لا تدرى فتلك مصيبة وإن كنت تدرى فالمصيبة أعظم

ولقد حاولنا وما زلنا نحاول محاربة الجهل بالتعليم وبالتربية ولكننا بلينا بنوع من التعليم ناقص وضار أحيانا. إنه ناقص لأنه لا يعنى بالروح وبالخلق عناية كافية وضار لأنه يحول الناشئة عن الأعمال الإنتاجية الحرة إلى حياة استهلاكية اتكالية. الأمر الذى يزيد فى حدة الأمراض التى بلينا بها بدل أن يعالجه ويشفيها.

نعود فنتساءل من المسئول عن عللنا وأمراضنا؟ الجواب هو أن المسئول ليس فرداً أو جماعة معينة وليس المسئول حقبة معينة من التاريخ وليس المسئول عاملاً لوحده من العوامل التى أشرنا إليها. بل الكل مسئول. فالتاريخ العراقى كله مسئول والطقس العراقى مسئول والجهل مسئول والمبادئ الوافدة مسئولة والتربية مسئولة. أقول ذلك لا لأجرد الفرد من مسئوليته الشخصية بل لأؤكد بأن الحمل ثقيل وثقيل جدا والمسئولية جد خطيرة ولا يمكن النهوض بها إلا بعد أن يتحمل المسئولية كل فرد من أبناء الشعب العراقى على اختلاف مهنهم واختصاصاتهم، فالحاكمون ورجال الدين والعلماء والمفكرون والكتاب والأدباء والمثقفون (من مدنيين وعسكريين) والعمال والفلاحون والشبان والكهول والشيوخ والنساء والرجال على اختلاف العناصر والأديان والمذاهب عليهم جميعاً أن يدركوا مسئوليتهم فى انتشال العراق من الهوة التى هو فيها. إنها مسئولية فردية وجماعية فى الوقت نفسه ولا ينقذنا من أمراضنا الروحية والخلقية إلا شعورنا جميعاً

بوجودها وبخطورتها من جهة وعزمنا الأكيد على معالجتها طالبين العون والهداية من الله تعالى.

طريق الشفاء والبناء

إن التفكير فى معالجة العلل التى يشكو منها المجتمع العراقى ووضع القواعد الأساسية للمجتمع السليم السعيد الجديد يجب أن يكون شاملاً موحداً. يجب أن يشعر أبناء الوطن جميعاً بالحاجة إلى الشفاء العاجل ويجب أن يسهموا فى بناء الصرح المتين للمجتمع العراقى وإن يتعرفوا على مواد البناء الصالحة لإنشاء الصرح. وهنا يترتب على المفكرين الأحرار وعلى الأدباء وعلى الأساتذة والمربين واجب تثقيف الشعب تثقيفاً صحيحا وتوعيته توعية عميقة. فيجب أن يقتنع كل مواطن لا سيما من هم فى الحكم اليوم أو الذين لهم ميل واستعداد للمساهمة فى شئون الحكم فى المستقبل بأن هناك بعض الشرائط الأولية الضرورية لكل حكم صالح فى العراق. إن هناك حقائق ومبادئ أساسية لا بد من إدراكها واستيعابها قبل تحمل أية مسئولية. ثم إن أبناء الشعب عموماً ومن ضمنهم إخواننا رجال الجيش يجب أن يستوعبوا هذه المبادئ ويؤمنوا بصحتها وأهميتها الحيوية فيدافعوا عنها بكل حرارة وإيمان فلا يرضى أحد أو يسمح بتجاوزها لأى بشر فرداً أو جماعة وها نحن فيما يلى نبدى رأياً شخصياً فى هذا الصدد:

١. القواعد الإنسانية والإيمان بالله

إن كل بناء لا يقوم على قواعد إنسانية سامية متفق عليها لا يمكن أن يدوم وإن دام إلى حين فلا يضمن السلام والوئام. وأول هذه

القواعد الإنسانية الإيمان بالله تعالى خالق الكون وواهب النعم. فكل نظام أو هيئة أو جماعة تهمل أو تحارب هذا الإيمان إنما تقوض أركان البنيان. ومن الإيمان بالله تنبع الفضائل التى يسعد بها المجتمع كالصدق والنزاهة والتعاون والتآخى بين أبناء الأمة، ثم الإيمان بقيمة الإنسان الفرد وضمان سلامته وكرامته وعرضه وماله الحلال فكل استخفاف بقيمة الإنسان الفرد وكل حكم يسمح أو يتساهل فى سفك الدماء وسلب الأموال وهتك الأعراض إنما يرجع بالعراق إلى عهود الهمجية البربرية لا سمح الله!

ثم الإيمان بحق الإنسان فى أن يتمتع بحرية الرأى وحرية المعتقد وحرية التعبير وحرية الحركة والسفر. إن هذه الحريات تقف عند حق الآخرين بالحرية. فليس الإنسان حراً أن يعتدى على حرية الغير أو أن ينال من حقوق الغير. فلا يسمح لأحد أن يتدخل فى شئون الغير الخاصة به وحده كما أنه لا يسمح لأحد أن يفرض رأيه ومعتقده على الآخرين فرضاً. كما أن المرء لا يكون حراً إذا أراد أن يستخدم حريته للقضاء على الحريات. ولذلك فالقاعدة المشهورة «لا حرية لأعداء الحرية» قاعدة سليمة. هذا وفى سبيل ضمان الحريات تصبح أعمال الرقابة على الصحف والكتب والرسائل كما يصبح التجسس (الا على الأعداء) من الأعمال المنافية لكرامة الإنسان.

إن عناصر الإيمان هذه: الإيمان بالله وبكرامة الإنسان الفرد وبحقى فى الحياة والحرية تشكل فى نظرنا الدعائم الأساسية للحياة

الإنسانية الكريمة وهى «الفباء» المدنية التى سعت من أجل تحقيقها الإنسانية فى الخمسة آلاف سنة الأخيرة من تاريخها.

٢. الولاء الكامل للوحدة العراقية

إن العراق بكامل ترابه يشكل وحدة وطنية جغرافية وتاريخية تتآخى فيه كل العناصر التى اتخذت من العراق موطناً نعمت بمائه وهوائه وخيرات ترابه. فالرابطة الوطنية تؤاخى بين العربى والكردى والتركمانى والفارسى والأشورى والأرمنى وبين المسلم السنى والشيعى والمسيحى واليهودى والصابئى واليزيدى وبين ابن الموصل وابن بغداد وابن كركوك وابن الديوانية وابن كربلاء وابن البصرة... إلخ. وبين البدوى والقروى والمتحضر. وبين المثقف ثقافة غربية أو ثقافة دينية أو ثقافة شعبية. كل العراقيين إخوة، والعراق هو عراق الجميع ويجب أن يسهم الجميع فى جهاز الحكم وأن يكون للجميع صوت مسموع فى سياسة بلدهم مباشرة أو بواسطة ممثليهم المنتخبين بصورة حرة وشرعية. ورأى الأكثرية هو المعمول به على شرط أن لا تسحق الأكثرية حقوق الأقلية وتخمد أصواتها. ويجب القضاء على العصبيات العنصرية والمذهبية والإقليمية كما يجب التخلص من الأنانية التى تدفع إلى الاستيلاء على الحكم بالعنف والقوة وذلك بأن يشارك الجميع فى انتخاب المسئولين وجعل المواطنين يشعرون أن العراق هو عراقهم وأن حكومة العراق هى حكومتهم. وهذا يتطلب العودة إلى التمثيل النيابى الصحيح فى الحكم كما يتطلب توزيع التعليم والثقافة على أبناء البلاد

بالعدالة وفق كثافة السكان لكل منطقة وعلى أساس الكفاءة والتفوق في تلك المنطقة.

هذا ويجب التأكد على أن الوحدة العراقية وانصهار أبناء العراق جميعهم في بوتقة وطنية واحدة هي الأساس الذي تبنى عليه أية رابطة تتعدى حدود العراق كالرابطة القومية أو الدينية أو القارية أو الإنسانية. فلا تقوم الوحدة العربية مثلاً على أساس سليم إذا كان العراق منقسما على نفسه. ولا تقوم الرابطة الإسلامية على أساس قويم إذا كان المسلمون في العراق يهضم بعضهم حق البعض الآخر. إذن فالأساس لأية رابطة أوسع من العراق يكمن في ضمان الوحدة العراقية أولاً. فالوحدة العراقية هي الصخرة التي تقوم عليها الروابط القومية والدينية والإنسانية كلها. والوحدة العراقية هذه لا تقوم ولا تتحقق بدون مشاركة الجميع ومساهمتهم في الحقوق والواجبات وفي السراء والضراء.

إن الوحدة العراقية كانت الهدف الأول الذي وضعه نصب عينيه باني كيان الدولة العراقية جلالة المغفور له الملك فيصل الأول. فقد عمل أول ما عمل وفكر أول ما فكر بتكوين أمة عراقية من مجموعات بشرية متشتتة دينياً ومذهبياً وعنصرياً وثقافياً وحضارياً. ولكن هذه الوحدة العراقية لم تزدهر ولم تنم باستمرار دائم لعوامل شتى منها أن بعض الحكومات العراقية في بعض الأدوار أهملت الوحدة العراقية ووجهت اهتمامها إلى وحدات أشمل وأكبر متناسية أن الولاء للوحدة

العراقية هو الأساس الضرورى لأى بناء إنسانى أوسع. فكما أن الفرد ينشأ على حب بيته وعائلته فيكون ذلك الأساس الذى يقوم عليه حب وطنه فهو كذلك يجب أن يحب عراقه وعائلته العراقية لتكون الأساس فى أية وحدة قومية أو رابطة دينية أو إنسانية أوسع. والتهاون فى سلامة الوحدة العراقية يعتبر تقصيراً فى وضع الأساس المتين لأية رابطة إنسانية أوسع من حدود العراق.

ثم إن بعض الحكومات العراقية تغلبت عليها صفة طائفية أو عنصرية فهى لم تؤمن مشاركة كل العناصر المكونة للشعب العراقى فى الحكم على أساس شامل وعادل. إن حكومات كهذه تضر ولا شك بسلامة الوحدة العراقية ذلك لأنها تجعل الجهات التى لم تشترك فى الحكم ولم يسمع صوتها تتبرم بالأحوال وقد تقوم بالهمس ضد الحاكمين أو الدس عليهم.

إن عدم مشاركة جميع العراقيين فى الحكم له جذور تاريخية ترجع إلى سيطرة الأجنبى على العراق فيما مضى وحرمانه الأكثرية من حق المساهمة فى الحكم وفى إدارة شئون الدولة.

إن الدواء الناجح لتقوية الوحدة العراقية فى رأينا هو فى الأمور الآتية :

أ) غرس روح الوحدة والمحبة والأخوة والاتصال والترابط بين جميع عناصر الشعب العراقى.

ب) نشر التعليم وفتح أبوابه لجميع أبناء الشعب فى كل مناطق

العراق ولأبناء جميع طوائفه وعناصره بنسبة كثافة نفوسهم مع مراعاة خاصة لحقوق الأقليات العنصرية والدينية. واحترام تراث وثقافات جميع العناصر المكونة للشعب العراقى على قدم المساواة.

جـ) جعل الحكم ديمقراطياً دستورياً يمثل كل العناصر والمذاهب والمناطق على قدم المساواة وبنسبة كثافة السكان. وهذا يتطلب وضع حد للانقلابات العسكرية واجتماع كبار رجال الجيش العاملين والمتقاعدين واتخاذهم قراراً اجماعياً بأنهم يقفون جميعاً ضد أية تدخلات عسكرية وضد أية انقلابات فى أنظمة الحكم. اللهم إلا متى دعى الجيش لحفظ الأمن من قبل حكومة دستورية ممثلة للشعب. فالعسكريون الشرفاء يدركون جيداً بأن شرفهم العسكرى يدعوهم لأن يصنعوا وحدة العراق وسلامة الحكم فيه فوق مصالحهم الوقتية.

د) أن تدرك كل العناصر وكل المذاهب وكل الأحزاب وكل الجماعات والأفراد فى العراق بأن ليس لأية واحدة منها حق الإستئثار بالحكم أو التحكم بمصير العراق والتحيز فى الحكم فيه. فالحكم ليس ملكاً لزيد أو عمرو. وليس لأى شخص مهما سمت منزلته ولا لطائفة مهما ازداد نفوذها ولا لعنصر مهما كان غالباً أو مغلوباً فيما مضى أن يملى إرادته على الشعب أو أن يستأثر بالحكم أو أن يقف حجر عثرة فى سبيل تحقيق النظام الديمقراطى وبناء الوحدة العراقية. فالحكم فى العراق يجب أن يكون من الشعب كله وللشعب كله.

هـ) نرجو أن يقف الشعب العراقى صفاً واحداً ضد كل الذين تحدثهم أنفسهم بالانقلابات العسكرية أو بالأعمال السرية الهدامة بعد اليوم. فما نريده وندعو إليه هو عمل سياسى ديمقراطى صريح مكشوف يقوم على أساس تحقيق المساواة وتطبيق مبادئ حقوق الإنسان لأبناء العراق جميعهم.

هل في العراق مشكلة قومية؟

فى العراق قوميات متعددة فى مقدمتها القومية العربية وتليها القومية الكردية وتليها قوميات أخرى تركية وفارسية وأرمنية وأشورية ولكن هذه القوميات كلها تنسجم وتتوافق فيما بينها فى إطار الوحدة العراقية. فالأخوة العراقية تربط بين كل القوميات المتعايشة فى العراق. ومما يجعل عملية التعايش والانسجام هينة ممكنة التحقيق طبيعة القومية العربية وطبيعة الدين الإسلامى. فالقومية العربية بطبيعتها قومية مفتوحة «تأخذ وتعطى» إزاء القوميات الأخرى وهى ليست قومية عنصرية مغلقة. إنها قومية ثقافية مفتوحة أساسها اللغة والروحانيات والعواطف والتاريخ. ثم إن الدين الإسلامى دين تسامح وتعايش إنه يؤاخى بين القوميات المختلفة ويربط فيما بينها. فقد دخل القومية العربية بفضل الإسلام أبناء شعوب مختلفة وفى أقطار عديدة لم تكن فى الأصل عربية أصلاً وعنصراً ولكنها استعربت باعتناق الإسلام واتخاذ العربية أداة للتعبير فى الحياة اليومية وفى الإنتاج الفكرى والأدبى.

ومن الجهة الأخرى فقد استقرت عائلات عربية عديدة فى بلاد غير عربية مثل إيران وتركيا والباكستان وجبال كردستان وغيرها فاندمجت فى قوميات غير عربية ونسيت أنها عربية الأصل. اذن فالعربية كقومية هى قومية مفتوحة وليست مغلقة يدخلها من يريد الانتماء إليها ويندمج فيها ويخرج منها كل من يبتعد عن العروبة كلغة وثقافة.

هذا ومن الطريف أن نبين بأن اللغة العربية قامت بفضل الإسلام بتطعيم لغات الأقوام الذين لم يتخذوا العربية لغة أصلية لهم بكلمات عربية. فاللغات التركية والفارسية والكردية والأوردو والسواحيلى كلها تحوى آلاف الكلمات العربية ولذلك فقد أصبحت العربية قاسماً مشتركاً بين كل هذه اللغات وأصبح تعلمها ضرورة لكل متأدب راق فى هذه اللغات. وفى الحقيقة ليس من السهل فصل التراث القومى العربى فى العراق عن تراث القوميات الأخرى ولا سيما الإسلامية منها. فصلاح الدين الأيوبى الكردى الأصل المولود فى تكريت رفع رأس العروبة والإسلام عالمياً فى التاريخ الإنسانى. ومعروف الرصافى الكردى الأصل يعتبر من كبار شعراء العروبة فى هذا القرن وكذلك الشاعر الفيلسوف جميل صدقى الزهاوى فهو بدوره كردى الأصل ولكن أدبه عربى اللسان. ومن الجهة الأخرى فإن من زعماء كردستان من هم من أصل عربى هاشمى وفى مقدمتهم المغفور له الشيخ محمود الحفيد زعيم كردستان الذائع الصيت فإنه سيد صحيح النسب.

ويصدق القول ذاته على عائلة البرزانى فانهم سادة على ما نعلم إذن فهم من أصل عربى عنصراً.

والحقيقة أن الدين الإسلامى الحنيف قد مزج وربط وآخى بين كل القوميات التى اعتنقت الإسلام. وما يصدق على القومية الكردية يصدق أيضاً على القوميتين التركية والإيرانية فى العراق فكم من عظماء الرجال فى العلم والدين والفلسفة الإسلامية والأدب العربى كتبوا باللغة العربية وهم من أصل فارسى أو تركى. وكم من زعيم عربى أو تاجر أو سائح استوطن إيران وتركيا والهند والباكستان وأندونيسيا وأفغانستان فأصبح ينتمى إلى تلك القوميات. فكل سيد صحيح النسب فى البلاد الإسلامية غير العربية هو عربى الأصل ومن قبيلة قريش.

وفى الحقيقة فإن القوميات مهما تعددت يجب أن تتآخى والثقافات مهما تنوعت يجب أن تنمى وتتفاعل وأن يغذى بعضها البعض. والإسلام من جهة والوحدة العراقية من الجهة الأخرى هى الإطارات التى فى ضمنها تتآخى القوميات فى العراق. ومن الغباء والسخف أن نتعصب للقوميات عصباً أعمى فنوصد أبوابها ونجعل منها عامل عزلة وتفرقة. هذا وإن الشوفنيين المتعصبين من العرب أو الأكراد أو الأتراك أو الفرس لا يستطيعون أن يطمسوا حقائق التاريخ ولا أن يزيلوا الآثار المادية من الوجود. فطاق كسرى فى العراق دليل على علاقة إيران التاريخية بالعراق وقبر الخليفة هارون الرشيد إلى جانب قبر الإمام الرضا

عليه السلام فى خراسان دليل على علاقة العروبة تاريخياً بإيران. فنحن متشاركون ومتشابكون فى تاريخنا وفى حضارتنا ولا تستطيع الشوفينية الضيقة ولا المصالح الآنية العابرة أن تقضى على وحدتنا وعلى أخوّتنا.

هذا وإن المشكلة الكردية لم تكن لتوجد لو ساد العراق حكم ديموقراطى عادل يحترم حقوق الأفراد والقوميات جميعها فى المساهمة فى الحكم على قدم المساواة وبدون تفريق بين القوميات.

هذا ولا بد من التأكيد على ضرورة العناية بالثقافات القومية لكل القوميات التى يتكون منها الشعب العراقى والعمل على تنمية تلك الثقافات وإحيائها ورفعها إلى المستوى الذى تستطيع أن ترتفع إليه وأن تتقدم إلى المجموعة البشرية بما عندنا فى هذه الثقافات من تراث وعبقرية. ذلك إلى جانب تعلم جميع أبناء العراق اللغة العربية وتاريخ الحضارة العربية والإسلامية.

٣- فى الحقل الإقتصادى

نعتقد بأن الواجب الأول الذى يترتب على أية حكومة عراقية هو ضمان تنمية موارد العراق الطبعية واستثمار خيراته إلى أبعد الحدود وتوزيعها توزيعاً عادلاً على أبناء الشعب. فالأنهار والأراضى من سهول وجبال والمعادن من نفط وكبريت وغيرها كلها مصدر خير وبركة على الشعب لو استثمرت الاستثمار الصحيح على أسس علمية ووزعت التوزيع العادل لما بقى فى العراق فقير أو جائع. إن العراق يكاد

يكون البلد الوحيد فى الشرق الأوسط إن لم نقل فى العالم كله الذى يتمتع بكل هذه الخيرات الطبيعية التى يمكن أن تؤمن له اكتفاء ذاتياً واستقلالاً اقتصادياً متكاملاً.

وعليه بالتخطيط الإقتصادى لإعمار البلاد والسير قدما فى مضاعفة ثروتها هو ما يجب أن تنصرف إليه الحكومات المستقرة البناءة. لذلك فلا يجوز أن يبقى فى العراق فقير أو عاطل. ويجب أن يرتفع مستوى المعيشة لأبناء البلاد جميعهم. والتخطيط الاقتصادى هذا يجب أن يرتبط بالتعليم ارتباطاً مباشرا. فيجب أن نعد الجيل الجديد ليحيا حياة اقتصادية حرة منتجة فى الزراعة والصناعة والتجارة وفى المشاريع الصحية والاجتماعية والفنية. ثم إن التخطيط الاقتصادى يجب أن يكون تخطيطاً حراً يسهم الاقتصاديون المجربون فى إقراره وليس تخطيطاً ديكتاتورياً يضعه من تعلم بعض النظريات التى قد لا تلائم العراق مستورداً إياها من الخارج أو مقلداً هذا البلد الثورى أو ذاك تقليداً أعمى فيأتى بتشريعات اقتصادية فجة تطعن الاقتصاد العراقى فى الصميم الأمر الذى أفقر البلاد وأسخط العباد.

هذا ونرجو أن يدرك المسئولون فى العراق أن الاتكال على واردات النفط كمصدر رئيسى للميزانية العراقية لا يخلو من الخطر على مستقبل البلاد الاقتصادى. فالنفط لا يدوم إلى الأبد وإن أهميته قد تتضاءل بعد انتشار استخدام الطاقة الذرية للأغراض السلمية. ولذلك فلا بد من التفكير الجدى فى إيجاد مصادر جديدة للثروة فى العراق

إلى جانب تنمية المصادر القديمة وتجديد أساليبها. ولا بد من تربية أبناء الشعب تربية إنتاجية بحيث لا يتكلون على ثروة النفط وحدها فى المستقبل.

إن العراق يحتاج إلى الأدمغة الاقتصادية المجربة كما يحتاج إلى تشجيع المبادأة الفردية فى الاقتصاد الحر. فالقطاع الخاص يجب أن يشجع إلى أقصى الحدود ولا سيما فى نطاق التعاونيات والشركات الأهلية والقطاع العام وهو المكمل الطبيعى للاقتصاد الوطنى يبدأ حيث يقف أو يعجز القطاع الخاص.

إن توزيع الأراضى الزراعية على الفلاحين يجب أن يقترن بدراسة اقتصادية وافية وبإنشاء تعاونيات زراعية يرافقها نظام رى صحيح وتهيئة رأس مال وبذور محسنة وتثقيف زراعى عملى للفلاحين بحيث يصبحون يحسنون تنويع الحاصلات الزراعية وتكثير الفواكه والإكثار من زرع الخضراوات والعناية بالمراعى وصناعة الألبان وتربية الدواجن كل هذا إلى جانب تنمية الصناعات الريفية.

إن واجب الدولة الأساسى فى الحقل الاقتصادى هو القيام بدور المنظم للاقتصاد الوطنى كما هو الحال فى كل مجتمع حديث. فالدولة تتولى مراقبة السوق التجارى فتحميه من المضاربات الداخلية والخارجية. كما أن عليها أن تسلك سياسة خارجية تفتح بموجبها أسواقا جديدة وموسعة للإنتاج العراقى. وعليها أن تمنع الاحتكار

والجشع بسن قوانين عادلة تحمى المواطن. وتقوم بسن ضرائب متصاعدة وتضمن الحد الأدنى اللائق لأجور العمال الفلاحين. المهم هو أن يدرك أبناء الشعب عموما أن العمل الاقتصادى هو خدمة اجتماعية تستهدف توفير العيش الكريم للمواطنين جميعا وأنها ليست ولا يجوز أن تكون أداة استغلال واحتكار وجشع.

هذه النظرة إلى الاقتصاد هى نظرة إسلامية معتدلة تقف وسطا بين الرأسمالية المتطرفة وبين الشيوعية الهدامة. ومن المؤسف حقا أن يصبح العراق البلد الغنى مترجرجا فى سياسته الاقتصادية فيرجع القهقرى فى الاقتصاد فى السنوات العشر الأخيرة. فالمبدأ الذى يجب الاتفاق عليه هو أن خيرات العراق يجب أن تنمى إلى أقصى الحدود وأن تستثمر لمصلحة أبنائه جميعا وأن يكون توزيعها عادلا على الأفراد والجماعات فلا استئثار ولا استغلال من جهة ولا حرمان ولا فقر من الجهة الأخرى. شعارنا الاقتصادى يجب أن يكون إثراء الفقير وليس تفقير الغنى.

٤ ـ فى حقل التربية والتعليم

نحن نعتقد أن سياسة التعليم فى العراق (أو انعدام سياسة تعليمية صحيحة) هى بيت الداء وعليها يتوقف الدواء. إن التربية العراقية إذا شئنا لأمتنا العزة والكرامة والبقاء يجب أن تؤسس على أسس أربعة لا يجوز إهمال أى واحد منها وإلا فالبناء ينهار.

الأساس الأول هو الإيمان بالله تعالى خالق الكون وواهب النعم فكل تعليم علمانى أو إلحادى يقودنا إلى الهاوية. إن ضعف الإيمان بالله وإهمال تقوى الله والخوف من عقابه هو من أهم عوامل النكبات التى منيت بها أمتنا العربية خاصة والمسلمون عامة. إذن فتربيتنا فى كل مستوياتها وفى كل أنواعها يجب أن تعنى بغرس تقوى الله فى نفوس الناشئة وفى نفوس أبناء الشعب عموما. ويجب أن ينشأ أبناء العراق على عبادة الله تعالى فيتوجهون بقلوبهم إليه عز وجل طالبين منه العون والرحمة والغفران.

والأساس الثانى لتربيتنا يجب أن يكون العمل الصالح. نحن نربى أبناءنا على التهرب من الأعمال اليدوية المنتجة ومن مزاولة الحياة الحرة الكريمة. أبناؤنا ينشأون على الرخاوة والترهل بدل الكد والتعب والتلذذ فى العمل المنتظم البناء. شبابنا وشاباتنا أكثرهم يسعون وراء الوظيفة الحكومية وقلما يغامرون فى الدخول فى معترك الحياة الحرة الكريمة. لذلك فنحن نرى أن يقوم طلاب المدارس والثانوية والعالية بالمساهمة فى العمل فى الحقول وفى المصانع وفى أعمال البناء والحرف خلال مدد معينة من سنين دراستهم أو بعد التخرج مباشرة. فخدمة العمل يجب أن تكون فرضا على كل عراقى كخدمة العلم. فخدمة العمل لا تقل أهمية حيوية للأمة فى أيام السلم عن أهمية وحيوية خدمة العلم للأمة فى أيام الحرب.

الأساس الثالث الذى نريده لتربيتنا هو غرس حب العلم وممارسة البحث عن الحقيقة فى نفوس أبنائنا. فلا يجوز أن يقع أبناؤنا ضحايا للدعايات المضللة وللمبالغات الكاذبة فيصدقونها بدون فحص أو تمييز. إن العلم والأسلوب العلمى يوسع الأفق الإنسانى والمدنية الحديثة قامت على العلم وما أنتجه العلم من مكتشفات واختراعات طورت حياة الإنسان وأكسبته القوة الهائلة فى الحروب وفى المواصلات وفى الصناعة وفى الزراعة وفى الطب وفى الفلك وفى طبقات الأرض إلى غير ذلك. وطلب العلم يتطلب التفرغ الكلى والانصراف إلى المشاهدة والتجارب وفى الحقول وفى المختبرات وإلى البحث والتنقيب فى الطبيعة وفى المكتبات. المهم هو أن تنمى مدارسنا حب العلم وحب الانصراف الى فرع من فروعه فى نفوس ناشئتنا وذلك بجدية وتعمق. أما جعل الامتحانات والحصول على الشهادات هى الغاية من الدراسة ومتى حصل الطالب على الشهادة فإنه يكون قد أنهى دراسته فهو ضرب من ضروب الجهالة. فالطالب يجب أن يعلم بأن اجتياز الامتحانات والحصول على الشهادة هو نقطة البداية فى السير فى الطريق العلمى الذى يجب أن يسلكه الطالب طوال حياته.

والأساس الرابع لتربيتنا هو الأخلاق المؤسسة على ضبط النفس والسيطرة على الشهوات والعواطف الهائجة والخضوع الى مبادئ النزاهة والغيرية والعفة والإخاء فى كل تصرفاتنا. ثم الاعتدال فى مجرى الحياة فلا إفراط ولا تفريط.

الإيمان الصادق والعمل الصالح والعلم المحقق والأخلاق الفاضلة هى ما يحتاج إليها المجتمع العراقى اليوم وهى الأسس التى يجب أن نقوم عليها تربيتنا. إما الإلحاد أو العلمانية وإما السعى وراء الوظيفة والكرسى بمجرد حفظ بعض النظريات وترديد بعض الشعارات وإما السطحية والضحالة فى طلب العلم وعدم التعمق فى البحث عن الحقيقة وإما الأنانية والطمع والفساد فكلها تنسف كياننا القومى وهى من أسباب مصائبنا قديما حديثا. وهذا ما يجب أن تعالجه التربية العراقية بصورة ناجعة وجذرية.

ولكن التربية من حيث هى عملية نشوء إنسانى تعاونى لا تزدهر إلا فى جو ديمقراطى حر، جو يسوده النظام الحر المقترن بالشعور بالمسئولية الاجتماعية. أما الجو الديكتاتورى فى المدرسة، الجو المملوء بالخوف من المعلم أو المدير أو الخوف من الرسوب فى الامتحان والسعى وراء الشهادة بدون تعب ولا مؤهلات فإنه لا يضمن بناء الأخلاق الكريمة ولا الإيمان المؤسس على قناعة وجدانية ولا السير بحماس فى طريق البحث العلمى والسعى وراء الحقيقة. إذن فالمبدأ الديمقراطى الحر المقترن بالنظام المسئول هو ضرورة لأجل تحقيق التربية الصالحة التى نريدها. ولما كانت التربية عملية استمرارية دقيقة فى بناء الإنسان فهى تتطلب الإستقرار وضبط الأهداف أما متى تكررت وتعددت الانقلابات السياسية وسادت المجتمع فوضى عقائدية فإن مستقبل ناشئتنا ومصير أمتنا معرضان إلى الخطر المحتم والعياذ بالله.

٥ ـ أساس الحكم الصالح

غرس حب النظام واحترام القانون فى نفوس أبناء الشعب عموما. وهذا يتطلب أن تكون هذه القوانين قد شرعت من قبل هيئات شعبية شرعية معترف بها كما يتطلب أن تكون القوانين عادلة وموافقة لحاجات الشعب ومرحلة نموه وتطورها الحضارى كما يتطلب أن تتولى تنفيذ القوانين هيئات إدارية كفؤة ونزيهة وتراقب تنفيذها محاكم نزيهة ومستقلة. أما إذا ترك أمر حفظ النظام إلى الشرطة السرية وإلى التخويف والترويع. أو إذا وضع القوانين أفراد لا يمثلون الشعب تمثيلا شرعيا وقد لا يعرفون حاجاته الحقيقية وعواطفه الأصيلة. وأما أن تصبح المحاكم عرضة للتقلبات والتأثيرات السياسية بحيث إن المحاكم العسكرية كمحكمة «الشعب المهداوية» أصبحت مسرحا تمثيليا كوميدياً تراجيديا فإن ذلك كله لا يغرس فى نفس المواطن حب النظام واحترام القانون بل على العكس فإنه يشجع التمرد والفوضى والسخط الصامت.

الأساس فى كل حكم صالح هو أن يرعى الأمن وأن يضمن سلامة الناس واطمئنانهم على أرواحهم وأعراضهم وممتلكاتهم وحرياتهم. فكل حكم يقصر فى هذه الأمور يعتبر حكما فاشلاً وضارا. فحياة المواطنين لا يجوز أن تذهب سدى على أيدى بعض المجرمين الفوضويين أو المجانين. ولا يجوز إلقاء القبض على الناس وزجهم فى السجون والمواقف أو حجز حرياتهم جزافا لمجرد كونهم يعارضون الحكم

القائم. فأول واجب يترتب على أية حكومة صالحة هى أن تضرب بيد من حديد على كل من يخل بالأمن العام ويعتدى على أرواح الناس ثم أن تقوم بالتشريعات الضرورية التى تؤمن مصالح الناس وسيرهم متعاونين فى سبيل تحقيق السعادة والازدهار فى جو أخوى حر وبذلك تصان هيبة الحكم وتضمن القواعد لاحترام القانون.

على أن صيانة الأمن واحترام القانون ليستا مسألتين حكوميتين فحسب فإن كلا من البيت والمدرسة والبيئة الاجتماعية يجب أن تربى الناشئة على حب النظام واحترام القانون فلا تسمح بالفوضى ولا تدفع إلى التمرد والعصيان. فكل تربية تقصر فى تنشئة الجيل الصاعد على النظام المقترن باللطف بدل الفوضى والعنف هى تربية فاشلة وضارة. كما أن من واجب رجال الدين إرشاد الناس إلى حب الخير والنظام والنظافة البدنية والوجدانية ومراعاة حقوق الآخرين والتمسك بالفضائل الدينية. فالمتدين الصادق لا يحتاج إلى الشرطى ليؤدى واجباته الدينية والإنسانية بروح أخلاقية عالية ذلك لأنه يتحلى بالتقوى ويخشى الله ولا يشهد شهادة زور أو يعتدى على حقوق الآخرين. كما أن على المسئولين أن يكونوا قدوة صالحة للشعب فى احترام النظام والقانون ومكافحة الرشوة والمحسوبية والمنسوبية والفساد بكل أنواعه. فعليهم أن يطبقوا قوانين الدولة على الجميع وبلا استثناء بروح إنسانية عادلة وسامية.

٦ - اللامركزية والعدالة

اللا مركزية فى الإدارة والعدالة فى معاملة مناطق العراق كلها بدون إهمال أو تفريق. من علل الحكم العراقى المزمنة المركزية المفرطة فى الإدارة وإهمال المناطق النائية عن بغداد تقريبا. أذكر أنى كنت فى رحلة جبلية فى شمال العراق برفقة جلالة المغفور له الملك فيصل الثانى وكنا متجهين إلى بحيرة «كله شين» فكانت مظاهرات الشعب الكردى تحمل عواطف جياشة صادقة نحو مليكها الشاب وكان ذلك فى السنة الأولى من استلامه الحكم وكنت يومئذ رئيسا لمجلس النواب العراقى. فتأثرت عميق التأثر بما شاهدته من حب وإخلاص الشعب للملك. فوجهت لجلالته سؤالا: «سيدى هل ترون درجة محبة هذا الشعب لكم؟» أجاب جلالته: «نعم» فسألت جلالته: ولكن ماذا عملت حكومتكم فى بغداد لهذه المناطق الجميلة. فلا طرق ولا مدارس ولا تشكيلات صحية وزراعية لسكان هذه الجبال الجميلة الشاهقة. أجاب جلالته: «هذا ما يجب الاهتمام به بعد اليوم» ولكن هذا الحرمان فى الشمال يقابله حرمان فى الجنوب فمن يطلع على أحوال عشائر الفرات وسكان الأهوار فى الوية الديوانية والناصرية والعمارة قد يجد تخلفا وتقصيراً لا يقل عما يشاهده فى جبال كردستان. إذن فالحكم الصالح فى العراق يجب أن يعنى بسكان العراق جميعهم على اختلاف مناطقهم وعناصرهم وطوائفهم، ولذلك نقترح ما يلى:

أ) تقسيم العراق إلى مناطق جغرافية متكاملة من حيث طبيعة الأرض وثقافات السكان ونقترح أن تدعى هذه بالولايات.

ب) أن توجد فى كل ولاية تشكيلات إدارية على أسس ديمقراطية ينتخب الشعب فيها مجالس إدارية ومجالس بلدية انتخابا حرا وترعى هذه المجالس الشئون الثقافية والصحية والعمرانية فى تلك الألوية.

جـ) توزع الميزانية العمومية للتربية والتعليم والصحة والإعمار على هذه الولايات بنسبة عدد السكان فيها.

د) أن تكون الهيئة التشريعية فى بغداد ممثلة لكل هذه الولايات فى مجلس أعيان (شيوخ) يحوى عددا متساويا من كل ولاية ومجلس نواب ينتخب أعضاؤه بنسبة سكان كل ولاية.

هـ) تؤسس جامعة فى كل ولاية من هذه الولايات ويرسل أبناؤها النابغون فى البعثات العلمية للتخصص فى العلوم الطبعية والرياضية والطب والزراعة والاقتصاد والصناعة إلى غير ذلك. كما تشجع الصناعات وإنشاء المعامل ويعنى بالزراعة والحقول النموذجية إلى غير ذلك من وسائل رفع مستوى الحياة ماديا ومعنويا.

و) نقترح أن يقسم العراق إلى سبع ولايات على الوجه التالى:

(١) ولاية الجنوب: وتشمل لواءى البصرة والعمارة (٢) ولاية واسط: وتشمل لواءى الناصرية والكوت (٣) ولاية الكوفة: وتشمل ألوية كربلاء والحلة والديوانية (٤) ولاية بغداد: وتشمل بغداد والرمادى (٥) الولاية الشرقية: وتشمل لواءى كركوك وديالى (٦)

ولاية كردستان: وتشمل السليمانية وأربيل والأقضية الكردية من لواء الموصل (٧) ولاية الشمال: وتشمل القسم العربى من لواء الموصل والقسم الشمالى من لواء الدليم حتى الحدود السورية.

هذه آراء شخصية بحتة هى عرضة للمناقشة والتعديل أو التبديل والمهم فى نظرنا هو أن يشعر أبناء العراق جميعا بأنهم مسهمون فى حكم أنفسهم بأنفسهم على أسس ديمقراطية لا مركزية وأن هذه الدولة العراقية هى دولتهم وأن العراق هو وطن الجميع فما عليهم إلا أن يتولوا بناءه وإعماره وازدهاره.

٧ـ حرية التعبير والتنظيم

يجب أن ينشأ أبناء العراق الحديث على التآخى والتعاون ويجب أن يتمتعوا جميعا بنعمة الحرية والكرامة. كل ذلك ضمن إطارات أساسية من الضوابط المعنوية لا يجوز تجاوزها وأهم هذه الضوابط فى نظرنا هى الإيمان بالله والتحلى بالأخلاق الفاضلة والإخلاص للوحدة الوطنية ومراعاة حقوق الناس كافة فى الحياة والحرية والكرامة.

هذه فى نظرنا ضوابط أساسية لا يجوز للمواطن الشريف أن يتجاوزها. فليس من الحرية فى شىء أن ينشر المرء الإلحاد والفساد أو التفرقة بين أبناء البلاد. وليس من الحرية فى شىء أن يسمح بسفك الدماء وسلب الأموال ونهش الكرامات. هذه حدود تقف عندها كل حرية وكل تنظيم يستهدف خير الإنسان. وفى خارج هذه الحدود للمرء أن يتمتع بأوسع معانى الحرية التى تعبر عن مواهب الفرد

الفكرية والفنية ونزعته الى خدمة الإنسانية. فحرية الفكر وحرية العبادة وحرية الإبداع الفنى والصناعى وحرية البناء وحرية الكسب الحلال وحرية التنقل إلى غير ذلك من الحريات المنصوص عليها فى لائحة إعلان حقوق الإنسان تعتبر «الفباء» المدنية الحديثة. فبازدهار هذه الحريات تعتبر الأمم متمدنة وبخنقها تعتبر الأمم مستعبدة ذليلة أو متخلفة.

إن مراقبة الصحف وكم الأفواه وقيام الشرطة السرية بالتدخل فى شئون الناس الخاصة ومراقبة البريد وحجر الكتب كل هذه من دلائل التخلف والرجعية فى الحكم. فالأصل أن يعتبر المواطن حسن النية وأن يسمح له بأن يمارس حرياته كاملة فإن أخل بها فهناك قوانين عادلة ومحاكم نزيهة يركن إلى وجدانها تحاسب ذلك الإنسان على تقصيره وترجعه إلى جادة الصواب.

إن الحكومات الحرة المستقرة تشجع أبناء الشعب على القيام بتأسيس منظمات حرة على اختلاف أنواعها: فمن منظمات فكرية وثقافية تتخذ شكل نواد أو جميعات إلى منظمات فى الخدمة الاجتماعية إلى منظمات دينية تعمل على تقوية الإيمان فى النفوس وبث روح الأخوة والرحمة والتعاون بين الناس إلى منظمات فنية تشجع الفنون الجميلة على اختلاف أنواعها إلى منظمات رياضية إلى منظمات اقتصادية وسياسية.

ثم إن المنظمات قد تكون ملائمة لمراحل نمو النشء. فتنظيمات الأحداث ولا سيما الكشافة لها كيانها الخاص بها. وتنظيمات الشباب ولا سيما الفتوة منها يجب أن تلقى عناية خاصة ذلك لأن الفتوة كما ورثناها من تاريخنا المجيد هى مدرسة فى المروءة والشهامة والشرف إلى جانب الشجاعة والتضحية وهى المزايا التى استطاع بفضلها أسلافنا العظام أن يستولوا على قلوب البشرية وعقولها. فالإمام على كرم الله وجهه كان مثالا حيا للفتوة وقد اشتهر القول «لا فتى إلا على ولا سيف إلا ذو الفقار» وكذلك البطل صلاح الدين الأيوبى فإنه قد سحر بشهامته وببطولته الأعداء فضلا عن الأصدقاء.

ثم إن المنظمات قد تكون خاصة بالنساء تعمل على رفع مستوى المرأة ثقافيا واجتماعيا كما تساعد على بناء العائلة السعيدة والأمومة النيرة والاقتصاد البيتى الصحيح لكل بيوت الشعب. كما أنها أى المنظمات قد تكون خاصة بالعمال والفلاحين ترعى شئونهم الاقتصادية والمعاشية وتعمل على رفع مستواهم الثقافى عن طريق مدارس وصفوف مسائية أو دورات دراسية موسمية ذلك فضلا عن استخدام وسائل التربية الحديثة عن طريق التلفزة والسينما وعن طريق الأسفار وتنظيم المحاضرات والرحلات والمباريات الرياضية.

إن هذه المنظمات توجه نشاط الأفراد نحو الخير العام بدل أن يضيع ذلك النشاط فى المقاهى وفى الحانات وبدل أن يتلهى أبناء الشعب بالثرثرة والشغب والتشاؤم وحتى بالهدم.

كل هذه المنظمات يجب أن يتعهدها إناس ذوو أخلاق مستقيمة وروح وطنية عالية وثقافة ممتازة بحيث تقوم بتنوير الناس وتثقيفهم وتوجيههم نحو الخير العام. وهؤلاء يجب أن ينتخبوا بالطرق الديمقراطية لا أن يفرضوا فرضا من قبل السلطات الحاكمة.

إن تجربة فرض حزب مستورد من خارج العراق على العراقيين قد ثبت فشلها. وإن الطريقة الصاعدة فى التنظيم السياسى والاجتماعى وهى التى تشجع نشوء المنظمات من قبل الشعب هى أفضل من الطريقة النازلة التى بموجبها تفرض المنظمات على الشعب من قبل السلطة الحكومية فرضا. إن الأحزاب التى حررت البلاد العربية وقامت بدورها الفعال فى تاريخ الكفاح الوطنى لم تكن أحزابا حكومية بل هى أحزاب قام بتأسيسها قادة شعبيون. إذن فعلى من يريد الزعامة الشعبية أن يتخلى عن كرسى الحكم أولا وأن تتوفر لديه الحرية الكافية ليمارس العمل الشعبى ثم يأتى إلى الحكم متى نال ثقة أكثرية الشعب. هذه هى سنة العمل السياسى الحر. وليس تقليد بعض البلاد الشقيقة التى لم تنجح تجاربها ولم تصدق شعاراتها هو ما نريده لعراقنا العزيز.

ثامنا: اتباع سياسة خارجية مستقلة تصون شخصية العراق وتحمى مصالحه الحيوية. فالهدف الأول للسياسة الخارجية العراقية هى أن يضمن العراق وحدته وسلامته قبل كل شىء. فكل سياسة تفرق بين أبناء البلاد أو تهمل العراق ومصالحه الحيوية هى سياسة خاطئة وخطرة.

وبعد ضمان مصالح العراق الحيوية وسلامته يجب أن تتجه سياسة العراق بالطبع إلى الاتحاد مع البلاد العربية وتوحيد الجهود معها. على أن يكون هذا الاتحاد وهذا التعاون على أساس الأخوة والمساواة اتحاد الند مع الند وليس اتحاد بين تابع ومتبوع. نحن كنا وما زلنا ممن يدعون الى الاتحاد والتآخي بين البلاد العربية إلى أقصى حدود الإمكان ولكنا نأبى التبعية بكل عزة وإباء ونرفضها بكل قوانا. إن سياسة العراق كانت ولا تزال دائما: العراق فى خدمة الأمة العربية. وما قدمه العراق لمصر الشقيقة فى جهادها لإجلاء الإنكليز عن ترابها من خدمات وما قام به من جهود لنيل كل من سوريا ولبنان استقلالهما وما أداه من مساعدات وما قام به من دفاع فى سبيل تحرير أقطار المغرب العربى الكبير «شمال إفريقيا» ما هو إلا أداء لبعض واجبه القومى. فالعراقى له شخصيته الخصبة فى كل أدوار الكفاح القومى وكل مراحله. ولذلك فمن الحيف أن تضمر شخصية العراق الدولية فيصبح العراق دولة تابعة بل عالة على قطر عربى شقيق فى سياسته الخارجية كما حصل فى بعض العهود فى السنوات العشر الماضية.

٨ ـ العراق في خدمة العروبة والإسلام

بعد تأكيد الرابطة العربية للعراق واعتبارها العامل الأول فى سياسته الخارجية تأتى الرابطة الإسلامية.

فالعراق هو المركز الجغرافى الوسط للعالم الإسلامى الممتد من الشرق الأقصى إلى المغرب الأقصى. وللعراق دور مهم فى تاريخ

الإسلام، ولذلك فمن طبيعة جغرافيته وتاريخه يجب أن يقوم بدور فعال فى تقوية الروابط مع العالم الإسلامى على اختلاف أنواعها ولا سيما الثقافية والاقتصادية والسياسية منها. إن تعاون العراق مع البلاد الإسلامية ولا سيما المجاورة له منها مثل تركيا وإيران وأفغانستان وباكستان ثم البلاد الآسيوية البعيدة مثل الهند وأندونيسيا وماليزيا ثم البلاد الإفريقية يشكل جزءا هاما فى رسالة العراق الإنسانية.

وبعد الرابطة الإسلامية فنحن أعضاء فى المجموعة الآسيوية الإفريقية التى بذرت بذرتها الأولى فى «فلشنغ ميدوز» خارج مدينة نيويورك حيث عقدت الجمعية العمومية للأمم المتحدة اجتماعا خاصا فى ربيع ١٩٤٧ من أجل قضية فلسطين. وكان اجتماع وفود الدول العربية مع وفود الدول الآسيوية الإفريقية لأول مرة، على غداء ثمرة مبادرة عراقية. ومن ذلك التاريخ أخذت هذه الرابطة تنمو حتى أصبحت قوة يحسب لها حساب فى المجتمعات الدولية. إن العراق كان له الدور الفعال فى مساندة العديد من دول آسيا وإفريقيا فى هيئة الأمم المتحدة فى المطالبة بحق هذه الدول بالاستقلال ولذلك فمن الطبعى أن ينمى العراق علاقاته الطيبة مع معظم هذه الدول إن لم نقل كلها.

ثم إننا يجب أن نصادق شعوب الأرض كلها ونتعاون معها على كل ما هو حق وكل ما هو خير. فالسياسة الصحيحة هى سياسة التمسك بالمبادئ التى تضمنها ميثاق الأمم المتحدة ولائحة إعلان

حقوق الإنسان ومعاملة الشعوب كافة على ضوئها وبالحسنى مع تقدير ظروف كل شعب من الشعوب على قدر الإمكان. الأصل فى السياسة الخارجية هو الجذب والكسب وليس المصارعة والتنفير. فالسياسة الخارجية تتطلب الحكمة والمعرفة واللطف واللين. أما ما قام به العراق ماشيا وراء سياسة غير عراقية من قطع علاقات وإظهار عضلات مع هذه الدولة أو تلك فإنه لم يخدم العراق ولا القضية الفلسطينية فى شىء. إننا لا نستطيع كسب دول العالم ولا سيما الدول الغربية بأسلوب العنف والهياج أو بأسلوب الكذب والمبالغة فى الأحكام والأرقام. هذه أمور تظهرنا بمظهر الصبى الذى لم ينضج بعد. والعلاقات الدولية تتطلب سياسة رزينة تعتمد على الهدوء وضبط الأعصاب. العالم يعرف كل شىء عنا فليست أحوالنا وأمورنا بخافية على أحد إذن فلنسلك سلوكا محترما جذابا فى السياسة الخارجية. ولنؤسس دعايتنا (من صحافة وإذاعة وتلفزة وتصريحات رسمية) على الحقيقة وعلى التواضع أمام الحقيقة وعلى تفهم وجهة النظر المقابلة على قدر الإمكان.

إن من أهم العوامل فى فشل العرب فى ٥ حزيران سنة ١٩٦٧ فى مجابهة العدوان الإسرائيلى هو الأسلوب الديماغوجى المتبع فى الدعاية فى داخل البلاد العربية بحيث ضللنا الشعوب العربية بالمبالغات والادعاءات العنترية من جهة ومن الجهة الأخرى فقدان الدعاية الحكيمة بل وانتشار الدعاية الضارة فى الأوساط العالمية المؤثرة. ولذلك

فقد استطاع العدو أن يستغل هذه الأحوال الداخلية والخارجية للدعاية العربية أبشع استغلال.

٩ ـ إحلال التآخي محل التجافي، والبناء محل الهدم، والإيجابية محل السلبية

إذا شئنا أن نعيش فى وطننا أعزاء وكرماء فى أمن وسلام فلا بد من السيطرة على النفس والقيام بثورة أخلاقية فى داخل كل منا. ولا بد من أن يسود بيننا التآخى بدل التجافى والتعاون بدل الحسد والتناحر والثقة بدل الشك والريبة والبناء بدل الهدم فى كل أعمالنا الخاصة والعامة ولا سيما فى العمل السياسى. إن اختلاف الرأى لا يجوز أن يؤدى إلى الاصطدام بين الإخوان. فالحقيقة تنجلى بالحوار وباللجوء الى الاختبار والتجربة والزمان كفيل بإظهار الحقيقة ولو بعد حين.

أجل لا بد من الإقلاع عن أساليب الهدم والحسد ورؤية كل شيء بمنظار أسود. لقد جعلت منا الظروف عناصر متخاصمة ومتحاسدة وأصبحنا هدامين متشائمين إلا من عصم الله. يجب الإقلاع نهائيا عن أساليب العمل السرى والتآمر وترك الانقلابات العسكرية نهائيا فالحكام زائلون مهما كانت صفتهم والشعب هو الباقى ما دام يخشى الله ويتبع أوامره ونواهيه. يجب تشجيع العمل الحر المكشوف للجميع ولنعرف ماذا يريد الناس وبماذا يفكرون. ونرجو أن يقتنع الحاكمون بأن الحكم لا يدوم لأحد وأنه ليس لفرد أو جماعة أو حزب أن يحتكر الحكم ويستبد فيه وليس لأحد أن يتكبر أو يتجبر.

فالأفضل إذن المشاركة فى الحكم والتداول فيه على أساس الرجوع الى الشعب فى جو حر وديمقراطى مفتوح. ولتحقيق ذلك ليبدأ كل فرد منا بنفسه ويحقق ثورة نفسية تجعلنا نرى الحق ونرى الخير ونرى النور ونعمل على إشاعة ذلك بين الناس ولننشر الأمن والطمأنينة والسرور فى نفوس أبناء الشعب ولنعمل أعمالا بناءة مثمرة تنعش النفوس وليشجع بعضنا بعضا وليدفع بعضنا بعضا إلى الأمام ونحو الخير بدل أن يحطم أحدنا الآخر ولنتجرد من الحسد ومن الضغائن ومن الأنانية العائلية أو القبلية أو العنصرية أو المذهبية أو الإقليمية. فلنجمع الشمل ونوحد الصفوف ولننقذ العراق وشعبه من شر الانشطارات والانقسامات إلى: هذا ثورى وهذا رجعى وهذا بعثى وهذا ناصرى وهذا سنى وهذا شيعى وهذا كردى وهذا عربى وهذا عانى وهذا تكريتى. يجب أن نشعر أولا وقبل كل شيئ أننا أخوة وأبناء وطن واحد ويجب أن نعمل يدا واحدة كل حسب قابليته ومواهبه لخير الأمة والوطن. ولنجعل من العراق جنة عدن جديدة ينعم فيها كل أبناء العراق بلا تفريق وبدون أن يغمط حق أحد.

١٠- الرجوع إلى تراثنا ومقدساتنا

لنرجع إلى القرآن الكريم وإلى سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام وسير الصحابة العظام رضوان الله عليهم فنقتبس منها أهدافنا الإنسانية ونغذى نفوسنا بحب الخير والعدل والإحسان والإخاء والاتحاد وجمع الكلمة. فما حواه القرآن الكريم وما حوته السيرة النبوية من خير وهداية ومن اتجاهات إنسانية سامية فيها الضمان الأكيد لخير أبناء العراق جميعا وللإنسان فى كل زمان ومكان. فعلى قادة الفكر والمثقفين فى

العراق أن يرجعوا إلى القرآن الكريم فيتعرفوا على فلسفته الأخلاقية والاجتاعية ويعملوا على الاسترشاد بها ونشرها بين الناس. إنها فلسفة إنسانية شاملة هى أسمى من كل ما جاء به ماركس ولينين وماوتسه تونغ. كما أنها تنقذ الإنسان من كل العلل والأمراض التى منيت بها الرأسمالية المتطرفة والصهيونية الأثيمة. وليدرس شبابنا سيرة الخليفة العظيم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وليتعرفوا على أقواله «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا» و «من أين لك هذا؟» و«الساكت عن الحق شيطان أخرس». وليدرسوا سيرة الإمام البطل على كرم الله جهه وليقرأوا نهج البلاغة ويتعرفوا على ما فيه من جهاد فى سبيل الإيمان والحق والكرامة الإنسانية. إن فى القرآن الكريم وسيرة النبى عليه الصلاة والسلام وسيرة الصحابة العظام من فلسفة اجتماعية إنسانية خالدة ما يضمن لنا السعادة فى الدنيا والآخرة. إنها فلسفة تعيننا على بناء مجتمع عادل فاضل ينعم فيه الإنسان فى كل مكان. وهى فلسفة أكثر اعتدالا واتزانا وإنسانية من كل فلسفات الشرق والغرب. إنها فلسفة الوسط الذهبى. إن الفلسفة الإسلامية هى فلسفة إنسانية شاملة كاملة فإنها بعد تأكيدها على الإيمان بالله الواحد الأحد فى النفوس وما يتبع ذلك من تقوى وحب الخير تدعو إلى الأخذ بالعلم وما ينتج عنه من خير لبنى الإنسان كما تدعو إلى الديمقراطية الحقة بأسلوب الشورى والتعاون والاتحاد والتواصى بالحق والتواصى بالصبر. الإيمان ثم العلم ثم الديمقراطية هى ثلاثة مبادئ إنسانية نرجو أن يقوم عليها المجتمع العراقى الحديث.

فإلى الأخذ بالمبادئ التى دفعت بأمتنا إلى المجد فيما مضى وإلى الصمود فى التاريخ وإلى الرجوع إلى المنابع الروحية الأصيلة لأمتنا إلى مبادىء التوحيد والإخاء والعدل لكل إنسان أدعو كل فرد منكم يا بنى وطنى! ولنذكر دوما قوله تعالى: ﴿**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**﴾.

إن كل ما مر أعلاه يمثل آراء شخصية فردية هى نتيجة خبرة خمسين سنة فى الحياة العامة. وإنى إذ أطرح آرائى هذه على أبناء الشعب العراقى على اختلاف نزعاتهم الفكرية والسياسية وأدعو المخلصين جميعا إلى مناقشتها فى جو أخوى حر. ومن ثم الإتفاق على سياسة إيجابية بناءة تضمن للعراق استقراره ونموه المطرد فى سبيل الحضارة والازدهار والعيش الكريم لكل فرد من أبنائه. فإذا اتفق أولو الرأى ومن ضمنهم السادة القائمون على دست الحكم على منهج وطنى تقبله الأكثرية من أبناء البلاد. تشكل حكومات المستقبل على ضوء هذا المنهج ويكون الحكم فى العراق قائما على صخرة ثابتة لا تزعزعه الأهواء والانقلابات.

العراق يحتاج إلى حياة دستورية ديمقراطية مطمئنة. ولا يتم ذلك إلا فى جو يسوده الأمان والإخاء والحرية. وهذا يتطلب الانتقال من الحكم العسكرى إلى الحكم المدنى فى أقرب الآجال. أقول هذا مذكرا جميع المواطنين من مدنيين وعسكريين بواجباتهم نحو وطنهم وأمتهم عملا بقوله تعالى: ﴿**وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين**﴾.

استجواب حول ثورة (١٩٤١)
فى العراق

س: رأى الدكتور فاضل الجمالى فى ثورة ٤١ كمسئول؟

ج: لم أكن سياسياً مسئولاً فى الدولة العراقية سنة ١٩٤١ بل كنت مديراً عاما للتربية والتدريس فى وزارة المعارف. ورأيى فى الثورة هو أنها كانت منبعثة عن دوافع شريفة تستهدف تأمين العزة القومية وتحرير الوطن العربى ولا سيما فلسطين من الاستعمار الأجنبى. ولكن حساب القائمين بالثورة كان خاطئاً وتقديرهم لقوتهم وقوة خصمهم غير صحيح ـ إنهم لم يكونوا على معرفة كافية بميزان القوى العالمية وكانت تعوزهم الإحاطة بالواقع الدولى وربما كان لانتصارات ألمانيا الباهرة فى بداية الحرب أثر فى حجب الواقع عنهم.

س: رأى الدكتور فى موقف العقداء الأربعة؟

ج: العقداء الأربعة شباب قومى مؤمن مخلص لأمته ووطنه. يتقد حماساً. لما فشل ساسة العراق فى الثلاثينيات من هذا القرن (وبعد وفاة المغفور له الملك فيصل الأول) فى رسم سياسة متفق عليها تضمن استقرار الحكم وازدهار العراق قام بعض الغيارى من ضباط

الجيش فتحملوا أعباء السياسة وهى خارج اختصاصهم وفى مقدمتهم العقداء الأربعة فقد تحملوا أعباء السياسة ومخاطرها الأمر الذى أدى الى استشهادهم بعد أن فشلت ثورة ١٩٤١ كما أدى إلى احتلال الإنكليز العراق ثانية طوال الحرب العالمية الثانية.

س: رأيك فى فهمى سعيد وموقعه من قيادة الحركة؟

ج : الشهيد فهمى سعيد من الرجال الذين يصدق عليهم قوله تعالى:

﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا﴾ لما كنت من العاملين على غرس الروح القومية فى العراق عن طريق التربية والتعليم ولما كنت عضواً مؤسساً فى نادى المثنى بن حارثة الشيبانى كنت ألتقى أحياناً بالضباط المتحمسين للقومية العربية من أمثال فهمى سعيد وكامل شبيب ومحمود سلمان فى مجالس خاصة. حتى جاء المرحوم ياسين باشا الهاشمى وترك مذكرة فى دائرتى ينصحنى بالانقطاع عن الاجتماع بالإخوان. ففى اللقاءات التى كانت لى مع الشهيد فهمى سعيد وجدت أنه إنسان شريف مؤمن بالله وبحق أمته فى الحرية والكرامة متحمس غاية الحماس مستعد للتضحية بالنفس والنفيس فى سبيل أمته ووطنه. بعد انقطاعى عن الاجتماع بالإخوة لم أطلع على خططهم ونشاطهم فى الحقلين السياسى والعسكرى ولذلك فلا علم لى عن دوره فى قيادة الحركة.

س: أى معلومات إضافية أو ذكريات أو تعليق أو خاطرة سواء بفهمى سعيد أو الأحداث العراقية لغاية ١٩٤١ ؟

ج : (١) فى أواسط الثلاثينيات كانت لى صداقة حميمة مع الشهيد محمد يونس السبعاوى فقد وجدت فيه قومياً صادقاً مندفعاً فى قوميته وكان يونس متعاوناً مع العقداء الأربعة وموجهاً لسياستهم حسبما علمت.

(٢) لما كانت الحرب فى أوجها بين الجيش العراقى والإنكليز فى الحبانية وكان الألمان قد احتلوا فرنسا ويقصفون بطائراتهم بريطانيا بعنف كنت أتمشى أنا والأستاذ أكرم زعيتر الوطنى الفلسطينى الغيور فى شارع أبى نواس على شاطئ نهر دجلة. قلت للأستاذ أكرم إن ألمانيا ستخسر الحرب حتماً ذلك لأن الولايات المتحدة ستدخل الحرب إذا ما وجدت بريطانيا قد تعرضت لخطر محقق. وإذا دخلت الولايات المتحدة الحرب فهتلر منتهى. قال لى الأستاذ أكرم لا تقل هذا ونحن فى حرب مع الإنكليز اليوم.

(٣) حدثنى الحاج رشيد عالى الكيلانى ونحن زملاء فى سجن عبد الكريم قاسم بأنه لم يكن متهيأً للاصطدام بالإنكليز وأنه جوبه بالأمر الواقع فى موقف العقداء وهو ينحو باللائمة على الشهيد محمد يونس السبعاوى.

اتحاد أم قطيعة
بين العراق وسورية

بمزيد المرارة والتألم النفسى نقرأ فى الصحف العالمية ونسمع من الإذاعات عن محنة أهل الفرات فى العراق وحرمان شعبه المجاهد النبيل من نيل حاجتهم الاعتيادية من الماء الضرورى للحياة الذى يحمله إليهم الفرات عادة. وجدير بالعرب فى كل مكان أن يعرفوا أن عرب الفرات العطاشى اليوم هم أول من قاموا بوجه الاستعمار الغربى بعد الحرب العالمية الأولى حين أضرموا نار الثورة ضد الإنكليز سنة ١٩٢٠ فضعضعوا بثورتهم صرح السياسة الاستعمارية البريطانية فى كل مكان.

ثم نقرأ فى الصحف ونسمع فى الإذاعات عن غلق مكتب الطيران السورى فى بغداد والمكتب العراقى فى دمشق ثم نقرأ ونسمع عن منع الطيران العراقى من عبور الأجواء السورية. حقاً إنها لقطيعة! ويا لها من قطيعة فظيعة! كأن مسببيها لم يسمعوا بقول الحق الذى نطق به الشاعر العربى الكبير بدوى الجبل فى نادى المثنى بن حارثة الشيبانى فى بغداد قبل نحو من أربعين سنة حين قال:

ليس بين العراق والشام حدّ   هدّم الله ما بنوا من حدود

وكأني به يقول اليوم:

ليس بين العراق والشام سدّ هدّم الله ما بنوا من سدود

أكاد لا أصدق ما أقرأ وأسمع. أسائل نفسي ماذا دها أمتنا العربية؟ ولم تحلّ القطيعة بين قطرين شقيقين لا حدود طبعية تفصل بينهما. يحكمهما حزب واحد يؤمن «بأمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة»؟ ألم يكن الأجدر بإخواننا في سوريا أن يوفدوا من يعتمدون عليهم ليزوروا الأماكن المتضررة من تنقيص المياه ليروا الحالة بأنفسهم فيدرءوا عن إخوانهم الضرر؟ وذلك بدل التراشق بالتهم. ألم يكن الأجدر الالتجاء إلى التحكيم والوساطة؟ ولماذا تعطل نشاط الجامعة العربية ووساطة الحكومة العربية السعودية في هذا الصدد؟ ثم إني تذكرت قول الشاعر العربي:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهنّد

قبل خمس وعشرين سنة كنت أسعى جاداً في سبيل اتحاد القطرين الشقيقين سوريا والعراق وكنت على اتصال وثيق بالعديد من إخواني في سوريا نخطط من أجل تحقيق الإتحاد بطرق دستورية.

ثم إني تقدمت باستقالتي من رئاسة الوزارة العراقية سنة ١٩٥٤ وكان السبب الرئيسي للاستقالة هو اختلافي مع المرحوم السيد نوري السعيد حول مشروع اتحاد العراق وسوريا ثم حكم عليّ بالإعدام في المحكمة العسكرية العليا الخاصة التي يرأسها العقيد فاضل عباس

المهداوى سنة ١٩٥٨. وكانت التهمة الموجهة إلىّ هى التآمر على سوريا الشقيقة، ويعلم الله أنى لم أتآمر يوماً على سوريا، بل كنت وما زلت صريحاً كل الصراحة فى دعوتى إلى الاتحاد بين القطرين الشقيقين وإخوانى فى سوريا الذين كنت أتعاون معهم يعرفون ذلك ثم تذكرت أنى اجتمعت ليلاً فى دارى فى بغداد سنة ١٩٥٥ بالأستاذين أكرم الحورانى وصلاح الدين البيطار فبحثنا موضوع اتحاد العراق وسوريا. فكان رأى الدكتور صلاح الدين البيطار آنذاك أن الاتحاد غير ممكن ما دامت المعاهدة العراقية البريطانية قائمة وما دام العراق يحكمه السيد نورى السعيد. فكان جوابى أن المعاهدة العراقية البريطانية قد انتهى مفعولها وأن السيد نورى السعيد لن يعيش إلى الأبد فلنعمل سويا من أجل الاتحاد ونزيل معاً العقبات التى تعترضنا فى الطريق. وأتذكر أن الأستاذ أكرم الحورانى أيدنى آنذاك فيما ذهبت إليه. لقد زالت المعاهدة العراقية البريطانية من الوجود وذهب السيد نورى السعيد إلى جوار ربه. والآن ما الذى يعيق البلدين عن المضى قدماً فى سبيل الاتحاد؟

ثم تذكرت صفحة من حديث جرى بينى وبين المرحوم الرئيس جمال عبد الناصر فى باندونغ سنة ١٩٥٥ حيث وقفنا نتحدث لوحدنا فى فترة استراحة فقال لى من جملة ما قال: «اسحبوا أيديكم عن سوريا» أجبته على الفود «أنتم اسحبوا أيديكم عن سوريا» ثم واصلت الكلام بما مؤداه: «نحن وسوريا نشكل وحدة طبيعية لا يجوز أن تنفصم فلا يستطيع أحدنا أن يستغنى عن الآخر. فالقبائل العراقية

مثل شمر وعنزة لها أفخاد فى سوريا وهى لا تعرف الحدود القائمة بين العراق وسوريا ولا تعترف بها. و «الموصل» فى العراق. و «حلب» فى سورية يرتبطان ببعضهما تاريخياً وجغرافياً وكذلك «البوكمال» و«دير الزور» فى سوريا فإنهما يرتبطان «براوة» و «عانه» فى العراق. وهناك عائلات عديدة سورية وعراقية مترابطة بالمصاهرة. والفرات الذى هو مصدر حياة نصف السكان المزارعين في العراق يأتينا من سوريا ووارداتنا من الغرب وصادراتنا إليه تعبر سوريا. ونفطنا يصل البحر المتوسط عن طريق سوريا. والعراق هو سوق طبعى للعديد من المصنوعات والمنتوجات السورية. ثم هناك شعور قومى متصاعد يغذى أبناء القطرين بالحاجة الملحة للاتحاد منذ أوائل هذا القرن. فقد عقدت مؤتمرات قومية فى دمشق بعد الحرب العالمية الأولى قررت اتحاد القطرين. ثم قلت إنى من دعاة اتحاد القطرين كخطوة أولى فى سبيل اتحاد عربى عام. فإن لم يتحقق الاتحاد فوراً فلا بد من توحيد السياسة بين القطرين ولا بد من تأمين التعاون التام بينهما إلى حين يتحقق الاتحاد. أما إذا دبّ خلاف بينهما لا سمح الله واتبع كل قطر سياسة تضر بمصلحة القطر الآخر فالعاقبة وخيمة وفى ذلك ما فيه من الضرر البالغ على الأمة العربية فى موقفها تجاه أى عدوان خارجى».

جرى هذا الحديث فى باندونغ قبل عشرين سنة وبدل أن تخطو الأمة العربية بخطوات واقعية فى سبيل الاتحاد خلال تلك العشرين سنة وإذا بنا نقرأ ونسمع عن القطيعة بين القطرين الشقيقين ونقرأ عن

النكبة التى حلت بسكان الفرات فى العراق من جراء حجز الكمية الضرورية من مياه الفرات عنهم.

نحن ندعو إخواننا فى كل من سوريا والعراق أن يضعوا مصلحة الشعب العربى فى سوريا والعراق فوق المصالح الحزبية أو القطرية وأن يفكروا فى أمة واحدة وشعب واحد فلا يجوز أن يعطش أهل الفرات فى العراق لأسباب لا يعرفون عنها شيئاً. ومن رأينا أن الأمة العربية اليوم هى أحوج ما تكون إلى وحدة الصف والتغلب على العواطف الحزبية أو القطرية. والعمل الحثيث فى سبيل اتحاد القطرين اتحاداً كونفدرالياً وانضمام الأقطار العربية الأخرى الراغبة إلى هذا الاتحاد حتى يأتى اليوم الذى يتحقق فيه اتحاد الدول العربية كلها من الخليج إلى المحيط وليس هذا بكثير أو عسير فى عصر توفرت فيه كل أسباب الارتباط ووسائل التثقيف الشعبى.

هذا وإن ما حدث بين العراق وسوريا من قطيعة سببها تقسيم مياه الفرات وتلاوتى الكتاب القيم الذى وضعه الأستاذ جلال السيد «حزب البعث العربى» جعلانى أفكر من جديد فى الشعارات التى يحملها العديد من أبناء أمتنا. ولئن كانت الشعارات التى اتخذها حزب البعث «الوحدة» و «الحرية» و «الاشتراكية» شعارات يتقبلها كل قومى عربى متفتح على شرط أن تفسر الاشتراكية «بالعدل الاجتماعى» وليس السطو على الملك الحلال ولا خنق المبادرة الفردية المفيدة للمجتمع. فإن هذه الشعارات تبقى فى نظرنا بدون أساس ما لم تسبقها

شعارات أربعة هي: (١) الإيمان بالله. (٢) التحلي بالفضيلة وضبط النفس. (٣) طلب العلم وتحرى الحقيقة. (٤) العمل البناء.

نحن ندعو الأستاذ ميشيل عفلق وغيره من قادة الفكر فى حزب البعث فى كل مكان أن يفكروا فى هذه الشعارات التى نقترحها. ففى نظرنا أنها تشكل الأساس الضرورى الذى يمكن أن تقوم عليه شعارات حزب البعث. وإلا فإنّ شعارات الوحدة والحرية والاشتراكية تبقى معلقة فى الهواء تعصف بها الرياح والعواصف. فمشكلة أمتنا هى مشكلة إيمان وأخلاق قبل كل شيء. ولا يمكن تحقيق وحدة ولا حرية. ولا اشتراكية صحيحة ما لم نهتد بهدى الإيمان ونتخلق بالأخلاق والمكارم التى عرفت بها أمتنا. ولو ضمنا ذلك لما عطش أهل الفرات فى العراق ولما قامت خصومات ومهاترات بين الأشقاء من أبناء الأمة الواحدة ولاستطعنا فى مدة أقصر أن نسترد حقوقنا المغتصبة فى فلسطين. ولعملنا على نشر رسالتنا الداعية إلى التوحيد والإخاء والعدل والحرية والسلام بين بنى الإنسان فى كل مكان. وأخيراً ندعو لأمتنا ولإخواننا فى كل من سوريا والعراق بالنصر والهداية وتحقق الاتحاد.

الباب الرابع

(فلسطين)

بمناسبة الدعوة لعقد مؤتمر للسلام فى الشرق الأوسط:

نرحب بالسلام المؤسس على الحق والشرعية ونشجب الاستسلام والتبعية

كاتب هذه السطور عاش مع المأساة الفلسطينية منذ صدور «تصريح بلفور» ١٩١٧ إلى يومنا هذا ١٩٩١ وقد درس التربية الصهيونية والنشاط الصهيونى والنفوذ الصهيونى فى العالم شرقاً وغرباً وهو مقتنع بأن الصهيونية العالمية متمسكة بمبدأ واضح وسائرة فى سبيل تحقيقه (بشتى الوسائل اللاشرعية والشيطانية) ألا وهو تحقيق حلم إسرائيل الكبرى. فهى لا تريد سلاماً يعيقها عن تحقيق هذا الهدف. هذا وقد نجحت الصهيونية العالمية (بفضل التقاعس أو التخلف العربى) فى تعبئة السياسة الغربية عامة والأمريكية خاصة لتحقيق أغراضها. وقد نجحت أخيراً فى استعادة الدعم السوفيتى بعد قطيعة دامت منذ ١٩٦٧ .

وها هى الولايات المتحدة اليوم تدعو لمؤتمر سلام فى الشرق الأوسط مستخدمة كل أساليب الإقناع والتأثير على الجانبين العربى والإسرائيلى.

ففى الجانب العربى نرى ضعفاً يكاد يكون استسلاماً إزاء ما تقترحه الولايات المتحدة ولا سيما فيما يتعلق بالاعتراف بحق الفلسطينى بتقرير المصير وبالقدس. فحماس بعض الدول العربية لعقد هذا المؤتمر بشروط تمليها إسرائيل (عن طريق الولايات المتحدة) على الدول العربية شىء مؤسف حقاً. ونرجو أن تدرك الحكومات المتحمسة لعقد المؤتمر هذا أو التى دعيت لحضور المؤتمر كمراقبة بأنها تتحمل مسئولية تاريخية عظمى عن حاضر الأمة العربية ومستقبلها وعن مصير الشعب الفلسطينى الذى قاسى ولا يزال يقاسى من ظلم العدو وظلم ذوى القربى ما لم يقاسه شعب فى عالم اليوم.

أما فى الجانب الإسرائيلى فنرى قوة وتصلبا أمام اقتراح الولايات المتحدة بعقد المؤتمر. فإسرائيل لن تشترك فى المؤتمر إلا بشروط تمليها هى على الولايات المتحدة والولايات المتحدة تحاول جهدها كسب إسرائيل وجذب إسرائيل إلى المؤتمر فتقدم لها الوعود والهبات على حساب الحق العربى وبالمال العربى. فقد تحدث مسئول إسرائيلى عن مهمة وقد أرسلته الولايات المتحدة للتفاوض مع إسرائيل حول سير المؤتمر قائلاً: «إن المباحثات مع الوفد تستهدف البحث عما تتوقع إسرائيل الحصول عليه من ضمانات أمريكية حول تشكيل الوفد الفلسطينى. فقد أوضحت إسرائيل أنها لن تحضر المؤتمر فيما إذا حضره من يمثل منظمة التحرير الفلسطينية أو فلسطينيون من خارج الأرض المحتلة أو من سكان القدس الشرقية. وإن الإسرائيليين يريدون

تأكيدات من الحكومة الأمريكية بأنها ستحترم البيانات الصادرة عن الإدارات الأمريكية السابقة حول مستقبل الأراضى العربية المحتلة وأن إسرائيل لن تجبر على التنازل عن الأراضى التى احتلتها سنة ١٩٦٧».

إن الولايات المتحدة تحاول جهدها إرضاء إسرائيل فهى تغدق عليها المال والسلاح والدعم السياسى ومن أولى دوافع الولايات المتحدة لعقد المؤتمر هو ضمان سلامة إسرائيل ورفاه إسرائيل وهيمنة إسرائيل فى الشرق الأوسط فقد عملت الولايات المتحدة على:

(١) جذب اليهود السوفييت إلى إسرائيل لتملأ إسرائيل الأراضى العربية المحتلة بالمستوطنات اليهودية.

(٢) حمل الاتحاد السوفيتى على إعادة العلاقات السياسية مع إسرائيل.

(٣) تبرير قيام الولايات المتحدة بتقديم ضمانات لإسرائيل لتحصل على قرض بعشرة آلاف مليون دولار لإسكان المهاجرين السوفييت فى الأراضى العربية المحتلة.

(٤) حمل الدول العربية على إنهاء المقاطعة الاقتصادية لإسرائيل.

(٥) فتح الأسواق العربية أمام البضاعة الإسرائيلية.

(٦) سحق القوة العراقية وتوجيه السياسة العربية الوجهة التى تريدها إسرائيل: «فرق تسد».

وبالرغم من كل هذه الفوائد والخدمات التى تسديها الولايات

المتحدة لإسرائيل. فإن إسرائيل قد تحضر المؤتمر بعد أن قبضت الثمن ولكنها لن تسلم البضاعة! ذلك إذا تم وتحقق انعقاد المؤتمر!.

ومهما كانت الظروف والنتائج وسواء أعقد المؤتمر أم لم يعقد فهناك أمور لا يجوز للدول العربية أن تتساهل فيها أو تتنازل عنها نذكر منها:

(١) القدس: فالقدس أمانة فى أعناق العالمين الإسلامى والمسيحى. افتتحها الخليفة العظيم عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) وأنقذها البطل المسلم صلاح الدين الأيوبى.

إن مدينة القدس من ناحية دينية ليست مدينة يهودية تخص اليهود وحدهم إنها مدينة الأديان السماوية الثلاثة الإسلام والمسيحية واليهودية. وإن اليهود لا يحملون تقديساً للمعالم المسيحية والإسلامية فيها بينما المسلمون يقدسون أنبياء بنى إسرائيل والمسيح عليهم السلام جميعاً. ولن تنجح إسرائيل فى جعل العالمين الإسلامى والمسيحى يسلمان بتهويد القدس مهما أوتيت من قوة أما من ناحية قانونية اليوم فإن القدس العربية أرض فلسطينية محتلّة وهى جزء من الضفة الغربية فى فلسطين. ولذلك فكل إذعان عربى للمطالب الإسرائيلية حول تمثيل القدس فى المؤتمر المقترح عقده هو استسلام وتقصير من الناحيتين القومية والدينية.

(٢) حق تقرير المصير للشعب الفلسطينى فى الأرض المحتلة وفى الشتات بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية. إنه حق أقرته الشرائع السماوية والأرضية وليس لإسرائيل أو أية دولة عظمى أن تمس هذا الحق أو أن تساوم حوله. ثم تدعى الرغبة فى السلام. إن الولايات المتحدة تناقض نفسها حين تدعو إلى مؤتمر سلام. وهى لم تعترف بحق الشعب الفلسطينى بتقرير المصير وتتجاهل الشرعية الدولية التى أقرتها الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة ١٩٤٧ بتأسيس دولتين فى فلسطين إحداهما عربية والأخرى يهودية. ولما كان حق اختيار من يمثل الفلسطينيين هو مظهر من مظاهر حق تقرير المصير فلا يجوز لإسرائيل أو الولايات المتحدة أو أية دولة عربية أن تتدخل فى اختيار من يمثل الشعب الفلسطينى. ولماذا لم يعترض العرب على حضور ممثلى «الليكود» (وهم إرهابيون توسّعيون فاشيّون) للتفاوض فى مؤتمر السلام؟ نحن نأسف حقاً حين نقرأ ونسمع أن بعض الدول العربية تتبرع بتقديم النصح لمنظمة التحرير الفلسطينية بأن تتساهل فى اختيار وفدها رعاية للمطالب الإسرائيلية. ولا ندرى إن كانت هذه الدول تدرك أنها بنصحها هذا إنما تتنازل عن حق تقرير المصير للشعب الفلسطينى فعلاً! وما قيمة المؤتمر وأى سلام يتحقق فى الشرق الأوسط إذا لم يتمتع الشعب الفلسطينى بحق تقرير المصير كاملا وغير منقوص؟

(٣) إيقاف غرس المستوطنات اليهودية فى الأرض العربية المحتلة فوراً كشرط أساسى قبل بداية المؤتمر. وإلا فإن المؤتمر قد يدوم سنوات ولا يحقق سلاما وتكون الأرض العربية المحتلة قد ملئت بالمستوطنات اليهودية فلماذا المؤتمر إذن وقد زالت فلسطين العربية من الوجود؟ إن البحث عن عقد المؤتمر والسكوت العملى عن تأسيس المستوطنات أمر يستدعى التساؤل عن جدية الولايات المتحدة فى تحقيق السلام العادل فى الشرق الأوسط.

ولا نعرف السبب الذى يعيق الدول العربية من الرجوع الى مجلس الأمن لإيقاف الإسرائيليين عند حدهم فى تأسيس المستوطنات إن ما أسس فى مستوطنات فى الأرض العربية ينبغى إخلاؤها من اليهود وإسكان العائدين من الكويت فيها: ذلك إذا وجد فى عالمنا اليوم إنصاف ووجدان! وإذا كان فى وسع الولايات المتحدة إخراج العراق من الكويت بالقوة فهل ستخرج إسرائيل من الأرض المحتلة بالقوة إذا تعذر الإقناع؟

وأخيراً نحن ندعو إلى سلام مؤسس على قواعد القانون والأخلاق ومقررات الأمم المتحدة. وذلك ما نرجو أن تتمسك به الولايات المتحدة كما نرجو أن تتمسك به كل الدول العربية الراغبة فى إحلال السلام. أما الاستسلام للمطامع الإسرائيلية واتخاذ معايير خاصة لها على حساب الحق العربى والكرامة العربية فلا يحقق سلاماً فى المنطقة إن عاجلاً أو آجلاً. نحن أمّة ترحب بالسلام المؤسس على الحق والقانون والشرعية وتشجب الاستسلام والتبعية.

السلام فى الشرق الأوسط
يتطلب قواعد أخلاقية متفقا عليها

ربما كانت أكبر عقبة فى مسيرة السلام فى الشرق الأوسط تتمثل فى انعدام قواعد أخلاقية متفق عليها بين العرب من جهة وبين إسرائيل ومن ورائها من الجهة الأخرى. فإن تباين الثقافات واختلاف العقائديات بين الأطراف المشار إليها أوجد هوّة أخلاقية بين الجانبين تتطلب إنشاء جسر واسع متين بينهما من أجل تحقيق السلام.

إن العربى الأصيل ينشأ عادة بسيطاً صريحاً كريماً مضيافاً سهل الامتزاج مع سائر شعوب العالم ولما كان قد قاسى من آثام الإستعمار ما قاسى فإنه يحتاج إلى التوحيد والتحديث بأسرع ما يمكن.

وأصدق دليل على أن العربى إنسان كريم ومضياف هو استقبال المهاجرين الأرمن بعد الحرب العالمية الأولى فى كل من لبنان وسوريا والعراق وتعايش هذا الشعب المسيحى مع الشعوب الإسلامية فى هذه البلاد. فلم نسمع عن مشكلة أرمنية فى البلاد العربية والحمد لله.

كما أن اليهود عاشوا القرون العديدة مع المسلمين فى مصر والعراق والأندلس وشمال أفريقيا واليمن بسلام وانسجام. يشاركون الشعوب الإسلامية فى السراء والضرّاء حتى جاءت الصهيونية العالمية

بعد الحرب العالمية الأولى وبدأت تعمل على اقتلاعهم من جذورهم في البلاد العربية التى عاشوا فيها لعدة قرون.

فالعربى يملك رصيداً أخلاقيا كافياً لإحلال السلام فى الشرق الأوسط فيما إذا صدقت العزائم.

أما الإسرائيليون القادمون من الغرب وفى مقدمتهم حكام إسرائيل فإنهم نشأوا نشأة غربية معقدة يشوبها الاضطهاد والتمييز العنصرى. فإنهم جاءوا إلى فلسطين حاملين عقد الاضطهاد من جهة ومشبعين بروح الانتقام والاستعلاء من الجهة الأخرى.

ثم انهم نشأوا على اعتقاد خاطئ مآله أن إسرائيل تملك حقاً إلهياً فى الاستيلاء على بلاد لها مكانتها. وهم أحق بها من أهلها! حاش لله أن يكون قد أمر إسرائيل بإخراج الفلسطينيين من أرضهم وإبعادهم عن ديارهم! ولتنفيذ هذه العقيدة الخاطئة اتبعت إسرائيل سياسة لا أخلاقية تتمثل فى أن «الغاية تبرر الوسيلة» و «القوة هى الحق».

فالقتل والقمع وهدم البيوت وإبعاد المواطنين خارج بلادهم وتجهيل الناشئة وزج الأحرار فى السجون ما هى إلا بعض الوسائل التى تستخدمها إسرائيل إزاء الشعب العربى فى فلسطين. إنها سياسة لا أخلاقية لا تؤدى إلى سلام أنها سياسة تنسف المبادئ الأخلاقية التى عليها يتوقف التعايش بين العرب وإسرائيل فى جو من الثقة والاطمئنان.

نحن من المعتقدين بأن الاتفاق على قواعد أخلاقية متفق عليها بين جميع الأطراف ضرورى لإحلال السلام. ومن الأخلاق المطلوبة لإحلال السلام فى الشرق الأوسط نذكر:

(١) الصدق والنزاهة.

(٢) الصراحة والوضوح فى المقاصد.

(٣) الغيرية واحترام حق الطرف المقابل.

(٤) الشجاعة فى الإصداع بالحق.

إذا تم الاتفاق على هذه المبادئ. فنحن نتساءل أين نحن الآن من هذه الأخلاق فى الشرق الأوسط عامة وفى الأرض المحتلة فى فلسطين خاصة؟

(١) هل هناك صدق ونزاهة فى الجو السائد بين العرب وإسرائيل والولايات المتحدة حول القضية الفلسطينية؟ أليس الكذب والخداع والمماطلة واللفّ والدوران والدعايات الكاذبة والاغتيالات والدسائس هى ما تملأ الجو فى العلاقات بين العرب وإسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية؟

(٢) وهل هناك صراحة ووضوح فى الأهداف والأساليب التى تتبعها إسرائيل؟ ما هى حدود إسرائيل؟ هل هى الحدود التى أقرتها الأمم المتحدة سنة ١٩٤٧؟ هل هى حدود الهدنة التى وقعت فى رودس سنة ١٩٤٩؟ هل هى إسرائيل الكبرى؟ أم هى حدود ما قبل ٥ حزيران (يونيه) ١٩٦٧.

إن إسرائيل وقّعت مع الدول العربية المحيطة بها فى لوزان سنة ١٩٤٩ وثيقة وافقت بموجبها على تطبيق قرارات الجمعية العامة الصادرة سنة ١٩٤٧ وسنة ١٩٤٨ المتعلقة بالتقسيم وعودة اللاجئين ولكنها عادت فسحبت توقيعها بعد أن تم قبولها كعضو فى الأمم المتحدة. فبرهنت بذلك على أنها غير مقتنعة بحدودها وأنها تنوى التوسع.

وها هو رئيس وزرائها شامير يعلن على الملأ بأن إسرائيل لا تنوى التخلى عن الأراضى العربية التى احتلتها رافضاً بذلك كل قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة وكل الحقوق العربية الثابتة فى فلسطين. ونحن نتساءل هل يحلم شامير بأن سلاماً فى الشرق الأوسط سوف يتحقق باتباعه سياسة الأستيلاء هذه؟ أم أنه أعلنها حرباً صريحة على مائتى مليون عربى وألف مليون مسلم مدى الأجيال القادمة ومن ورائهم كل محبى الحق والحرية فى العالم؟

(٣) وهل هناك غيرية فى السياسة التى تتبعها إسرائيل؟ الغيرية تتطلب معاملة الغير بالمقاييس وبالقيم والقوانين ذاتها التى تطلبها لنفسك. وهنا نوجه لإسرائيل ولمن وراءها الأسئلة التالية:

هل إن اليهود جاءوا إلى فلسطين ليعيشوا مع الشعب العربى الفلسطينى أم جاءوا لإجلائه عن وطنه وليحلوا محله؟ إن كلاً من تصريح بلفور وقرار الأمم التحدة القاضى بالتقسيم لم يهملا

حق عرب فلسطين الشرعى فى وطنهم. والمفروض فى الضيوف القادمين إلى فلسطين بدوافع إنسانية أو دينية أن يتعايشوا مع أهل فلسطين الشرعيين مسلمين ومسيحيين لا أن يستولوا عليهم ويجلوهم عن أوطانهم.

إن نكران حق الفلسطينيين بوطنهم وبتقرير مصيرهم هو نكران لمقررات الأمم المتحدة التى بموجبها وبقوتها جاءت إسرائيل إلى الوجود. ونكران مقررات هذه يفقد إسرائيل الشرعية الدولية التى بها تبرر وجودها. فإذا كانت إسرائيل ترفض قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة بداية من قرار التقسيم ١٩٤٧ ونهاية فى قرار التفاوض (٢٤٢) الصادر فى ١٩٦٧ فلا يبقى مسند شرعى تسند إليه فى وجودها سوى قوة السلاح. وهذا يعنى كفاحا دمويا لا نهاية له.

ثم هل من الغيرية أن يسمح لليهودى مهما كانت جنسيته أن يقدم إلى فلسطين ويحرم الفلسطينى ابن البلد من حق العودة؟

وهل من الغيرية أن تفرض إسرائيل من يتحدث ومن يتفاوض باسم الفلسطينيين؟ وهل توافق أن يفرض الجانب العربى على إسرائيل عدم التفاوض مع جماعة «الليكود» مثلا؟ وهل من الغيرية أن تقتطع إسرائيل جزءاً من لبنان وتحتله كحزام أمنى؟ ما رأيها لو طلبت الأردن (مثلا) منها حزاما أمنيا؟

هل من الغيرية مهاجمة أراضى لبنان برّا وجوّا وبحرًا بحجة معاقبة الفلسطينيين؟ هل تسمح إسرائيل لفرنسا (مثلا) أن تقصف إسرائيل لوجود بعض المجرمين الهاربين منها؟ يظهر أن حكام إسرائيل لم يسمعوا بمبدأ أخلاقى يدعى «بالغيرية» وهو المبدأ الذى تدعو إليه الديانتان المسيحية والإسلامية. وبموجبه يطبق قانون واحد على الجميع بدون تحيز أو تميز ضد «الغير» حتى إن الفضيلة تبرز عند تفضيل «الغير» على النفس.

(٤) أما مبدأ الشجاعة والإصداع بالرأى الحق فهو مطلوب من العرب واليهود على السّواء. فالعربى يحتاج إلى التسلح بالشجاعة فى دفاعه عن حقه مقتدياً بالخليفة أبى بكر الصديق (رضى الله عنه) حين قال: «الصدق أمانة والكذب خيانة. والضعيف فيكم قوى عندى حتى أرجع عليه حقه إن شاء الله والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه إن شاء الله لا يدع قوم الجهاد فى سبيل الله إلا خذلهم الله بالذل...».

واليهود الذين يعرفون الحق ويريدون التعايش السلمى مع العرب عليهم أن يتحلوا بالشجاعة ويصارحوا الشعب الإسرائيلى بأن هتلر قد مات والهتلرية البارزة فى سلوك كاهانة وشامير وشارون وأمثالهم لا تحقق السلام فينبغى أن تموت إذا أريد للشرق الأوسط السلام.

إن هؤلاء الحكام المرضى نفسيا وخلقياً فى إسرائيل هم خطر على يهود إسرائيل وهم يغذون «اللا سامية» فى العالم ذلك إلى جانب الأضرار التى يلحقونها بعرب فلسطين وبالعلاقات السلمية التى تنبغى أن تقوم بين إسرائيل وجيرانها.

والمسألة فى نظرنا تتطلبه علاجاً نفسياً لحكام إسرائيل ونأمل أن تتغلب فى إسرائيل وفى البلاد العربية الأخلاق المكونة من الصدق والنزاهة والصراحة والوضوح والغيرية والشجاعة لكى يحل السلام فى أرض المحبة والسلام. بعون الله وهدايته.

الدول العربية
والانتفاضة الفلسطينية

بعد عشرين سنة من الاحتلال الإسرائيلى الغاشم للأراضى العربية فى فلسطين قامت الانتفاضة المباركة لإنهاء هذا الاحتلال. وهاهى السنة الثانية (على وشك الانتهاء) وشباب الانتفاضة فى فلسطين مازالوا يقدمون التضحيات ويبرزون البطولات. والشعب الفلسطينى الأبى لايزال يعانى من القتل والتعذيب الوحشى والسّلب والنهب والنفى وهدم البيوت وحصار المدن وتجهيل الناشئة ما يسجل فخراً للشعب الفلسطينى وخزياً وعاراً لحكام إسرائيل.

إن الانتفاضة الفلسطينية أعادت للأمة العربية كرامتها المهانة وأيقظت ضميرها وتدعوها للدفاع عن الحق العربى والشرف العربى بكل الوسائل التى تبررها الشرائع السماوية والقوانين الدولية.

إن الأمة العربية مقصرة فعلاً إزاء القضية الفلسطينية عامة والانتفاضة خاصة. فلا نعرف ولم نسمع عن دولة عربية واحدة تبنت القضية الفلسطينية معتبرة إياها قضيتها الخاصة. فتعطيها الأولوية فى علاقاتها الدولية وفى سياستها الدفاعية والاقتصادية والدعائية كما كانت بعض

الدول العربية تفعل فيما مضى. فلا نعرف عن دولة تخوض معركة عسكرية أو اقتصادية دفاعاً عن فلسطين!.

لا ننكر أن قضية فلسطين (التى دعيت بقضية الشرق الأوسط لحمل العالم عل نسيان فلسطين) قد يرد ذكرها على لسان المسئولين العرب حين يلتقون بمسئول أجنبى ولكن ذلك لا يتعدى كونه عملاً دعائياً للقضية الفلسطينية أما فى الفعل وعلى أرض الواقع فالمحصّل يكاد يكون صفراً. وفى الحقل الدولى لا ننسى مجهود البلد الصغير حجماً والكبير فعلاً «الأردن» فإن ملكه دائم الحركة شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً من أجل القضية الفلسطينية وجمهورية مصر العربية بدورها قائمة بمساع مشكورة من أجل إحلال السلام فى فلسطين وإعادة الحق السليب إلى أهله العرب. ولكن اعتماد مصر المفرط على الولايات المتحدة الأمريكية فى حلّ القضية الفلسطينية وتبنى وجهة النظر الأمريكية إلى حدّ بعيد يحتاج فى نظرنا إلى إعادة نظر ما دامت حكومة الولايات المتحدة تتبنى وجهة النظر الإسرائيلية وتدعم السياسة الإسرائيلية. فرئيس الولايات المتحدة لا يعترف بحق الفلسطينيين بتأسيس دولتهم المستقلة فى فلسطين ثم إنه تبنى خطة «شامير» رئيس وزراء إسرائيل فى إجراء الانتخابات فى الأرض المحتلة مهملاً حق الفلسطينيين النازحين فى المشاركة فى الانتخابات وتقرير المصير. إن إخواننا فى مصر يعلمون ولا شك أن عملية إجراء الانتخابات لشعب من الشعوب وتعيين من يفاوض بإسم الشعوب هو من حق الشعوب

ذاتها وليس لأحد من الخارج أن يفرضه عليها. فاقتراح شامير هو إنكار لحق الفلسطيني بتقرير المصير وموافقة الولايات المتحدة على ذلك هو اشتراك مع إسرائيل فى هذا الإنكار. فكيف انزلقت مصر وأيدت طلب شامير؟. إن رئيس الولايات المتحدة ووزير خارجيته كلاهما صرح مراراً بأنهما يؤيدان مشروع شامير للسّلام (!) وشامير نفسه لم يؤيد مشروعه ولكنه جاء به لتضييع الوقت حتى يقضى على الانتفاضة وحتى يضعف منظمة التحرير ويخلق لها المشكلات وحتى يملأ الأرض المحتلة باليهود السوفييت ويضع العرب والعالم أمام الأمر الواقع. هل غابت هذه الحقائق عن أذهان إخواننا المصريين ومنهم البارزون فى السياسة وفى الدبلمة؟

نحن لا نشك بأن إخواننا فى مصر يعلمون أن شامير:

(١) لا يعترف بوحدة الشعب الفلسطينى وينكر حق النازحين بالعودة إلى ديارهم والمشاركة فى الانتخابات.

(٢) إنه لا يعترف بحق تقرير المصير للفلسطينيين وتأسيس دولتهم المستقلة على أرض فلسطين.

(٣) إنه لا ينوى التنازل عن شبر واحد من أرض فلسطين العربية لأنها «أرض إسرائيل التوراتية» (كذا).

(٤) إنه لا يسلم بعروبة القدس وحق المسلمين والمسيحيين فيها. بل يشجع لإعداد تخطيط لبناء هيكل سليمان على أرض المسجد الأقصى الشريف.

إن النقاط العشر التى جاء بها الرئيس مبارك لم يقبلها شامير كما أنه لم يقبل النقاط الخمس التى جاء بها وزير خارجية أميركا «بيكر». وكلا الاقتراحين يدعوان إلى تلاق بين إسرائيل والفلسطينيين. ونحن نقول إن كل هذه المحاولات هى من قبيل العبث وتضييع الوقت. وقد مضت سنة تقريبا من رئاسة «بوش» وهى تضاف إلى الواحد والعشرين سنة التى سبقتها فى المماطلات والمناورات التى افتعلتها إسرائيل لكى لا يتحقق السلام ولكى تجابه العالم بالأمر الواقع وتجبر عرب فلسطين على الرحيل أو الاستسلام!

إذا سلمنا بهذه الحقيقة فللمرء أن يتساءل إلى متى يبقى الفلسطينيون العزل فى الأرض المحتلة يقاسون القتل والسجن والتعذيب والتشريد ونسف البيوت والحكومات العربية تكتفى بالاجتماعات والاحتجاجات والولايات المتحدة تمارس حق النقض فى مجلس الأمن وتدافع عن جرائم إسرائيل؟

نحن العرب أصحاب حق فى فلسطين وطلاب سلام نحن أصحاب البلاد الشرعيين. نحن نملك من القوة البشرية والاقتصادية والاستراتيجية ما يمكننا من استرجاع حقوقنا المعترف بها دولياً فيما إذا وحدنا صفوفنا ورسمنا خططنا وشحذنا عزائمنا. المسئولية التاريخية فى نظرنا تقع على عاتق الحكومات والشعوب العربية. أما نحن فنرى ضرورة التفكير الجدّى فى النقاط التالية:

(١) نحن فى حاجة إلى إعادة نظر جذرية فى موقفنا الراهن إزاء القضية الفلسطينية. فهى خطيرة وفى خطر أكثر مما نتصور.

(٢) إن فلسطين هى الدرع الواقى للأمة العربية من الخطر الصهيونى المقبل على كل الدولة العربية.

(٣) إن علاقاتنا السياسية مع الولايات المتحدة ينبغى أن تؤسس على الحق والقانون والمقررات الدولية. نحن نريد أن نصبح أصدقاء للولايات المتحدة لا أتباعا. ولا يمكن تحقيق ذلك إلا برفع الولايات المتحدة عن عينيها النظارات الصهيونية وتستعمل نظارات صافية نقية لا لون فيها. فعلى الولايات المتحدة أن تبنى سياستها على الحق والقانون والأخلاق إذا كانت تريد صداقة الجميع فى الشرق الأوسط.

(٤) أن نتمسك بقوة بحق الفلسطينيين النازحين عن وطنهم بالعودة إلى ديارهم وممارسة حقوقهم السياسية والمدنية المشروعة بكل حرية.

(٥) أن نتمسك بقوة بحق الفلسطينيين بتقرير المصير وإنشاء دولتهم المستقلة فى فلسطين وعاصمتها القدس.

(٦) أن نتمسك بكل قوة بعروبة القدس وسلامة المقدسات الإسلامية والمسيحية فيها.

(٧) أن نعمل على دعم الانتفاضة حالاً بالمال والرجال والسلاح.

(٨) أن نكون مستعدين للدفاع عن الحق العربى المعترف به دولياً بالنفس والنفيس.

(٩) أن نقلع عن السياسة المائعة التى اتبعناها من سنة ١٩٦٧ إلى يومنا هذا. السياسة التى لم تثمر ولم تأت بنتيجة. ولو بقى الحال على هذا المنوال فسوف نخسر فلسطين وما جاورها نهائياً بعد عشرين سنة.

(١٠) إن مجلس التعاون العربى (المؤلف من مصر والعراق والأردن والجمهورية العربية اليمنية). (يضاف إليه المملكة العربية السعودية وسوريا) يتحمل مسئولية الدفاع عن الانتفاضة. والمطلوب من هذه الدول العربية أن تزود بالمال وبالسلاح وأن تفتح حدودها لمرور الفلسطينيين النازحين الذين يرغبون فى العودة إلى وطنهم فهم أحق بالعودة من اليهود المهجرين من الاتحادالسوفيتى.

نحن نصارح أمتنا العربية (والساكت عن الحق شيطان أخرس) بأننا نجابه اليوم موقفاً لا يقل خطورة فى فلسطين عن ذلك الذى وقفناه سنة ١٩٤٧ حين قسمت فلسطين. ففى سنة ١٩٤٧ صدر قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين وحصلت إسرائيل على حصة الأسد من جسم فلسطين المقطع. أما اليوم فهى تنوى الاستيلاء على ما خصص للعرب فى فلسطين كمرحلة أولى فى تحقيق إسرائيل الكبرى متجاهلة الحق العربى بوطنه وحقه فى تقرير مصيره وحقه فى العودة

إلى وطنه وفق قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة، فعلى الدول العربية اليوم أن تصغى لصوت فلسطين المنادى:

لو كنت من مازن لـم تستبـح

إبلى بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا

إذن لقـام بنصـرى معشر خشن

عـند الحفيظـة إن ذو لوثـة لأنا

المجزرة الرهيبة
فى الحرم القدسى الشريف

فى صباح يوم الاثنين الثامن من أكتوبر (تشرين أول) ١٩٩٠ فوجئ العالم وفجع العالم الإسلامى بمجزرة رهيبة قام بها الإسرائيليون فى ساحة الحرم الشريف فى القدس قتلوا فيها نحو الثلاثين شهيداً من المسلمين وجرحوا المئات! والسبب المباشر لهذه المجزرة هو قيام المسلمين من أبناء القدس الشريف بالدفاع عن الحرم الشريف من خطر عصابة إسرائيلية تدعى «أمناء جبل الهيكل» جاءت إلى الحرم الشريف لتضع حجر الأساس لبناء هيكل سلميان ليحل محل المسجد الأقصى بعد هدمه. وهذا هو هدف مجيىء الصهاينة إلى فلسطين ومبرر وجودهم فيها كما أعلن ذلك زعيم العصابة هذه فى التليفزيون الإسرائيلى. فالمجزرة إذن هى نتيجة خطة مقررة منذ زمن بعيد هدفها هدم «أولى القبلتين» وثالث الحرمين الشريفين فى القدس وبناء هيكل سليمان (عليه السلام) مكانه. هذا وقد أسست إسرائيل معهداً خاصاً فى القدس يتولى إعداد الإطارات لتنفيذ هذه الخطة. كما نبهنا مراراً وتكراراً إلى الخطر المحدق بالمقدسات الإسلامية والمسيحية فى فلسطين من جراء التوسع الصهيونى والاعتداء الصهيونى على هذه المقدسات.

وأرجو أن لا نكون قد نسينا أن إسرائيل سخرت شاباً استرالياً ليتولى حرق المسجد الأقصى المبارك فى صيف ١٩٦٩ الأمر الذى أقض مضاجع المسلمين وألهب مشاعرهم فى كل مكان آنذاك فوجه الملك الحسن الثانى (ملك المغرب) دعوة لجميع ملوك ورؤساء الدول الإسلامية فاجتمعوا فى الرباط يوم ٢٥ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٩. حضر الندوة الإسلامية هذه (وهى الأولى من نوعها فى العصر الحديث) ٢٥ ملكا ورئيس دولة أو من ينوب عنهم فاتخذوا قرارات أولها إنقاذ القدس من الاحتلال الإسرائيلى ثم المحافظة على التراث الروحى للمسلمين. كما تقرر إحداث أمانة عامة لمنظمة المؤتمر الإسلامى يكون مقرها «جدة» فى انتظار تحرير القدس الشريف! وها قد مر على هذا القرار ما يزيد على العشرين سنة والقدس لا تزال تحت الاحتلال الإسرائيلى وإسرائيل تمعن فى تهويدها واعتداءاتها على المقدسات الإسلامية والمسيحية.

إن الحكومات العربية خاصة والحكومات الإسلامية عامة مسئولة أمام الله عن سلامة المقدسات الإسلامية والمسيحية فى القدس خاصة وفى فلسطين عامة. فقوله تعالى ﴿**سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا...**﴾ (بداية الإسراء) يلقى مسئولية ثقيلة على عاتق كل مسلم لحماية الحرم الشريف وسائر المقدسات الإسلامية. والعهد الذى قطعه الخليفة العظيم عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) لبطرك النصارى

(افرونيوس) (حين سلم البطرك مفاتيح المدينة إلى الخليفة العظيم عند فتح المسلمين إياها) يضمن للمسيحيين حماية مقدساتهم. واستمرت ثقة المسيحية بالمسلمين فى فلسطين إلى يومنا هذا. ولا عجب إذا كان المسيحيون قد أودعوا مفاتيح كنيسة القيامة الكبرى لدى عائلة إسلامية هى عائلة «نسيبة».

نحن لا نلوم الإسرائيليين على ما يقومون به من استيلاء وظلم وعدوان وسحق للمسلمين فى فلسطين فهى سياسة أعلنوها صراحة وهى تأسيس إسرائيل الكبرى وهى تتطلب إزاحة عرب فلسطين من مسلمين ومسيحيين عن ديارهم وملأها بالمهاجرين الجدد.

كما لا نلوم الإسرائيليين إذا ما حاولوا هدم المسجد الأقصى وبناء هيكل سليمان محلّه فهو جزء من مخططهم المعروف الذى يعملون من أجل تنفيذه منذ زمن بعيد.

كما لا نلوم الولايات المتحدة إذا سخرت فى تنفيذ الأهداف الصهيونية وحماية توسعها وعدوانها ذلك لأن الصهيونية العالمية بأساليبها الشيطانية فى وسعها أن تؤثر على المصالح الأمريكية من داخل الولايات المتحدة وخارجها. أما العرب «ففى الجيب» ينفعون ولا يضرون. إنهم يستجدون العون المادى ويطلبون حماية الولايات المتحدة ومستعدون أن يعملوا بقول المسيح عليه السلام من ضربك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر...! إذن فاللوم لما يحدث من إذلال وإهانات واعتداءات على

المسلمين عامة والفلسطينيين خاصة يجب أن يوجه إلى المسلمين عامة والعرب خاصة. والأسباب واضحة وضوح شمس النهار:

(١) المسلمون عامة والعرب خاصة أهملوا درس القرآن واتباع حكمه وتعليماته: القرآن يدعونا إلى:

(أ) الاتحاد: **﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾** ونحن تفرقنا حكومات وأحزاب ومذاهب ومصالح مادية.

(ب) الاستعداد: **﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل...﴾** ونحن نستجدى السلاح من الغرب وتحت رحمة الغرب.

(جـ) الجهاد: **﴿لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون﴾** ونحن اليوم نقول للفلسطينى **﴿فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون﴾**

(٢) المسلمون عامة والعرب خاصة لم يعنوا عناية كافية بدرس ما يراد بهم وما يخطط من أجل الاستيلاء عليهم وإدامة ضعفهم وتمزقهم بحيث تستمر الحماية عليهم ويسخرون لأغراض غيرهم.

(٣) المسلمون عامة والعرب خاصة لم يفرقوا بين الصداقة والتعاون بين الند والند من جهة وبين (الاستسلام والتبعية) من جهة أخرى

فتقصير الدول العربية فى القضية الفلسطينية يرجع بالدرجة الأولى إلى الاستسلام والتبعية للسياسة الأمريكية وهى سياسة استولت عليها الصهيونية تقريبا فى كل ما يخص القضية الفلسطينية وما يحيط بفلسطين تقريبا فكان المفروض أن تقوم الدول العربية الغنية بالموارد الطبعية والمواقع الاستراتيجية أن تتفاهم بصراحة وعمق مع الولايات المتحدة بأن الأمة العربية تنشد الصداقة الحقة وتأبى المذلة والإهانة التى توجهها الحكومة الأمريكية للأمة العربية فى معاملتها للفلسطينيين (غلق مكتبهم وعدم الحوار المباشر معهم وعدم السماح لرئيسهم دخول الولايات المتحدة). وذلك من موقع قوة النفط والاستراتيجية وسائر المصالح الثقافية والاقتصادية.

(٤) انغماس الدول الإسلامية عامة والعربية خاصة فى مشكلاتها المحلية القطرية ولاسيما فى حقل الأمن والاقتصاد وإهمال القضايا الدولية الكبرى التى أدت إلى وضع عالمى جديد توقفت فيه الحرب الباردة بين العملاقين واستلمت الولايات المتحدة مسئولية قيادة الشرق والغرب هذه الأيام.

وأخيرا نقول: إن أزمة الخليج ثم مجزرة الحرم الشريف تستدعى من الحكومات الإسلامية الصادقة فى إسلامها بأن ترتفع على المصالح القطرية والمذهبية والأطماع الوقتية وأن تلتقى فى اجتماع طويل للتفكير العميق فى شئون المستقبل الإسلامى عامة والعربى الفلسطينى

خاصة لوضع خطة منهجية عملية لتحرير العالم الإسلامى وتوحيده وتجديد قوته. ودعم استقلاله وحماية الإسلام والمسلمين ومقدساتهم بروح إسلامية حية لا تعرف الانقسامات والصراعات الظرفية ومن الله العون والهداية.

متى يعود السلام
إلى أرض المحبه والسلام؟

للسنة الثالثة على التوالى يمتنع رجال الكنيسة فى بيت لحم وعين ساحور من إقامة الاحتفالات المعتادة بميلاد السيد المسيح عليه السلام تعاطفاً مع الشعب الفلسطينى البطل الذى يقاسى من وحشية الحكم الإسرائيلى ما يقاسيه. فالانتفاضة المباركة دخلت سنتها الثالثة والعدو ما زال ممعنا فى القتل والسجن والتعذيب والتشريد ونسف البيوت والاستيلاء على الممتلكات وتجهيل الناشئة.

إن فلسطين كما هو معروف أرض مقدسة لدى الأديان السماوية الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام على السواء. فهى مهبط الوحى لأنبياء بنى إسرائيل (عليهم السلام) وفيها ولد السيد المسيح (عليه السلام) ومنها عرج نبينا محمد (عليه الصلاة والسلام) إلى السماء. وإن السيد المسيح هو الذى أرادها أن تكون «أرض المحبة والسلام». ولا ندرى بأىّ حق وأىّ منطق تقوم عصابة من اليهود المتعصبين قومياً أو دينياً بالاستيلاء على أرض فلسطين كلها ويعتدون على حقوق سكانها المسلمين والمسيحيين فى العيش فى وطنهم بسلام!.

ما زلنا نسمع ونقرأ عن جهود الولايات المتحدة ومصر وإسرائيل من أجل إحلال السلام فى الشرق الأوسط. ونحن نسائل أنفسنا (على ضوء خبراتنا الطويلة) أجدّ هذا أم هزل؟ هل إن إسرائيل تريد السلام حقاً؟ وهل إن الولايات المتحدة جادة حقاً فى رغبتها فى تحقيق السلام؟ أما مشاركة مصر فى اللعبة فهو أمر صادر عن حب للسلام حقاً وعن حسن نية. ولكن حسن النية هذا هو الذى استدرج المغفور له الرئيس أنور السادات إلى توقيع معاهدة مخيم داود تلك المعاهدة تتضمن الحكم الذاتى للفلسطينيين وليس حق تقرير المصير. وها هى إسرائيل اليوم متمسكة بإتفاقية «مخيم داود» فلا تعترف للفلسطينيين بحق تقرير المصير. وتريد من مصر أن تكون الوصية المتحدثة باسم الفلسطينيين!

ونحن نقول إن الفلسطينيين هم من أرقى شعوب العالم ذكاءً وثقافة لهم قادتهم وساستهم ومفكروهم ولهم حقوقهم المعترف بها دوليا فى وطنهم وفى تقرير مصيرهم فهم لا يحتاجون إلى من ينوب عنهم فى تعيين من يمثلهم ومن يتحدث باسمهم ما دامت لهم دولتهم ومنظمتهم التى تدافع عن حقوقهم. وإن دعوة وزير خارجية أميريكا وزيرى خارجية كل من مصر وإسرائيل للاجتماع فى واشنطن للبحث عن من يمثل فلسطين فى الحوار مع إسرائيل لا تبشر بخير. فليس من حق أحد أن يقرر من يتكلم باسم الفلسطينيين إلا دولة فلسطين المعترف بها (كلاً أو بعضاً) عالمياً باستثناء إسرائيل والولايات المتحدة!

إن إهمال الولايات المتحدة دعوة وزير خارجية فلسطين للاجتماع به مع الوزير الإسرائيلى فيه إهانة للدولة الفلسطينية تجرح مشاعر العربى الواعى بحقه. وإن الإهانات العديدة التى لحقت بالشعب الفلسطينى ومنظمته (الصادرة عن وزارة الخارجية أو عن الكونغرس) لا تتفق مطلقاً مع الصداقة القائمة بين العديد من الدول العربية والولايات المتحدة منذ الحرب العالمية الأولى إلى يومنا هذا والمسئولية تقع على عاتق الدول العربية التى لم تقنع الولايات المتحدة بأن أية إهانة توجه إلى الشعب الفلسطيني وأى إجحاف بحقوقه إنما هو موجّه لكل عربى ولكل دولة عربية.

نعود فنصارح الولايات المتحدة بأنها إذا كانت تنشد السلام حقاً وتريد إحلال السلام فى الشرق الأوسط فعليها أن تسير على أسس الحق والقانون والاعتراف المتقابل بين الأطراف المعنية وليس على أساس الانحياز إلى جهة لتحقيق أهدافها على أساس سحق الجهة المقابلة. هذا وإن الطريق الذى تسلكه السياسة الأمريكية فى القضية الفلسطينية اليوم لا مخرج منه. فإنه لا يؤدى إلى إحلال السّلام ولا إلى ممارسة الفلسطينيين حقهم فى تقرير المصير.

إن الولايات المتحدة تحاول منذ صدور قرار مجلس الأمن (رقم ٢٤٢) سنة ١٩٦٧ إلى يومنا هذا إحلال السلام فى الشرق الأوسط ولكن إسرائيل كانت ولا تزال عقبة فى سبيل السلام. واليوم نتساءل هل لدى الولايات المتحدة أساليب جديدة أو معطيات خاصة تبعث

الأمل على التعجيل فى عملية السلام؟ لا شك فى أن للانتفاضة الفلسطينية فى سنتها الثالثة الفضل فى دفع عجلة السلام. ولكن الأساليب الأمريكية التى ألفناها منذ ما يزيد على العشرين سنة لم تتغير على ما يظهر بل قد ازدادت بطئاً وتعقيداً. فها هى الصورة الواقعية للموقف الأمريكى كما نراها اليوم:

(١) فى جانفى ١٩٩٠ اجتمع وزراء خارجية الولايات المتحدة ومصر وإسرائيل للبحث عمن سيمثل الفلسطينيين فى التلاقى مع الإسرائيليين وما هى الموضوعات التى سيتناولها البحث عند التلاقى.

(٢) إن إسرائيل تصر على ألا يحضر من الفلسطينيين من ينتسب الى منظمة التحرير الفلسطينية وأن يقتصر الحديث بين الطرفين على موضوع الانتخابات، كما تصر على ألا يشترك ولا يمثل النازحون من الفلسطينيين فى هذا اللقاء ولا فى الانتخابات.

(٣) إن الانتخابات فى الأرض المحتلة ستقرر من سيفاوض إسرائيل حول مصير الأرض المحتلة. وإن القدس العربية ليست من ضمن الأرض المحتلة لأنها إسرائيل.

(٤) إن نتيجة التفاوض بين ممثلى الأرض المحتلة وإسرائيل لن يؤدى إلى إنشاء دولة فلسطينية بل إلى حكم ذاتى يتمتع بالحماية الإسرائيلية ويخضع للسيادة الإسرائيلية وفق نصوص توراتية! (كذا).

إنه حقاً أسلوب سياسى ماكر! تعجز عن إدراكه عقولنا البسيطة ولا يدركه إلا دهاء سياسى صهيونى تغلغل فى سياسة الولايات المتحدة الشرق أوسطية! وربما أصبح فى مقدور إخواننا فى مصر فهم مرامى هذه السياسة لا سيما بعد خبراتهم فى مخيم داود وفى استرجاع «طابا» بعد جهد دام ما يقرب من عشر سنوات فإذا صبر إخواننا المصريون ما يقرب من عشر سنوات لاسترجاع طابا فلم لا يصبر إخواننا الفلسطينيون خمسين سنة لاسترجاع حقهم فى فلسطين؟ نحن نصارح الولايات المتحدة بصدق وإخلاص بأن أسلوب معالجة الموقف فى الشرق الأوسط بهذه الأساليب قد برهن على عقمه.

ومما يزيد فى صلافة الموقف الإسرائيلى هو محاولة اقتصار التمثيل الفلسطينى على سكان الأراضى المحتلة وإهمال حق الفلسطينيين النازحين بوطنهم والعودة إليه نهائياً! إن هذا الموقف الإسرائيلى من الحق الثابت للفلسطينيين بالعودة إلى وطنهم يشكل عدواناً جديداً على الأمة العربية لا يقل خطراً عن عدوان تقسيم فلسطين سنة ١٩٤٧. فعلى من يتولى مسئولية الدفاع عن الحق العربى فى فلسطين أن يكون واعيا يقظاً فى التمسك بهذا الحق إذ ليس من المعقول ولا من الإنصاف أن يؤتى بمئات الألوف من اليهود السوفييت إلى فلسطين سنوياً ويبقى الفلسطينيون أبناء البلاد الحقيقيين فى مخيمات اللاجئين فى لبنان وسوريا والأردن؟ ولا نعرف سبباً لسكوت الدول العربية ممثلة فى القمم

عن هذا الحق. ألم تكن قضية لبنان قد حلت من زمان لو نقل الفلسطينيون منه إلى الأرض المحتلة؟ أرض آبائهم أو أجدادهم.

نحن نتساءل (بوصفنا أقدم من عرف الأمريكان ونعم بصداقة العديد من المخلصين منهم) لماذا لا تعامل الولايات المتحدة عرب فلسطين كما لو كانوا يهوداً فتدافع عن حقهم فى الحياة الحرة فى وطنهم وعن تمتعهم بمبادئ حقوق الإنسان؟ إن الولايات المتحدة عملت كثيراً فى الدفاع عن حقوق الإنسان فى الإتحاد السوفيتى وشعوب شرقى أوروبا لماذا لا تفعل الشىء نفسه من أجل العربى الفلسطينى فهو أيضاً إنسان!

نحن نصارح الولايات المتحدة ومن يسير فى ركابها بإخلاص وصدق بأن السياسة التى تتبعها حاليا فى معالجة القضية الفلسطينية لا تؤدى إلى السلام. إنها ستطيل أمد المآسى للشعبين العربى والإسرائيلى فى فلسطين وتضر بمصالح الشعب الأمريكى فى الشرق الأوسط. وما لم تحل قضية فلسطين عاجلاً على أساس الحق والقانون وبروح الثقة والتفاهم ستبقى قنبلة موقوتة تنفجر يوماً ما فتهلك الحرث والنسل.

إن العرب قد أعربوا عن عزمهم على تحقيق السلام وضمان السلام لكل شعوب المنطقة فإذا كانت الولايات المتحدة جادة فى رغبتها فى إحلال السلام فى الشرق الأوسط فإن سبيل السلام واضح ومستقيم! ففى فلسطين شعبان عليهما أن يعترف أحدهما بالآخر وبحق الآخر على أساس الحق والقانون وعلى ضوء مقررات الأمم المتحدة. فعلى

الولايات المتحدة بوصفها عضواً هاما فى الأمم المتحدة أن تحمل إسرائيل على الانسحاب من الأراضى العربية المحتلة ومن ضمنها القدس العربية وأن تتسلم الأمم المتحدة الأراضى المحتلة حتى تتم مفاوضات السلام تحت راية الأمم المتحدة.

أما إذا امتنعت إسرائيل عن الاستجابة إلى الحق والقانون فالمأمول من الأمم المتحدة أن تهددها بإنزال العقوبات كما فعلت مع جنوب افريقيا وكما عاملها الرئيس أيزنهاور يوم تلكأت عن الجلاء عن سيناء بعد العدوان الثلاثى على مصر.

المسألة فى نظرنا لا تتطلب أكثر من سنة واحدة إذا صدقت النيات وتوفرت العزيمة.

هذه وجهة نظر عربى محب للسلام وداعية للتآخى بين بنى الإنسان على أساس الحق والعدل والإيمان.

وندعو الله أن يهدى المسئولين فى الولايات المتحدة إلى ما فيه الخير والحق والأمن لتحقيق السلام فى أرض المحبة والسلام.

رأيي في سياسة الاتحاد السوفياتي
إزاء القضية الفلسطينية

إن فلسطين اليوم تشبه برميل بارود عظيم يمكن أن يشتعل فيحرق الأخضر واليابس فى الشرق الأوسط فيهدد السلام العالمى ويمكن أن يفرّغ فيحل السلام والاطمئنان للجميع.

إن الجانب العربى أعلن أنه يريد السلام ويدعو إلى تفريغ البرميل والأمر الآن يتوقف على قرار إسرائيل التى يترأسها شامير وعلى الدولتين العملاقتين وما تتخذانه من قرارات ومواقف.

إن سياسة الاتحاد السوفياتى الجديدة فى فتح أبواب الهجرة اليهودية إلى فلسطين على مصراعيها وقدوم عشرات الآلاف من اليهود الى فلسطين شهريا ليحلوا فى الأراضى العربية المحتلة يشكل نارا حامية وفتيلا غليظا لإشعال البرميل. لا سمح الله!

وقد رأيت أن أبدى رأيا شخصيا فى سياسة الاتحاد السوفياتى إزاء القضية الفلسطينية كما خبرتها من ١٩٤٧ إلى يومنا هذا فأقول:

(١) عند بحث الجمعية العامة للأمم المتحدة قضية فلسطين سنة ١٩٤٧ اجتمع رؤساء الوفود العربية لبحث وسائل التغلب على اتخاذ قرار التقسيم لفلسطين. فاقترح الأستاذ فارس الخورى رئيس

الوفد السورى على الوفود العربية لتقف إلى جانب الاتحاد السوفياتى فى مشاريعه فى الأمم المتحدة لكى نكسب معارضة الكتلة الشيوعية لقرار التقسيم. أجبته إذا ضمنت لنا بأن الإتحاد السوفياتى يعارض التقسيم فأنا أتعهد بتأييد الاتحاد السوفياتى فى مشاريعه فى الأمم المتحدة، أيدنى الأمير فيصل بن عبد العزيز (رحمه الله) قائلا «أنا من رأى الدكتور فاضل». كلفنا الأستاذ فارس الخورى بأن يتصل بالسوفيات ويتفاهم معهم ويأتينا بالنتيجة.

لم تمض أيام عديدة على هذا الحديث وإذا بالمستر «غروميكو» يرتقى المنبر ويعلن تأييد الاتحاد السوفياتى مشروع التقسيم ومعه كل الكتلة الشيوعية وحمدت الله على أنى لم أتعجل فى العمل باقتراح الأستاذ فارس الخورى. ولا ننسى التسابق بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتى فى الاعتراف بإسرائيل ليلة إعلان تأسيسها سنة ١٩٤٨.

(٢) عرفت دوليا بأنى من المقاومين للشيوعية وهذا صحيح لأنى مؤمن بالله تعالى. ولكن مقاومتى للشيوعية هى للمبدأ وللعقيدة وليست للبشر الذين تربطنى بهم رابطة إنسانية. ولذلك فقد كان خصمى اللدود فى السياسة «المستر فيشنكى» (رئيس الوفد السوفياتى) صديقا لى إنسانيا واجتماعيا.

دعانى المستر فيشنكى ليلة إلى العشاء وبعد العشاء ونحن نتجاذب أطراف الحديث سألته: لما كانت الشيوعية تعتبر الصهيونية حركة رجعية استعمارية عنصرية بورجوازية إلى غير ذلك (وكنت قد قرأت كتابا نشر فى الاتحاد السوفياتى حول الصهيونية هو من أصدق ما قرأت حولها) كيف ولماذا قمتم بتأييدها ودعمها فى فلسطين؟ ابتسم وقال لا أستطيع إجابتك عن هذا السؤال. ففى الحقيقة التقسيم لم يكن ليحصل على النصاب القانونى لولا أصوات الاتحاد السوفياتى وأتباعه.

أما الدوافع لاتخاذ الاتحاد السوفياتى هذا ففى رأيى تتلخص فى:

(أ) رؤية الاتحاد السوفياتى أن تقسيم فلسطين سيحدث شرخا فى العلاقات بين الغرب والأمة العربية وهذا يخدم أغراضه.

(ب) أن هذا الشرخ سيوفر مجالا للاتحاد السوفياتى ليتدخل فى شئون الشرق الأوسط.

(جـ) أسس أخى وصديقى الأستاذ أحمد الشقيرى صلات حميمة وعلاقات تعاون مع الوفد السوفياتى إلى الأمم المتحدة يوم كان يمثل سوريا فى المنظمة. ولما تولى رئاسة منظمة التحرير الفلسطينية (فتح) دعاه المستر خروتشيف إلى الاتحاد السوفياتى وحل ضيفا عليه فى منزله على البحر الأسود. ولما عاد من الاتحاد السوفياتى وجاء إلى تونس زارنى فى دارى فتجاذبنا أطراف الحديث سألته: «قل لى يا أحمد ما الذى حصلت عليه من

الاتحاد السوفياتي لأجل القضية الفلسطينية؟» أجابني أنهم سيؤيدوننا في قضيتنا.

قلت له: تأييد مادي أو معنوي فقط؟ بالكلام أم بالفعل؟ قال لي: «تأييد كامل».

قلت: إذا وقعت حرب بيننا وبين إسرائيل هل سيدخل السوفيات إلى جانبنا إذا احتجنا إلى ذلك؟ قال لم أحصل على وعد لهذا. قلت له: لكن الولايات المتحدة ستتدخل عسكريا لمساعدة إسرائيل فيما إذا احتاجت إسرائيل ذلك. كان ذلك سنة ١٩٦٤ على ما أتذكر.

(د) لما حلت النكبة بالأمة العربية في حرب ١٩٦٧ وضاعت كل فلسطين وسيناء (من مصر) والجولان من سوريا وقف الاتحاد السوفياتي إلى جانب الحق العربي وقطع علاقاته السياسية مع إسرائيل واقتدت به كل الدول الشيوعية التابعة له (باستثناء رومانيا) وأصبحت المواقف السوفياتية إزاء القضية الفلسطينية مستجيبة حقا لمقررات الجمعية العامة للأمم المتحدة وتأسست علاقة إيجابية بين الاتحاد السوفياتي ومنظمة التحرير الفلسطينية الأمر الذي استغلته إسرائيل فأدخلت في روع الولايات المتحدة أن منظمة التحرير الفلسطينية منحازة إلى المعسكر الشيوعي وأنها منظمة إرهابية وقد تأثرت الولايات المتحدة بهذه الدعاية تأثرا عميقا. فاستغلت إسرائيل هذا التأثر الأمريكي وحصلت على

دعم مالى وعسكرى وسياسى. كما تعاقدت مع الولايات المتحدة تعبويا (استراتيجيا) وأصبحت الحليف المفضل للولايات المتحدة فى الشرق الأوسط وبذلك يكون العطف السوفياتى على القضية الفلسطينية قد خدم إسرائيل أكثر مما أضرها.

(هـ) لما جاء غورباتشوف إلى مركز القيادة السوفياتية كانت الهجرة اليهودية من الاتحاد السوفياتى إلى إسرائيل قد بلغت الحضيض وكان أكثر المهاجرين يقصدون الولايات المتحدة وليس إسرائيل. وإن سياسة التفتح التى جاء بها غورباتشوف فتحت أبواب الهجرة اليهودية من الاتحاد السوفياتى على مصراعيها فقيدت الولايات المتحدة دخول المهاجرين إليها فاتجه سيل الهجرة إلى إسرائيل. وها هى إسرائيل تستعد اليوم لاستقبال مئات آلاف المهاجرين. وها هو شامير يصرح بضرورة الاحتفاظ بالأرض المحتلة وتحقيق إسرائيل الكبرى ليتسنى لليهود القادمين من الاتحاد السوفياتى أن يملأوها. ويطلب من العرب أن يعرفوا هذه الحقيقة وأنه سيحارب من أجلها!.

احتج الاتحاد السوفياتى على تصريحات شامير هذه ولكن العرب لا يكتفون بالاحتجاج إنهم ينتظرون من الاتحاد السوفياتى تعليق الهجرة حتى يتحقق السلام فى الشرق الأوسط وأن يعطى حق العودة للفلسطينيين النازحين عن وطنهم وأن تكون لهم الأولوية

فى العودة قبل أن يؤتى باليهود من الاتحاد السوفياتى. ذلك إذا كان الاتحاد السوفياتى جادا فى مساعيه من أجل السلام فى الشرق الأوسط.

والمأمول من الدول العربية الصديقة للاتحاد السوفياتى ومن الدولة الفلسطينية على الأخص أن تصارح الاتحاد السوفياتى بالخطر المحدق بالحق العربى وبالسلام فى الشرق الأوسط من جراء سياسة الهجرة غير المحدودة لليهود من الاتحاد السوفياتى إلى فلسطين. والله هو الناصر والمعين.

تورط غورباتشوف
فى تهجير اليهود من الاتحاد السوفيتى

السيد غورباتشوف رئيس الاتحاد السوفياتى احتل موقعه الممتاز فى تاريخنا المعاصر. ما فى ذلك شك. إنه بفكره الثاقب وشجاعته الأدبية اقتنع واستطاع أن يقنع العالم الشيوعى فى الاتحاد السوفيتى بأن ممارسات النظام الماركسى الستالينى الذى قاست منه شعوب الاتحاد السوفيتى ما قاست من ضروب العذاب والكبت والحرمان وسفك الدماء لم يعد صالحاً أو محتملاً فى عصرنا هذا. إنه نظام لا إنسانى يرجع بالبشرية إلى عهود الظلام والجاهلية ويذكرنا بقول الخليفة عمر ابن الخطاب (رضى الله عنه) «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً».

لقد جاء الرئيس غورباتشوف بسياسة «الانفتاح» و «إعادة البناء» وبدأ بتحرير المجتمعات السوفيتية وتكسير القيود الحديدية التى قيدت بها قيداً بعد قيد. لم تكن العملية سهلة ولم تخل من مشكلات ومضاعفات ولكنه عالجها بحكمة وجرأة وتبصر.

إن هذا الإنسان المتفتح إرتأى أن المصلحة والمنطق يتطلبان التفاهم مع الولايات المتحدة الأمريكية على إنهاء الحرب الباردة وعلى نزع السلاح

على مراحل وتخفيف العبء المالى المتعاظم الذى يتطلبه التسلح الحديث. ثم الحصول على تسهيلات تجارية وقروض مالية تسهم فيها الولايات المتحدة. بدأ الاتصال الإيجابى المتكرر بينه وبين رئيس الولايات المتحدة ريغين ثم بوش وهنا وجدت إسرائيل فرصتها الذهبية إنها من جهة حملت الولايات المتحدة على جعل الهجرة اليهودية من الاتحاد السوفياتى شرطاً ملازماً لكل تفاهم بين العملاقين بحجة أن حقوق الإنسان تتطلب الاعتراف بحق الحرية فى الخروج لأى فرد. ومن جهة ثانية أفهمت الاتحاد السوفيتى بأنها ستكون عوناً له فى الحصول على المساعدات الأمريكية فيما إذا فتح باب الهجرة على مصراعيه لليهود السوفييت. وهنا تورط السيد غورباتشوف فقبل مبدأ حرية الخروج لليهود السوفييت غير مدرك بأن الهجرة هذه ليست لممارسة حقوق الإنسان اليهودى كما هو ظاهر بل هى لسلب حق الإنسان العربى الفلسطينى فى الشوط البعيد. بدأ اليهود السوفييت بالهجرة إلى الولايات المتحدة (على الأغلب) فى بادئ الأمر وبذلك يقوى النفوذ الصهيونى فى الكونغرس الأمريكى وتزداد المساعدات التى تحصل عليها إسرائيل من يهود أميركا. ولما حددت الولايات المتحدة الهجرة اليهودية إليها اتجه سيل المهاجرين من اليهود السوفييت إلى فلسطين لتقوية إسرائيل وحملها على التوسع فى استيطان الأراضى العربية المحتلة. إنها عملية سياسية استعمارية مفضوحة لا تمت إلى مبدأ

حقوق الإنسان إلا ظاهرياً. إنها طعنة نجلاء فى عملية إحلال السلام فى الشرق الأوسط.

إن يهود الإتحاد السوفيتى هم من أقدم القوميات التى يتكون منها الاتحاد السوفيتي وكانت «بيروبيجان» مخصصة لتكون جمهورية يهودية فى الاتحاد السوفيتي. ثم إن أكثريتهم ليست من عنصر سام إنهم من قبائل الخزر «التى اعتنقت الديانة اليهودية» وبما إنهم ليسوا من نسل إبراهيم (عليه السلام) فعلاقتهم بفلسطين لا تختلف عن علاقة الهندى المسلم بالبقاع المقدسة الإسلامية. له أن يزورها لا أن يستولى عليها. ولكن الصهيونية الاستعمارية هى التى عملت على قلع هؤلاء اليهود من جذورهم فى الاتحاد السوفيتي لتحقيق مآربها التوسعية كما فعلت مع العديد من الجاليات اليهودية فى العالم. متخذة من اللا سامية حجة ومبرراً لترحيلهم عن أوطانهم.

ما زلت أتذكر أن جريدة «النيويورك تايمس» نشرت مقالاً قبل ما يزيد على العشرين سنة يشكو من اضطهاد اليهود فى الاتحاد السوفيتى مع أن بعض رجال الحكم المتنفذين آنذاك كانوا من اليهود فوجهت رسالة إلى الجريدة أسألها وما حال المسلمين فى الاتحاد السوفيتى وهل هم أحسن حالاً من اليهود؟ فجاءنى الجواب بأنى على حق وأنهم سيعالجون قضية المسلمين فى المستقبل.

فالحقيقة هى أن قضية اللا سامية فى الاتحاد السوفيتى أمر مبالغ فيه وأن معاملة الاتحاد السوفيتى للمواطنين كانت قاسية لليهود وغير اليهود

على السواء. ولكن الصهيونية العالمية تستغل نفوذها فى مراكز صنع القرار فى الولايات المتحدة ولا سيما فى الكونغرس الأمريكى فتحمل الاتحاد السوفيتى على فتح باب الهجرة على مصراعيه وإلا فالتعامل الاقتصادى معها يتضرر.

إن السيد غورباتشوف قد تورط ورطة عظيمة فى قضية الهجرة اليهودية. ولكن الورطة الأعظم هى وقوعه فى تناقض بين فتح باب الهجرة لليهود بالخروج من الاتحاد السوفيتى وبين ممانعته «لتوينيا» من نيل استقلالها. إذا كانت القومية اليهودية قد قررت مغادرة الاتحاد السوفيتى وسمح لها بذلك فما هو المنطق الذى يستند إليه السيد غورباتشوف فى منع القوميات الأخرى من مغادرة الاتحاد السوفيتى. فهناك قوميات البالطيق وهناك قوميات اقتطعت من الدولتين العثمانية والإيرانية فى العهود القيصرية قد تطالب باستقلالها والخروج من الاتحاد السوفيتى أليس سماحه للهجرة اليهودية بدون قيد أو شرط سابقة تبرر مطالبة الشعوب الراغبة فى الاستقلال بأن تحصل عليه حالاً؟ ثم إن السيد غورباتشوف شرح قواعد الانفصال التى تطبق على كل قومية تريد الانفصال مدة زمنية واستفتاء. لِمَ لم يطبق هذه القوعد على القومية اليهودية؟ فيؤجل مشروع الهجرة اليهودية خمس سنوات ويجرى استفتاء؟

نحن نرجو للسيد غورباتشوف الخروج من ورطته والنجاح فى مهمته على أسس الحق والعدل للجميع.

للدرس والتأمل:
أبعاد الهجرة اليهودية إلى فلسطين

إن تدفق الهجرة اليهودية من الاتحاد السوفيتى إلى فلسطين يشغل بال الواعين من أبناء الأمة العربية ويقلقهم فى هذه الأيام. وهو الموضوع المهم الذى سيتناوله اجتماع القمة العربية فى بغداد فى أواخر هذا الشهر (ماى ١٩٩٠). ولذلك فمن الضرورى أن يكون ساسة العرب ومفكروهم على اطلاع شامل على المخطط الصهيونى وراء تهجير اليهود لأنه يستهدف البلاد العربية كلها. وليست فلسطين سوى قاعدة العمل الصهيونى فى العالم العربى من مشرقه إلى مغربه ثم فى العالم أجمع.

إن الهجرة اليهودية الى فلسطين مرت فى مراحل عدة:

أولها: فى العهد العثمانى حين أنشئت بعض المؤسسات الخيرية ثقافية وزراعية بدوافع إنسانية ودينية.

ثانيها: فى عهد الانتداب البريطانى الذى جاء لتحقيق تصريح بلفور الذى بموجبه ساعدت بريطانيا تأسيس الوطن القومى لليهود فى فلسطين. تعالت احتجاجات العرب بدون جدوى وبعد مجيئ هتلر إلى الحكم فى ألمانيا سنة ١٩٣٣ تدفق سيل المهاجرين

اليهود إلى فلسطين قامت الثورة الفلسطينية الباسلة سنة ١٩٣٦ . تلك الثورة التى حملت بريطانيا على إصدار الكتاب الأبيض سنة ١٩٣٩ . وضع الكتاب الأبيض حداً للهجرة اليهودية فجعلها خمسة وسبعين ألفاً تقسم على خمس سنوات يدخل فلسطين خمسة عشر ألف مهاجر فى السنة ثم تقف. لم يرض الكتاب الأبيض العرب ولا اليهود.

ثالثها: فى الحرب العالمية الثانية استغل الصهاينة مظالم هتلر ومذابحه فحملوا حملة شعواء على الكتاب الأبيض الذى حدد هجرة اليهود إلى فلسطين فتحدوه بالهجرة غير الشرعية. وخططوا لتأسيس إسرائيل كدولة ونجحوا فى إقناع الرئيس ترومان (رئيس الولايات المتحدة) وعددا من ساسة أميركا وأوروبا المتنفذين بأن يؤيدوا خططهم.

قام جدل حاد بين المستر بيفن (وزير خارجية بريطانيا) والمستر ترومان (رئيس الولايات المتحدة) حول الهجرة اليهودية من أوروبا إلى فلسطين. فالرئيس ترومان دعا إلى فتح أبواب فلسطين للهجرة اليهودية بدون تحديد. والمستر بيفن الذى كان يتحلى بالإنصاف والواقعية كان يصرح بأن فلسطين لا تتحمل حل المشكلة اليهودية فى العالم ولعرب فلسطين حقهم فى الحياة الحرة الكريمة فى وطنهم. دام الصراع نحو السنتين انتهى بتغلب أميركا فأحيلت قضية فلسطين على الأمم المتحدة وقسمت

فلسطين وارتفع عدد اليهود فيها إلى ما يزيد على الثلاثة ملايين. وفى الوقت نفسه نزح نحو المليون عربى من فلسطين بسبب المذابح والإرهاب الذى ارتكبته العصابات الصهيونية. وقد تضاعف عدد النازحين منذ تأسيس إسرائيل إلى اليوم بسبب الولادات والإبعاد الذى تمارسه إسرائيل لسكان البلاد المحتلة.

رابعها: المرحلة التى نعيشها اليوم وقد استطاعت الصهيونية العالمية بمساعدة الدول الغربية أن تتغلب على قوة عظمى هى الاتحاد السوفيتى فتحمله على فتح أبوابها لهجرة اليهود السوفييت من وطنهم إلى الخارج موجهة إياهم إلى فلسطين حتى ولو لم يختاروا هم الهجرة إلى فلسطين. كل ذلك بحجة حقوق الإنسان! والهدف الإسرائيلى وراء هذه الهجرة هو ضم الأراضى العربية المحتلة إلى إسرائيل وإسكان اليهود القادمين فيها وإبعاد عرب فلسطين الحاليين إلى الوطن البديل (الأردن) والبلاد العربية المجاورة. إن القمة العربية إنما تجتمع لتبحث عن السبل لإحباط هذا الاستيلاء الجديد. ولكن هذه المرحلة الخطيرة للهجرة الإسرائيلية ليست الأخيرة كما قد يظن البعض. فالمرحلة الخامسة (القادمة) أعظم خطراً.

خامسها: وهى التى لم يعلن عنها بعد وهى خطة مستقبلية تأتى بعد الانتهاء من تهجير اليهود من الاتحاد السوفيتى والاستيلاء

على الأراضى العربية المحتلة نهائياً. والخطة هى نقل ملايين اليهود فى أميركا إلى المشرق العربى. ففى وسع الصهيونية العالمية أن تأتى بخمسة ملايين من يهود أميركا إلى المشرق العربى من دون عائق. فقد تأتى بالعلماء والتقنيين ورجال المال والعسكريين ورجال الدين المتعصبين (من أمثال الحاخام كاهانه) وإذ ذاك تشرع بتنفيذ حلمها القديم: «إسرائيل الكبرى» من النيل إلى الفرات. وإذ ذاك تتمكن من هدم المسجد الأقصى وإقامة هيكل سليمان.

لقد وقفت شخصياً على هذه الخطة المستقبلية للصهيونية العالمية سنة ١٩٤٧ بعد صدور قرار الأمم المتحدة غير الشرعى بتقسيم فلسطين. ففى جدل ونقاش ثنائى بينى وبين الحاخام نيومان (وكان من أقطاب الصهيونية آنذاك) صارحنى بقوله سيأتى اليوم الذى تطغى فيه «اللا سامية» فى الولايات المتحدة فنضطر نحن يهود أميركا إلى الهجرة إلى إسرائيل.

واللا سامية هذه أحبولة تستخدمها الصهيونية لتحقيق مآربها متى شاءت وحيثما شاءت. فباسم «اللا سامية» و «حقوق الإنسان» يجرى تهجير اليهود من الاتحاد السوفيتى. إذن فليتوقع العرب الهجرة المقبلة من الولايات المتحدة فى المستقبل القريب أو البعيد. ففى وسع الصهيونية دوماً أن تخلق الظروف التى يحصل فيها اعتداء على اليهود بتدبير

صهيونى لتحقيق مصلحة صهيونية أكبر. كما حصل فى تهجير اليهود من العراق.

ما مصير الفلسطينيين أصحاب البلاد الشرعيين؟

إن إسرائيل (ومن ورائها بريطانيا والولايات المتحدة) عملت وتعمل على تناسى حق الفلسطينيين النازحين بالعودة إلى وطنهم وإسرائيل تنكره وتسحقه علانية وصراحة.

وقد سبق أن تقدمت الولايات المتحدة باقتراح إلى الأمم المتحدة يقضى بإسكان اللاجئين الفلسطينيين نهائياً فى العراق والدول العربية الأخرى. وبذلك تصفى قضيتهم وينتفى حق العودة. كان ذلك فى أوائل الخمسينيات من هذا القرن. فانبرى كاتب هذه السطور للمندوب الأميركى الأستاذ فيليب جسب مذكراً إياه بالمادة الثانية من ميثاق الأمم المتحدة التى تنص على عدم صلاحية المنظمة الدولية فى التدخل فى الشئون الداخلية لعضو من أعضائها. ولما كان أمر قبول أو رفض من يدخل العراق أو يخرج منه أمراً داخليا. فالاقتراح الأميركى مناف للميثاق. ولما كان الأستاذ «جسب» أستاذاً فى القانون الدولى اعترف بصحة الاعتراض وسحب الاقتراح بدون تردد. وبقيت الجمعية العامة تؤكد حق العودة للنازحين سنة بعد سنة. ولكن إسرائيل تتحدى هذا الحق وتقاومه بالقوة. فقانون «العودة» الإسرائيلى يمنح أى يهودى فى العالم الحق بأن يأتى إلى فلسطين ويحصل على المواطنة. أما ابن فلسطين الشرعى فلا يحق له أن يعود إلى وطنه. ومع ذلك فبعض

الساسة فى الولايات المتحدة يريدون من العالم أن يصدق بأن إسرائيل لا تمارس التمييز الدينى أو العنصرى.

وها هى كتلة «الليكود» التى تحكم إسرائيل اليوم تنوى الاستيلاء على الأرض المحتلة نهائياً وإبعاد من تبقى من العرب على أرض فلسطين إلى الأردن (الوطن البديل) ليحل محلهم اليهود القادمون من الاتحادالسوفيتى.

هذا وإن ما حلّ بعرب فلسطين قد يحل بعرب الأقطار المجاورة (خذوا لبنان مثلاً) فيما إذا بدأت المرحلة الخامسة (أى التهجير من الولايات المتحدة) لتحقيق حلم إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات.

الموقف العربى الراهن:

تجابه الأمة العربية اليوم وضعاً عالمياً خطيراً يلقى على رؤساء دولها مسئولية تاريخية ثقيلة. فالوضع يتطلب التفكير العميق والعمل الجادّ والتضحيات اللازمة. ونحن نرى اختيارات ثلاثة لا بد للرؤساء العرب من اختيار أحدها:

الاختيار الأول: ترك الأمور على ما هى عليه اليوم. والسماح للصهيونية أن تسحق الانتفاضة وفسح المجال أمام إسرائيل لتعبث بشئون الشرق الأوسط وتستولى على اقتصادياته ومياهه ومقدساته مستفيدة من النزاعات والخلافات وتشجيع من يمشى فى ركابها بالمساعدات ومن يعارضها بالتهديد والحرمان والعزلة فى العالم الغربى. وهذا هو اختيار الاستسلام.

الاختيار الثانى: التمسك التام بالشرعية الدولية والمطالبة بتحقيق مقررات الأمم المتحدة وحقوق الإنسان للفلسطينيين بدون تسامح أو تهاون والاستعداد لممارسة حق الدفاع عن النفس. وهذا يتطلب الاتحاد والاستعداد من قبل الأمة العربية والعالمين الإسلامى والمسيحى دفاعاً عن الحق وعن المقدسات. لو اختار العرب هذا الطريق وكانوا جادين فيه لتحقق السلام من دون سفك دماء على ما نعتقد. فهل تقر القمة العربية هذا الاختيار؟

الاختيارالثالث: هو اللقاء والتفاهم الصريح مع قادة الصهيونية العالمية وقادة الساسة الغربية (ولا سيما الولايات المتحدة) من موقف قوة (لا موقف استعطاف) لتحقيق سلام عادل وشامل فى الشرق الأوسط على أساس التعايش بين العرب واليهود فى فلسطين فى دولتين. وتحديد الهجرة اليهودية إلى فلسطين. وتوجيه الهجرة اليهودية من الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة إلى دولة يهودية ثانية تؤسس فى الولايات المتحدة أو كندا أو استراليا. ليسود الشرق الأوسط السلام وتحل المشكلة اليهودية نهائيا فى كل أنحاء العالم.

وأخيراً نقول لا بد من وقفة عربية حازمة وحاسمة تتمسك بالحق والإنصاف والكرامة. تؤدى إلى سلام عادل دائم لأبناء جميع الأديان والأقوام فى الشرق الأوسط.

الإنسانية المعذبة
تستعيذ بالله من شر إسرائيل

لقد دأبت الدعاية الصهيونية منذ صدور وعد بلفور سنة ١٩١٧ إلى يومنا هذا على الادعاء بأن الدولة اليهودية فى فلسطين تحمل العلم والتقنيات والرقى والرفاهيةإلى الشرق الأوسط. واستخدمت وسائل الإعلام والتثقيف الغربى بنجاح فى نشر هذه الفكرة. ترى كم فى هذه الدعاية من صدق ومن واقع؟

ها نحن فيما يلى نشير بإيجاز إلى نماذج من السلوك الإسرائيلى المعاصر:

(١) من الأدواء الخبيثة التى تعانى منها البشرية فى عالمنا المعاصر داء تعاطى المخدرات. والدول التى تعنى بسلامة أبنائها تكافح هذا الداء الوبيل بكل قوة. لقد حملت الإذاعات والصحف أخيرا أنباء العدوان المسلح الذى تقوم به عصابة المخدرات على رجال الأمن والقضاء فى جمهورية «كولمبيا» الأمر الذى حمل رئيس الجمهورية على اتخاذ مواقف حازمة فى مكافحة هذه العصابة. وحكومة الولايات المتحدة الأميريكية بدورها تعهدت بمد جمهورية «كولمبيا» بما تحتاج إليه من مساعدات للقضاء على

هذه العصابة: ذلك لأن الولايات المتحدة هي البلد الذى تهرب
إليه المخدرات بالدرجة الأولى. والطريف فى هذه القضية هو
افتضاح أمر الضباط الإسرائيليين الذين قاموا بتدريب أفراد هذه
العصابة على أساليب الإرهاب والقتل. فإسرائيل تصدر ضباطها
(المتقاعدين عادة) إلى بلاد أميركا اللاتينية وأفريقيا لتدريب أبناء
هذه البلاد على الفنون الحربية وحرب العصابات لقاء أرباح مادية
وتغلغل اقتصادى وسياسى سواء أكان ذلك بعلم من الولايات
المتحدة الأمريكية وبتأييد منها أو بدون علمها ومناقضا لسياستها
أو ضارا بمصالحها. فقد أصبح معروفاً اليوم أن للإسرائيليين دوراً
فى الاتجار بالمخدرات وتهريبها فى الشرق الأوسط وفى غربى
أوروبا وفى أميركا اللاتينية.

(٢) إن إسرائيل اليوم أصبحت مصدراً مهما للأسلحة إلى العديد من
بلاد أفريقيا وأميركا اللاتينية فهى تمارس الاتجار بالسلاح على
نطاق عالمى. كما أنها تتولى تدريب أبناء بعض الدول الإفريقية
وأميركا اللاتينية على الفنون العسكرية. كما أنها تغذى الحروب
الإقليمية والمحلية فى الشرق الأوسط وأفريقيا إذا كان فى ذلك
كسب مادىّ أو سياسى تحصل عليه. فدورها فى إدامة الحرب
العراقية ـ الإيرانية يحتاج إلى بحث وتحقيق فإن فضيحة «إيران
جيت» تورط الولايات المتحدة فيها باقتراح ودفع من مصدر
إسرائيلى أصبح معروفاً. ودورها فى تغذية الحرب الأهلية فى لبنان

معروف. أيضاً. ودورها القديم فى الحبشة حيث أسهمت فى دعم وتسليح الجيش الأثيوبى ضد الحركة الوطنية الأريترية معروف أيضاً. وكذلك دورها فى «كونغو كنشاسا» وغيرها وغيرها. وبكلمة مختصرة فإن اسرائيل اليوم هى دولة حرب ودولة سلاح. إنها تمثل سبارطة أكثر من تمثيلها أثينية.

(٣) إن الاستخبارات الإسرائيلية (الموساد) وما تقوم به من تجسس ودسّ وتشويش فى السياسة الدولية وما ترتكبه من اغتيالات وخطف للأشخاص لم تنج منه دولة من الدول التى تدخل فى نطاق المخططات الإسرائيلية. فالأمة العربية لا تنسى العديد من أبنائها الشهداء الأبرار الذين اغتالتهم إسرائيل فى لندن وباريس وروما وأوسلو وبيروت وأخيراً وليس آخراً «أبو جهاد» فى تونس. الموساد متغلغل فى كل الأقطار العربية! والبريطانيون يتذكرون ولا شك مساهمة إسرائيل فى وضع وزير سابق من نيجيريا فى صندوق قصد شحنه فى طائرة من لندن إلى بلاده ليواجه عقوبة الإعدام. وقد اكتشف الأمر فى المطار وأنقذ الوزير. أما قيام «الموساد» بخطف كاشف أسرار «القنبلة الذرية الإسرائيلية» مردخاى ڤانونو فهو إنجاز رائع من إنجازات الاستخبارات الإسرائيلية. إنهم استدرجوا ڤانونو فجعلوه ينتقل من لندن إلى روما وهناك اختطفوه وحملوه إلى إسرائيل حيث حوكم سرياً وزج به فى السجن.

والغريب فى الأمر أن الولايات المتحدة (حليفة إسرائيل ووليّة نعمتها) هى نفسها لم تنج من التجسس الإسرائيلى فمع أن إسرائيل مطلعة على الكثير من أسرار أميركا العلمية والتقنية والاستراتيجية ولها من يمثلها فى شتى مواقع صنع القرار فى الحكومة الأمريكية فإنها لم تكتف بذلك بل لها من يتجسس على حسابها فى الولايات المتحدة ذاتها.

هذا وإن العديد من الدول الآسيوية ومن ضمنها إيران وتركيا وباكستان والهند والصين واليابان لم تسلم من أعمال التجسس الإسرائيلى وألاعيبه. فإسرائيل اليوم تعد فى مقدمة الدول البارعة فى التجسس وفى إثارة الفتن والخلافات التى تخدم مصالحها.

(٤) لقد قامت إسرائيل وما زالت تقوم باعتداءات مستمرة على جيرانها. فإلى جانب الحروب العديدة التى افتعلتها منذ تأسيسها الى يومنا هذا فإنها تقوم باستمرار بخرق السيادة الجوية للأقطار العربية المجاورة. فلم ننس خرق الأجواء العربية لقصف المفاعل النووى العراقى قرب بغداد. كما أنها اعتدت على السيادة التونسية بقصف منظمة التحرير الفلسطينية فى تونس واغتالت الشهيد «أبو جهاد». أما عدوانها على سيادة لبنان فهو تحد صريح لسيادة هذا البلد الجريح. فهى تغزوه جواً وبراً وبحراً باستمرار. وتحتل جنوب لبنان متحدية كل القرارات والأعراف الدولية. ثم إنها تحتل عنوة جزءاً من الوطن السورى «هضبة الجولان».

(٥) إنها تمارس أبشع أساليب الاستعمار فى فلسطين المحتلة وجنوب لبنان. فلا يمر يوم دون أن نسمع عن استشهاد عدد من الفلسطينيين الأحرار وجرح العشرات على أيدى الجيش الإسرائيلى وقد عرف العالم كله سياسة القتل والسجن وهدم البيوت وإبعاد المواطنين وتجهيل الناشئة التى تتبعها إسرائيل فى البلاد المحتلة. إنها تطبق قوانين استعمارية بالية وضعها الإنجليز قبل أن يوضع ميثاق الأمم المتحدة وتصاغ لائحة الإعلان العالمى لحقوق الإنسان. فإسرائيل اليوم تمارس سياسة استعمارية كان المفروض أن تزول من الوجود بعد الحرب العالمية الثانية وبعد صدور ميثاق الأمم المتحدة والإعلان العالمى لحقوق الإنسان.

(٦) إن ممارسة بعض الأحزاب الإسرائيلية التعصب القومى أو الدينى تسبب ردّ فعل سلبى فى العالمين الإسلامى والمسيحى فلا المسلمون ولا المسيحيون يتقبلون الاعتداءات الإسرائيلية على حقوقهم الدينية ومقدساتهم. كما أن التمييز الدينى بين اليهودى وغير اليهودى والتمييز العنصرى بين اليهودى الشرقى واليهودى الغربى لمن الأمور التى يرفضها المجتمع المتمدن الحديث. فإسرائيل فى هذا الصدد تضاهى جنوب أفريقيا وتفوقها فى التعصب الدينى. إن احتواء اسرائيل الحاخام «كاهانه» وأمثاله من المتعصبين يجعلها فعلا فى مصاف الأمم الرجعية المتعصبة دينياً. ولا ندرى لم لا تبعد حكومة إسرائيل الحاخام وأمثاله من الدخلاء إلى بلادهم التى أتوا منها وهم يخلّون بالأمن والسّلام باستمرار ويزرعون

العداوة والبغضاء بين أبناء الأديان السماوية، في الوقت الذي تبعد فيه عرب فلسطين أبناء البلد الشرعيين المطالبين بحقهم في الحياة الحرة في وطنهم فلسطين. وهنا أيضا تتجلى سياسة اسرائيل المؤسسة على التمييز العنصري والديني.

(٧) إن حكام إسرائيل منوا بالغطرسة والاستعلاء وحبّ التوسع والاستيلاء. فهم يدسون أنوفهم في كل ما تقوم به الدول العظمى إزاء الدول العربية عامة ومنظمة التحرير الفلسطينية خاصة. فهم يعترضون على كل من الولايات المتحدة وألمانيا وفرنسا وبريطانيا فيما إذا قررت إحدى هذه الدول بيع أجهزة حربية للبلاد العربية أو فيما إذا استقبلت هذه الدول ممثلاً لمنظمة التحرير الفلسطينية. إن إسرائيل هي الدولة الوحيدة في العالم الذي استثمرت مظالم «هتلر» بعد الحرب العالمية الثانية سواء أكان ذلك بتأسيس دولة إسرائيل أو بالحصول على التعويضات من ألمانيا الغربية والعطف والمساعدات من الدول الأوربية الغربية. ولكنها ما زالت تستخدم مظالم هتلر كوسيلة ابتزاز. فكل من يخالف اسرائيل ولا يستجيب لمطالبها يسلط عليه سيف «اللا سامية» كما حصل لرئيس جمهورية النمسا الدكتور كورت ڤالدهايم وما هو حاصل للكاردينال البولوني «غلمب» حول دير الراهبات المنشأ في محرقة «اوشويتس» حيث أهلك العديد من اليهود والبولونيين.

إن حكام إسرائيل لا تعوزهم الصّلافة وقد تنقصهم الآداب الدبلوماسية والمجاملة فهم لا يراعون عواطف الغير ويمارسون الأنانية بقوة وإصرار أحياناً.

وأخيراً نقول: ها قد مرت ما يزيد على الأربعين سنة على تأسيس إسرائيل ماذا جنى العالم العربى خاصة والشرق الأوسط عامة من وجود إسرائيل؟ فهى اليوم تمثل أبشع أنواع الاستعمار إنها دولة تتاجر بالسلاح وبالإرهاب إنها دولة حروب وسفك دماء. إنها لا تريد السلام ولا تنشر السلام. ولا تعترف بمبادئ الحق والقانون. مع تسليمنا بوجود عناصر يهودية خيرة فى إسرائيل إلا أن هؤلاء لا يتمتعون بسلطة صنع القرار.

ولذلك فنحن ندعو الله تعالى أن يوفر لإسرائيل حكاماً يعرفون الخير والحق.

وإلى أن يتحقق ذلك ندعو الإنسانية المعذبة أن تستعيذ بالله من شرّ إسرائيل.

ونقول للولايات المتحدة: «اتق شرّ من أحسنت إليه».

لماذا لا يدعى مجلس الأمن لمعالجة : القضية الفلسطينية ؟

قلنا فى مقال سابق «إن مجلس الأمن تجاوز صلاحياته فى معاملة العراق» وفى هذا المقال نتساءل لماذا لا يدعى مجلس الأمن لممارسة صلاحياته فى معالجة القضية الفلسطينية؟ الجواب (على ما نعلم) هو أن إسرائيل لا تريد ذلك. ولماذا؟ لأنها تعلم حق العلم أنها معتدية على الحقوق العربية فى فلسطين وساحقة للشرعية الدولية فيها. وإن مجلس الأمن سوف يدينها لخرقها العديد من قراراته ورفضها الإذعان للشرعية الدولية. إنها تحتل من الأراضى ما تشاء وتخرق الأجواء وتدوس حقوق الشعب الفلسطينى ولا رادع ولا مانع. ولما كانت الولايات المتحدة ملتزمة بحماية إسرائيل والتغاضى عن عدوانها فإنها لا تريد ولا توافق على تقديمها لمجلس الأمن لكى لا تدان. وإذا قدمت شكوى على إسرائيل فى مجلس الأمن فالفيتو الأمريكى مهيأ لإنقاذها فى معظم الأحوال. ولما أصبح مجلس الأمن جهازاً بوليسياً حاسماً فى قضية الخليج تساءل العديد من قادة العرب إن كان المجلس سيقوم بمعالجة المشكلة الفلسطينية بالقوة وبالحسم الذى مارسه فى قضية الخليج؟ ولمنع مجلس الأمن من أداء هذه المهمة سارعت الولايات المتحدة

بالإعداد لمؤتمر سلام إقليمى تراعى فيه مصالح إسرائيل وع ـف إسرائيل بالدرجة الأولى. فقام وزير الخارجية الأمريكية بثمان سفرات مكوكية إلى الشرق الأوسط منذ انتهاء حرب الخليج وبذل جهوداً تدعو إلى الإعجاب فى جمع الشتات وتوحيد المتناقضات من أجل عقد مؤتمر سلام. وجاءت نتيجة الجهود محققة لشروط اسرائيل لعقد المؤتمر بدون شك وحاملة المسئولين العرب على الحضور (فى ظروف مهينة ومشينة بالحق العربى وبالكرامة العربية) راغبين أو مرغمين.

وها هى بعض النقاط التى تجلت فيها إرادة إسرائيل فى تنظيم المؤتمر:

(١) نزولا عند رغبة إسرائيل لم تدع منظمة التحرير الفلسطينية بوصفها الممثل الشرعى والوحيد للشعب الفلسطينى للمشاركة فى المؤتمر. وأهمل تمثيل الفلسطينيين النازحين فى المؤتمر.

(٢) نزولاً عند رغبة إسرائيل لن يبحث موضوع القدس ولا يحضر مندوبون فلسطينيون من سكان القدس فى المؤتمر مع إبداء أن «القدس» هى مفتاح السلام فى الشرق الأوسط وما لم تضمن حقوق المسلمين والمسيحيين فى القدس لن يتحقق سلام فى الشرق الأوسط.

(٣) لم تنجح الولايات المتحدة فى إيقاف إسرائيل عند حدّها ومنعها من غرس المستوطنات اليهودية فى الأراضى المحتلة. وكل ما فعلته

تأجيل ضمان الحكومة الأمريكية للقرض الإسرائيلى بمبلغ (عشرة آلاف مليون دولار) إلى بداية السنة القادمة ١٩٩٢. وهو المبلغ الذى تحتاجه إسرائيل لإيواء اليهود القادمين من الاتحاد السوفيتى فى فلسطين بما فيها الأراضى المحتلة. فالولايات المتحدة فى هذه الحالة تتغاضى عن مخالفة إسرائيل للقانون الدولى. كما أنها تهمل حق الفلسطينى بوطنه.

(٤) من الغريب أن يصرح السيد جيمس بيكر (وزير الخارجية الأمريكية) إن للأطراف المتعددة أن تفسر قرار مجلس الأمن (٢٤٢) كما تشاء فترك المجال مفتوحاً لإسرائيل أن تستولى على الأراضى العربية المحتلة لادعائها أن انسحابها من سيناء هو كل ما يفرضه عليها القرار ٢٤٢ وفى ذلك نسف للحق العربى فى وطنه ونسف لمبادئ الميثاق وقرار مجلس الأمن. إن قرار مجلس الأمن ٢٤٢ واضح كل الوضوح فى إلزام إسرائيل بالانسحاب من الأراضى العربية المحتلة أى «الأرض مقابل السلام» كما عبر عن ذلك الرئيس جورج بوش. وإن تفسير القرار (٢٤٢) (إذا احتاج القرار إلى تفسير) يعود إلى مجلس الأمن الذى أصدره وليس لأية سلطة أخرى. فتصريح وزير الخارجية السيد بيكر جاء إرضاء ورشوة لإسرائيل لتحضر المؤتمر ولكنه تصريح خطيرا.

(٥) قرأنا أخيراً تصريحاً لمسئول أميركي (كبير) يتحدث فيه عن أن مؤتمر السلام هذا يستهدف منح الفلسطينيين فى الأرض المحتلة حكما ذاتيا لمدة خمس سنوات يبحث قبل انتهاء المدة فى مصير الأرض المحتلة. وهذا ما ورد فى اتفاقية مخيم داود وهو ناسف لحق الفلسطينيين فى تقرير المصير وهو ما تريده إسرائيل. فهل أن المؤتمر (إن صح الخبر) وجد لعقد اتفاقية مخيم داود جديدة؟.

(٦) لقد أحسن السيد بيكر فى اختيار مدريد محلاً لانعقاد المؤتمر لسببين:

أولهما: لأن الحكومة الأسبانية هى دولة صديقة للجميع وأنها تحترم الشرعية الدولية فى القضية الفلسطينية

وثانيهما: لأن الاجتماع فى أسبانيا قد يذكر المسئولين العرب بالأندلس وكيف أضاعها العرب لما حصل بينهم من خلافات وتقاتل. وهم اليوم أمام ضياع فلسطين. فهل سيجعلون من فلسطين أندلس المشرق؟ أم سيعملون على إنقاذها؟

نرجو ألا يكون المسرح المهيأ للسلام فى مدريد مسرحاً للاستسلام. هذا ما ندعو القادة العرب الكرام للتفكير فيه. مع تقديرنا للمستر بيكر.

(٧) ومن أهمّ ما تطمح إليه إسرائيل وما حققه لها السيد بيكر هو تفتيت الصف العربى. فاشترطت إسرائيل أنها لن تتفاوض مع

«وحدة عربية» بل تريد التفاوض مع كل قطر على حدة مستغلة بذلك ضعف الدول العربية المنفردة. ولقد استجاب الجانب العربى مع الأسف الشديد لهذا المطلب الإسرائيلى. حتى سمعنا أن مسئولاً عربياً صرح بأن دور بلاده هو الوساطة وأنه وسيط وليس بطرف فى القضية الفلسطينية! لا ندرى إن صح هذا الخبر نرجو ألا يكون صحيحاً. لأنه إن صح يمثل مأساة قومية! فكل عربى حيثما كان هو طرف فى القضية الفلسطينية شعر أم لم يشعر.

إن هذه المقدمات تدل بصراحة على أن مؤتمر السلام هذا لم يستهدف تحقيق الشرعية الدولية وأن الولايات المتحدة لا تنوى إلزام إسرائيل بالشرعية الدولية فى حل المشكلة الفلسطينية. إذن فأى سلام يتحقق فى الشرق الأوسط من دون الشرعية الدولية؟ ولماذا المؤتمر؟ ولماذا تضيع الوقت والجهود لعقده؟

إذا كانت الولايات المتحدة جادة فى إحلال السّلام فى الشرق الأوسط فما عليها إلا أن تتعهد بتطبيق الشرعية الدولية والاعتراف بحق الفلسطينيين (كشعب) بوطنهم وبتقرير مصيرهم وتأسيس دولتهم بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعى والوحيد للفلسطينيين. أما إذا بقيت منحازة لإسرائيل ومغذية للعدوان الإسرائيلى على الشعب الفلسطينى وعلى الأرض الفلسطينية فلا سلام فى الشرق الأوسط. وما عقد المؤتمر فى مدريد إلا ضياع للوقت والجهود.

إن المقام الجديد الذى تحتله الولايات المتحدة فى قيادة العالم يستدعى اتخاذها موقفاً غير منحاز مبنياً على الشرعية الدولية فى قضية الشرق الأوسط. أما إذا عجزت أو ترددت فى تحقيق ذلك فاندفاعها المخلص نحو السلام يدعوها لإحالة قضية الشرق الأوسط على مجلس الأمن مجدداً ليقوم المجلس بفرض الشرعية الدولية على إسرائيل كما فرضها فى قضية الخليج. والمأمول من الولايات المتحدة آنذاك أن لا تستعمل حق النقض (الفيتو) فى القرارات التى تدعم الشرعية الدولية.

أما المهام التى تنتظر مجلس الأمن (إذا لم تقم الولايات المتحدة ذاتها بتحقيقها) فهى:

(١) إيقاف إسرائيل ومنعها من غرس المستوطنات اليهودية فى الأرض المحتلة فوراً وجلب الفلسطينيين المشردين خارج وطنهم ليسكنوا فيما أسس من مستوطنات فى الأرض المحتلة.

(٢) دعوة إسرائيل للانسحاب من الأراضى المحتلة (وفى مقدمتها القدس العربية) خلال شهرين. وقيام الأمم المتحدة بإدارة هذه البلاد حتى يتم التفاوض والإعداد لتأسيس دولة فلسطينية عاصمتها القدس.

(٣) عقد مؤتمر للشرق الأوسط تسوى فيه قضايا الأمن والاقتصاد ونزع السلاح.

(٤) تثقيف شعوب المنطقة بروح السلام والمساواة والإخاء بين أبناء العناصر والأديان والمذاهب فى الشرق الأوسط ومكافحة أحلام

التوسع والإستعلاء والاعتداء وشجب الحروب والانقلابات.
وتنمية الشعور بالعزة والكرامة واحترام حقوق الإنسان.

(٥) وضع ميثاق يضمن الحقوق المكتسبة للأديان السماوية الثلاثة فى فلسطين ويشجع التآخى والتسامح والتعارف بين أبناء الأديان.

المأمول من الولايات المتحدة وهى تبدى رغبة مخلصة لإحلال السلام فى الشرق الأوسط أن تدرك أن ذلك يتطلب إعادة نظر جذرية فى سياستها فى الشرق الأوسط على أساس تحريرها من النفوذ الصهيونى المعادى للعروبة والإسلام ونحن نأمل أن يهيئ المؤتمر المنوى عقده فى مدريد فرصة جديدة للولايات المتحدة لتعيد النظر فى سياستها فى الشرق الأوسط بحيث تعمل على إرساء الشرعية الدولية ومبادئ الحق والعدالة والإنصاف للجميع بدون تحيز أو محاباة!.

فلنصارح شعوبنا بالحقيقة
حول فلسطين

الحقيقة فى فلسطين كما نراها اليوم هى أن إسرائيل الشاميرية ـ الشارونية تسير بخطًى حثيثة فى اتجاه الاستيلاء على كل فلسطين وسحق الانتفاضة وطرد أو قتل أكبر عدد ممكن من السكان العرب الفلسطينيين.

إنها لا تعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية ولا بحق العرب فى إقامة دولتهم المستقلة على أرض فلسطين. والولايات المتحدة الأمريكية بدورها لم تعترف بالدولة الفلسطينية ولم تمنح رئيسها السيد ياسر عرفات سمة الدخول للولايات المتحدة لمخاطبة الجمعية العمومية ومجلس الأمن. كما أنها لا تعترف بحق الفلسطينيين بتأسيس دولتهم المستقلة على أرض فلسطين متجاهلة بذلك قرار الأمم المتحدة الغاشم الذى قسّم فلسطين إلى دولتين الواحدة عربية والأخرى يهودية مع تدويل منطقة القدس مع أن القرار هو من صنع أمريكى.

من المسئول عن هذا الوضع العربى المزرى والمؤسف فى فلسطين اليوم؟ المسئولية فى نظرنا عامة تشمل الشعوب والحكومات (ولا سيما الفئات المثقفة) على السواء. فالشعوب العربية وحكوماتها قد تجهل

المعلومات المطلوبة والحقائق الخفية حول ما تبيته الصهيونية وما تخطط له في الشرق الأوسط. ثم إن الشعوب والحكومات العربية يعوزها التوحيد والتنسيق والتخطيط والاستمرار فى تنفيذ سياسة تحسب حساب المستقبل. والنتيجة هى أن الوضع اليوم ينذر بأسوأ العواقب لا لفلسطين وحدها بل للأمة العربية مشرقها مغربها على السواء.

الوضع العربى المتردى هذا يرجع فى نظرنا إلى عوامل تاريخية وسياسة عديدة منها داخلية ومنها خارجية. نذكر على سبيل المثال لا الحصر العوامل التالية:

(١) ضعف عام فى التربية القومية والتقصير فى غرس الوعى القومى والدينى المتحرر. فشعوبنا لا تملك المعرفة الكافية بجغرافية وتاريخ أمتنا العربية. ولا بالأخطاء التى نواجهها فى الداخل والخارج.

(٢) ضعف فى بناء المناعة والقوة فى الأفراد وإعدادهم للخدمة والتضحية كما فعل آباؤهم حين قاموا بالكفاح والاستماتة فى سبيل تحرير بلادهم من الاستعمار.

(٣) عدم تبنى الدول العربية (إلا ماندر) القضية الفلسطينية باعتبارها قضيتهم الخاصة لها الأولوية فى علاقاتهم الدولية. فبعض الدول العربية عاملت وتعامل القضية الفلسطينية وكأنها قضية هامشية تذكرها تبركاً ولغرض سد الفراغ فى الخطاب السياسى. وهذا ما

فعله المرحوم الرئيس أنور السادات فى إتفاقية السّلام مع إسرائيل على ما يظهر.

(٤) تبديد القوى والإمكانات فى الخلافات والصراع فيما بين الدول العربية بدل توجيهها إلى صدر المعتدى فى فلسطين.

(٥) عدم ربط السياسة بالاقتصاد وعدم توجيه الاقتصاد العربى بحيث يكون فى خدمة القضية الفلسطينية. فالسياسة النفطية والتجارة الخارجية وشراء الأسلحة وإيداع الأموال العربية الفائضة فى الخارج كلها أسلحة اقتصادية كان المؤمل أن تكون فى خدمة السياسة العربية عامة والقضية الفلسطينية خاصة ولكن «المساومة» فى هذا الباب كانت ضعيفة إن لم تكن معدومة على ما يظهر ولاسيما مع الولايات المتحدة الأمريكية.

٦) التقصير فى قضايا الإعلام والتثقيف حول قضايانا العربية عامة والقضية الفلسطينية خاصة فى الغرب عامة والولايات المتحدة الأمريكية خاصة. فى واشنطن نحو العشرين سفارة عربية. تمنينا لو كانت لأمتنا العربية سفارة واحدة فى واشنطن وعشرين مركز ثقافى إعلامى يرأس كل مركز فى أنحاء الولايات المتحدة أستاذ عالم مؤمن بدرجة سفير.

(٧) التقصير فى الاستعداد لردّ العدوان والدفاع الشرعى عن النفس. لقد نسيت الدول العربية أن كلا من فلسطين ولبنان هما من أجزاء الوطن العربى وأن الاعتداء على أى منهما هو اعتداء على

الأمة العربية كافة. تستمر الاعتداءات منذ عشرات السنين على كل من فلسطين ولبنان والدول العربية لا تتحرك مع أن لديها مخزونات من الأسلحة. لو أراد عربى فلسطينى أن يعود إلى وطنه فإسرائيل تمنعه بالقوة ولو أراد العرب أن ينشئوا قرية عربية فى أرض إسرائيل المحتلة فلا شك أنها تمنعهم بالقوة. لماذا لا يمنع العرب دخول الإسرائيلى إلى الأرض العربية ولماذا سيسمحون بمجيئ اليهود من الاتحاد السوفيتى إلى فلسطين ويحرم الفلسطينيون النازحون فى لبنان أو الأردن من حق العودة. حقاً إنه قصور وتقصير عربى فى حياة أمتنا ونقطة سوداء فى تاريخها.

(٨) إن الدول العربية الداعية إلى السلام تشكو وتتظلم إلى الشرق وإلى الغرب من العدوان الإسرائيلى وتأمل من هذه الدول أن تعيد للعرب حقهم وكرامتهم فى فلسطين والبعض من دولنا العربية علقت كل آمالها على الولايات المتحدة لتحل لنا السلام الدائم العادل فى فلسطين فهى تنتظر التوجيهات من وزير خارجية أميركا السيد بيكر أو رئيسها المستر بوش وكلاهما خاضعان للضغط الصهيونى الأمريكى. وكلاهما يعلنان صراحة أنهما يطبقان خطة «شامير» للسلام (أى الاستسلام) ونحن (الدول العربية) نتقبل ما يقوله المستر بوش أو المستر بيكر ونسير وراء أميركا ولما كانت أميركا منفذة لخطة شامير فنحن بدورنا نكون المنفذين الحقيقيين لخطة شامير!.

إن الولايات المتحدة لم تستطع منذ ١٩٦٧ إلى يومنا هذا أن تحمل إسرائيل على تنفيذ قرار الأمم المتحدة ٢٤٢ الصادر فى تلك السنة لإحلال السلام فى الشرق الأوسط. وها هو الرئيس بوش فى سنته الثانية من الرئاسة وقد سبقه ريغن فى سنواته الثمانية لم يستطيعوا حمل إسرائيل على الاعتراف بالحق الفلسطينى وبتنفيذ قرارات الأمم المتحدة من أجل السلام. فماذا ننتظر وإلى متى ننتظر من الولايات المتحدة أن تحقق السّلام؟ والأطفال الفلسطينيون يقتلون بالجملة والشعب الفلسطينى يقاسى الأمرين والهجرة السوفيتية تجرى بالألوف.

نحن ندعو زعماءنا ورؤساءنا أن يعقدوا جلسات خاصة سرية فيما بينهم ليتدارسوا إن كان فى الإمكان تعبئة الطاقات العربية السياسية والاقتصادية والإعلامية والعسكرية ومجابهة حكومة الولايات المتحدة والكونغرس الأميركى مجابهة عميقة ومخلصة من أجل السلام العادل الدائم أو أن يصارحوا شعوب العالم أجمع والأمة العربية خاصة بأن محاولات السلام فاشلة وأن المعركة المصيرية آتية لا محالة ولتذهب فلسطين ولتذهب البلاد العربية ولتسحق إسرائيل ليعيش الحق والعدل والكرامة البشرية على وجه البسيطة.

فلسطين
والسياسة النفطية العربية

إن السباق بين بعض الدول المنتجة للنفط فى زيادة الإنتاج وما يتبع ذلك من هبوط فى الأسعار فى الأسواق العالمية لمن الأمور التى تستدعى التأمل والتفكير وإعادة النظر فى السياسة النفطية فإن العديد من الدول المنتجة للنفط قد تضررت فعلا بسبب هبوط الأسعار. ومع أنى لست من رجال الاقتصاد والمال ولا من المتخصصين فى شئون النفط فقد دفعنى الوضع العالمى المترجرج لأسعار النفط أن أسجل بعض خبراتى فى السياسة النفطية يوم كنت أشارك فى مسئولية الحكم فى العراق قبل ثورة ١٩٥٨ . وهى كما يلى:

ـ فى أواسط الأربعينيات من هذا القرن أخذ النفوذ الصهيونى فى الولايات المتحدة يقوى فى البيت الأبيض الأمر الذى جعل الرئيس ترومان ينصاع للرغبات الصهيونية ويدعو إلى فتح باب الهجرة إلى فلسطين ثم إلى تأسيس دولة إسرائيل، فى هذه الحقبة قدم المستر ايكيس «وزير الداخلية آنذاك» مذكرة إلى الرئيس ترومان أكد فيها اعتماد الولايات المتحدة على النفط العربى ويحذره من السير فى تنفيذ الخطط الصهيونية الأمر الذى يعرض مصالح أميركا النفطية إلى الخطر.

يوم علمت بمحتوى التقرير اقتنعت بأن لدى الأمة العربية سلاحا نستطيع به أن نجابه الخطر الصهيونى المقبل.

ـ فى سنة (١٩٤٦) انعقد مجلس جامعة الدول العربية فى بلودان (سوريا) للنظر فيما يجب اتخاذه من تدابير إزاء اندفاع الرئيس ترومان فى دعم الصهيونية. اقترح الوفد العراقى آنذاك (على ضوء ما لدى من معلومات) اتخاذ قرار بتهديد الولايات المتحدة وبريطانيا بقطع النفط فيما إذا تماديا فى دعم الصهيونية على حساب الحق العربى فى فلسطين ذلك إلى جانب دعم الفلسطينيين بالمال والسلاح والدعاية فى الولايات المتحدة وغربى أوروبا. ولكن مجلس الجامعة لم يأخذ بالاقتراح. واحتج البعض على ما ورد فى خطابى من صراحة فى أن مجلس الجامعة لم يقدر الخطر الصهيونى التقدير الكافى ولم يتخذ ما يتطلبه الموقف من إجراءات مؤثرة. اتخذ مجلس الجامعة فيما بعد مقررات هزيلة دعيت «بالمقررات السرية». لا شك أنها وصلت الى علم كل من بريطانيا والولايات المتحدة بدون تأخير وطمأنت أميركا بأن العرب لن يسيئوا إلى مصالح الولايات المتحدة مهما تمادت فى دعمها للصهيونية.

ـ إن ضغط أميركا على بريطانيا لفتح أبواب الهجرة إلى فلسطين لضحايا النازية من اليهود على حساب الحق العربى حمل بريطانيا على عرض قضية فلسطين على الأمم المتحدة وهذه بدورها أصدرت قرار التقسيم الغاشم بضغط من الولايات المتحدة. قبل قرار التقسيم بأيام

اجتمعنا أنا والسيد نورى السعيد بالأمير فيصل بن عبد العزيز (الملك الشهيد) واستعرضنا الوضع المحزن فى الأمم المتحدة واتفقنا على أن سلاح النفط هو الدواء الناجح الوحيد لإنقاذ فلسطين ولكن سبق السيف العدل! وبقيت هذه القضية عقدة فى نفس الملك الشهيد منذ ذلك التاريخ. صدر قرار التقسيم الجائر والمخالف لنص ميثاق الأمم المتحدة وروحه.

- فى سنة (١٩٤٩) كان السيد نورى السعيد على رأس الوزارة وكنت وزيرا للخارجية. استدعانى السيد نورى السعيد إلى مصيف صلاح الدين حيث كان فى استراحة. وأعلمنى أن الخزينة العراقية عاجزة عن دفع رواتب موظفى الدولة فى نهاية الشهر فلا بد من إعادة ضخ النفط إلى حيفا. قلت له إن إعادة ضخ النفط معناه أن العراق سيتولى دعم الاقتصاد الإسرائيلى. فإسرائيل ستستفيد من النفط العراقى فى صناعتها كما أن النفط العراقى سيوظف ألوف العمال الإسرائيليين. وها أنا أتقدم باستقالتى من الوزارة ولا أتحمل وزر ضخ النفط إلى حيفا. تأمل السيد نورى السعيد قليلا ثم قال إذن أنا أيضا أستقيل من رئاسة الوزارة، وكلفنى بالعودة إلى بغداد وإبلاغ السفير البريطانى بقرارنا هذا ما لم تحمل الحكومة البريطانية شركات النفط على تقديم قرض للحكومة العراقية تستطيع بموجبه تسديد رواتب الموظفين. قمت بالمهمة وتعهد السفير «السير هنرى ماك» بالإبراق الى لندن وتأمين القرض فلم تبق حاجة للاستقالة. فبقى خط الأنابيب

(كركوك ـ حيفا) عاطلا إلى يومنا هذا. فقامت الحكومة العراقية بإنشاء خط أنابيب يربط كركوك بميناء بنياس عبر سوريا ليعوض عن خط حيفا.

ـ ظلت الأمة العربية تتلقى الضربة تلو الضربة من العدو الصهيونى حتى سنة ١٩٧٣ حين استطاع الجيش المصرى البطل عبور القناة وانهار خط «بارليف» وانهارت أسطورة «أن إسرائيل لن تغلب» وكان للملك الشهيد فيصل بن عبد العزيز الفضل الأكبر فى استعمال سلاح النفط ومنعه عن الدول التى تساند إسرائيل. فتضاعفت الأسعار وارتفعت واردات الدول المنتجة للنفط بدرجة لم يحلم بها أحد من قبل. ولكن أعداء الأمة العربية لم يرق لهم ذلك. فبعد أن دبروا القضاء على حياة الملك الشهيد صاروا يكيدون للدول المنتجة للنفط ويتوعدون بالانتقام لارتفاع أسعار النفط، فهم يجعلون بعض الدول المنتجة للنفط تضطر لأن تبيع بسعر أقل من غيرها ثم يجعلون هذه الدول تتضارب فيما بينها فتتسابق فى وفرة الإنتاج. ولذلك تهبط الأسعار وتتضرر الدول المنتجة للنفط جميعها.

ـ إزاء هذا الموقف المجحف المؤسف فنحن ندعو الدول المنتجة للنفط أن تفكر مليا فى النقاط التالية:

ـ أن النفط هو هبة إلهية لا فضل للإنسان فى تكوينه. وأن الإنسان اليوم لم يكن ليحصل عليه لولا التقدم العلمى والتقنى الذى حققه الإنسان المعاصر.

ـ أن النفط مصدر نعمة مؤقتة وغير دائمة. وأن مخزونات النفط مهما كانت كبيرة فإنها ستنضب عاجلا أم آجلا ولذلك وجب الاقتصاد فى استخراج النفط لكى يدوم أطول مدة ممكنة، لتستفيد منه الأجيال القادمة إذ ليس من الإنصاف أن يتمتع بواردات النفط الجيل الحاضر ويحرم منها الجيل المقبل.

ـ أن التسابق بين الدول المنتجة للنفط يجب أن يكون تسابقا فى الإقلال من الإنتاج وإبقائه مخزونا تحت الأرض لأطول مدة ممكنة وليس فى المزايدة فى الإنتاج. فلا يجوز فى نظرنا تصريف النفط بأسعار منخفضة بل لا بد من الإقلال من الإنتاج لكى تضمن الدول المنتجة الأسعار المعقولة.

ـ أن الدول المحتاجة إلى المال فى وسعها أن تقترض المال من الدول المنتجة الغنية بدلا من أن تزيد من إنتاجها النفطى فتسبب الخسارة للجميع.

ـ لا بد من توخى الحكمة وبعد النظر فى التصرف بواردات النفط وتوجيهها إلى مشاريع إنتاجية تعود بالخير والرفاه على ثروة الأمة. الأمر الذى يتطلب عدم تبذيرها فى الكماليات فى التوافه من الأمور. كما يتطلب الحيطة عند وضعها فى خدمة اقتصاد الدول المصنعة على حساب المصالح العربية والإنماء العربى.

ـ أن توحيد السياسة النفطية (السياسة ذات النظر البعيد) تتطلب ضبط كميات الإنتاج بالنسبة للسوق العالمية وضبط الأسعار

واستقرارها. والأمر يتوقف على حض الدول المنتجة فى الالتزام بالحدود المقررة للإنتاج لكل دولة.

ـ إذا تحققت سياسة نفطية متفق عليها ومستقرة فالنفط يبقى كسلاح سياسى مهم إلى جانب كونه قوة اقتصادية. فالدول النفطية المتحدة تستطيع أن تتكلم بلغة قوية محترمة بدل لغة الضعف والهوان.

وبعد... فهذه آراء فردية مستقاة من خبرات شخصية فالمأمول أن يتحرك المسئولون فى الدول المنتجة للنفط فيفكروا من جديد فى اكتشاف أفضل السبل لاستثمار هذه النعمة الكبرى التى سخرها الله تعالى للإنسان والحمد والشكر لله رب العالمين.

الباب الخامس

(ليبيا ولبنان)

الرئيس ريغن
والعقيد معمر القذافى

العدوان الثلاثى على مصر سنة ١٩٥٦ أدى إلى انتهاء عهد أنتونى إيدن رئيس وزراء بريطانيا وكان هو الخاسر فكان العدوان المثلث على مصر مأساة عظمى فى تاريخ السياسة البريطانية. نذكر ذلك العدوان بمناسبة قيام الرئيس ريغن رئيس الولايات المتحدة باتخاذ موقف إزاء العقيد معمر القذافى كثير الشبه بموقف المستر إيدن من الرئيس جمال عبد الناصر. فقد وقعت الولايات المتحدة بدورها، فى «فخ إسرائيل» كما وقعت بريطانيا فى «فخ إسرائيل». فاتخذت ما يدعى «بالإرهاب» ذريعة لضرب العقيد معمر القذافى. متجاهلة الحقيقة الناصعة ألا وهى أن المصدر الأصلى للإرهاب فى الشرق الأوسط هو إسرائيل. وأن سبب الإرهاب هو العدوان الإسرائيلى المستمر على عرب فلسطين ولبنان باحتلال أراضيهم وسلب حقوقهم وحرياتهم. إن الإرهاب الذى يرفضه كل إنسان يتمتع بالمزايا الإنسانية النبيلة تمارسه إسرائيل أكثر ممّا يمارسه الفلسطينيون المطالبون بحقوقهم المشروعة فى وطنهم. أليس احتلال الأراضى العربية فى فلسطين ومعاملة سكانها بقسوة عسكرية صارمة تمارسها إسرائيل نوعاً من الإرهاب؟ أليس حشد عشرات الألوف من

الفلسطينيين الأحرار فى السجون وتعذيبهم فيها نوعاً من الإرهاب؟ أليس غزو لبنان وقتل عشرات الألوف من اللبنانيين والفلسطينيين العزل بالأسلحة الفتاكة التى تقذفها الطائرات الأميريكية المزودة بها إسرائيل نوعاً من الإرهاب؟ أليس قصف الطائرات الإسرائيلية تونس إرهاباً؟ ثم ان الإرهاب فى الشرق الأوسط بدأ فى نهاية الحرب العالمية الثانية على يد مناحم بيغن «بمجزرة دير ياسين» رئيس عصابة «الإيرغون» وشامير زعيم عصابة »الشترن» بنسف فندق الملك داود فى القدس وقتل اللورموين وزير الدولة البريطانى فى القاهرة ثم قتل وسيط السلام «الكونت برنادوت» السويدى ومرافقه الفرنسى وكان الكونت برنادوت مرسلاً من قبل الأمم المتحدة لإحلال السلام بين العرب وإسرائيل. إن عطف الأمة العربية على ضحايا الإرهاب الإسرائيلى لا يقل عن عطف الرئيس ريغن على ضحايا الإرهاب الفلسطينى. مع إبداء أن الإرهاب الفلسطينى (إن وجد) وعلى ضآلته إنما هو رد فعل إزاء الإرهاب الإسرائيلى الكبير والمستمر. هذا وإن الدول العربية جميعها تشجب الإرهاب مهما كان مصدره ولكنها لا تستطيع تحمل الإرهاب الإسرائيلى إلى الأبد الإرهاب الذى تموله الخزينة الأمريكية وتحميه السياسة الأمريكية. فإذا كان الرئيس ريغن يريد القضاء على الإرهاب حقاً (ونحن نؤيده فى ذلك) فليبدأ بإزالة الأسباب المؤدية إلى الإرهاب فيقضى على الظلم الواقع على عرب فلسطين. أما أن يرفض مقابلة الفلسطينيين وأن يتغاضى عن حرمانهم من حقوقهم المشروعة فى

وطنهم وفى مقدمتها حق تقرير المصير وحق العودة فإنه بذلك يشجع الإرهاب ويخدم الإرهاب من حيث يعلم أو لا يعلم.

إن العقيد معمر القذافى لم يغذّ الإرهاب الفلسطينى بل إن سياسة الولايات المتحدة إزاء فلسطين والعدوان الإسرائيلى هما اللذان يغذيان الإرهاب الذى هو فى نظر الفلسطينيين حق شرعى للدفاع عن النفس والوطن وليس إرهاباً. فالفلسطينى الذى تسدّ فى وجهه منافذ الحياة الحرة الكريمة فى أرض الوطن يرى من واجبه أن يثور وأن يقاوم. هذا هو الواقع وهذا ما يدركه كل إنسان حرّ. ولذلك فنحن ننصح الولايات المتحدة اليوم (كما نصحنا بريطانيا سنة ١٩٥٦) بأن لا تتورط فتهاجم القذافى فى ليبيا كما تورطت بريطانيا فى مهاجمة الرئيس جمال عبد الناصر. إن أى هجوم يقوم به الرئيس ريغن على العقيد القذافى لن يأتى بأية ثمرة إيجابية والعكس هو الصحيح. وهل تدرك الولايات المتحدة بأن القذافى وأبو نضال وأبو العباس وسواهم من الأشخاص الذين يزعجون إسرائيل فتعتبرهم إرهابيين (وتحذو الولايات المتحدة حذو اسرائيل فى تسميتهم بذلك) إنما هم ظواهر طبيعية إلى جانب كونهم أشخاصاً. فإذا ذهب أبو نضال أو أبو العباس وذهب القذافى الذى أواهم فى ليبيا فسيقوم أبو نضال جديد أبو العباس جديد وقذافى جديد ليحميهم هذا قانون طبيعى فما دام هناك شعب يقاسى الظلم والحرمان وما دامت سياسة الولايات تتمادى بالتحيز التام فتؤيد السياسة العدوانية الإسرائيلية السياسية التى تسمح بقيام شارون والحاخام

«كاهانه» وأمثالهما وتغذيهما بالدولارات الأمريكية وبالحماية الأمريكية فالفلسطيني ومن ورائه أبناء العروبة كافة مضطرون أن يدافعوا عن حقوقهم المشروعة في فلسطين وحماية المقدسات فيها.

نصيحتنا الأولى للولايات المتحدة أن تسارع في إحلال السلام في الشرق الأوسط إذا شاءت القضاء على الإرهاب من جميع الأطراف والطرف الإسرائيلي هو الأول والأعظم. السلام العادل المؤسس على الحق والشرعية الدولية للجميع هو أفضل دواء ناجح للإرهاب.

نصيحتنا الثانية هي أن تبدأ الولايات المتحدة بمكافحة الإرهاب في داخل الولايات المتحدة ذاتها فتحمي حرية الأصوات الداعية إلى الحق والإنصاف في فلسطين من إرهاب «جمعية الدفاع اليهودية» و«جمعية مقاومة أعداء إسرائيل» ولا ننسى أن الولايات المتحدة ومعاهدها الدينية تتحمل مسئولية تخريج أمثال الحاخام «كاهانه» الحاخام النازي العنصري. كما أن معاهدها العلمية تتحمل مسئولية تحيز وعدم الاطلاع الكافي في شئون الشرق الأوسط لدى العديد من أعضاء الكونغرس. فهؤلاء بانحيازهم لإسرائيل وعدم اطلاعهم على وجهة النظر العربية هم من العوامل المؤثرة في السياسة الأميريكية التي تؤدي إلى قيام ردّ الفعل العربي والدفاع عن الحق الذي يعتبره العربي والقانون الدولي مشروعاً والذي تعتبره إسرائيل والولايات المتحدة إرهاباً.

وأخيراً ندعو للولايات المتحدة كما ندعو لأنفسنا بأن نسير جميعاً في طرق الحق والخير والهداية.

اتهام ليبيا بإنتاج الأسلحة الفتاكة
حاسبوا إسرائيل أولاً

بعد أن ألقى القبض عليّ فى صباح اليوم الرابع من ثورة ١٤ تموز (جويليه) فى العراق، بدأ التحقيق معى فكنت صادقاً صريحاً كامل الصراحة فى شرح معتقداتى السياسية ونشاطى فى الحقلين القومى والدولى. ولكن ما أثار دهشتى واستغرابى هو سؤال أحد السائلين إياى قبل بداية التحقيق عن القنابل الذرية التى يمتلكها العراق والمخبأة فى الصحراء ولا يعرف أحد موقعها السرى سواى! فهل لى أن أدلهم عليها؟ إن العراق حصل على هذه القنابل (حسب زعمهم) من الولايات المتحدة.

أجبت بأنى لم اسمع يوما بأن الولايات المتحدة زودت العراق بأسلحة ذرية وإن كانت قد فعلت ذلك فلا أعلم عنها شيئاً.

لا أشك فى أن السائل قد حصل على هذه المعلومات الخيالية من إحدى دوائر الاستخبارات المناهضة للعهد الملكى فى العراق. فإن دوائر الاستخبارات قد تخطئ وقد تختلق معلومات لا أساس لها من الصحة. ولا نستثنى من ذلك الاستخبارات الأمريكية (سى. آى. آه) والإسرائيلية «الموساد» على الأخص. فحين تبدى حكومة الولايات

المتحدة قلقها من امتلاك ليبيا وسوريا والعراق ومصر معامل وأجهزة ومواد لصنع الغازات السامة والصواريخ ذات الرءوس التى تحمل الغازات ثم استعداد العراق لصنع القنبلة الذرية نقول «اسألوا اسرائيل أولاً». ثم تحققوا من صدق استخباراتكم. أما ليبيا فبينها وبين الولايات المتحدة وبريطانيا جدل عقائدى. نرجو أن ينتهى بالتفاهم والتصالح ذلك إذا توقفت إسرائيل عن تعكير صفو المياه. أما فى الوقت الحاضر فإن الولايات المتحدة تدعى أن ليبيا تعدّ لصنع غازات سامة وليبيا تجيب بأنها تبنى مصنعاً للعقاقير الطبية وليس للغازات السامة. ثم يأتى شامير الى الولايات المتحدة ويتباكى يشتكى من أن الاتحاد السوفيتى قد زود ليبيا بطائرات فى وسعها أن تضرب إسرائيل. والاتحاد السوفيتى يؤكد أن الطائرات التى زودت بها ليبيا هى لأغراض دفاعية. ألم تقم الولايات المتحدة بقصف ليبيا؟ ألم تقم إسرائيل بقصف المفاعل النووى قرب بغداد؟ ألم تقم إسرائيل بقصف تونس؟ ألم تقم إسرائيل بالقصف المتكرر للبنان؟ ألم تهدد إسرائيل بقصف معمل الأدوية الطبى فى ليبيا؟ لماذا تكون الطائرات القاصفة حلالاً على إسرائيل فلا تثير قلق الولايات المتحدة والطيارات الدفاعية حراماً على ليبيا؟ فتقلق الولايات المتحدة وبريطانيا وإسرائيل؟ إن من حق ليبيا أن تستعد للدفاع الشرعى عن سلامة أراضيها.

أما سوريا فهى معرضة للخطر من الجانب الإسرائيلى بدون انقطاع ما لم يتحقق السلام الدائم العادل وعليها أن تكون مستعدة دوماً بأن

ترد لإسرائيل الصّاع بالصاع. هذا وإن التحامل الغربى على كل من ليبيا وسوريا بحجة إيواء أو تشجيع الإرهاب قد فقد الكثير من معناه ما دام العدوان الإسرائيلى على الشعب الفلسطينى وعلى جنوب لبنان لا يخضع للقانون أو للقواعد الإنسانية. فالإرهاب الإسرائيلى لا يبارى فى الشرق الأوسط. وهنا نعيد القول: «اسألوا إسرائيل وحاسبوها أولاً».

أما مصر والادعاء بأنها تعد لصنع أسلحة كيماوية فهى شكوى باردة منتهى البرودة. ذلك لأن مصر اليوم تعدّ فى مقدمة الدول المحبة للسلام والعاملة من أجل السلام! وأما العراق فقد بدأ فى العهد الملكى حوالى سنة ١٩٥٥ بإعداد العلماء فى الذرة لاستعمال الطاقة الذرية لأغراض سلمية وكان ذلك بتشجيع الولايات المتحدة فى الجمعية العامة للأمم المتحدة. وما زال العراق يتبع السياسة ذاتها على ما نعلم فهو موقع على معاهدة عدم انتشار الأسلحة الذرية ومعاملة خاضعة للتفتيش الدولى. وما قول الولايات المتحدة من امتلاك إسرائيل الأسلحة الذرية. أليس الأجدر بها أن تحاسب إسرائيل أولاً؟

إن كلا من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا أصدروا تصريحاً بتاريخ ٢٠ مايو ١٩٥٠ يؤكدون فيه:

(١) معارضتهم لسباق التسلح بين الدول العربية وإسرائيل.

(٢) يطلبون ضماناً من كل الدولة المشترية للسلاح بأن لا تقوم بأى عمل عدوانى إزاء أية دولة أخرى.

(٣) معارضتهم التوسل بالقوة أو التهديد أو الالتجاء إلى القوة بين الدول فى هذه المنطقة معارضة لن يتخلوا عنها.

«ولن تنى الحكومات الثلاث إذا علمت أن إحدى هذه الدول تستعد لاجتياز الحدود أو خطوط الهدنة لدولة أخرى عن اتخاذ الاجراءات سواء فى نطاق هيئة الأمم المتحدة أو خارجه طبقاً لالتزاماتها بإعتبارها أعضاء فى هيئة الأمم المتحدة لمنع هذا الاعتداء».

إن ما حدث فى الشرق الأوسط منذ (١٩٥٠) إلى يومنا هذا يدل على أن الدول الثلاث ولا سيما الولايات المتحدة الأمريكية تناسوا تصريحهم هذا تماماً. لو تمسكوا به لما تردى الوضع فى الشرق الأوسط إلى هذه الدرجة ولما تفرعنت إسرائيل لتصبح عقبة فى سبيل إحلال السلام والاستقرار فيه. إن امتلاك إسرائيل القنبلة الذرية واستطاعتها أن تضرب أى بلد عربى تشاء متى تشاء يجعل خطرها ماثلاً أمام جميع الدول العربية فمن واجب هذه الدول الاستعداد للدفاع عن النفس فمصدر القلق للولايات المتحدة هو انحيازها لجانب إسرائيل على حساب الحق العربى والأمن العربى وليس استعداد الدول العربية للدفاع عن أرضهم وعن سلامتهم. فلتبدأ الولايات المتحدة باتباع سياسة «متزنة» فى الشرق الأوسط فتحمل إسرائيل (المتمتعة بالعون الأمريكى اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً) على الاعتراف بالحق الفلسطينى وتجنح إلى السلم ثم العمل على نزع السلاح الفتاك لكل دول الشرق الأوسط وتخصيص جلّ ما يصرف على السّلاح اليوم إلى الزراعة

والصحة والتعليم والثقافة والدعوة إلى السلام والتسامح والتعاون بين العناصر التى يتكون منها الشرق الأوسط لتصبح المنطقة مهبط الأنبياء والرسل منطقة سلام وإشعاع روحى وأخلاقى للإنسانية جمعاء ولتحقيق ذلك نقول: «حاسبوا إسرائيل أولاً».

انقذوا لبنان
من الخطر الإسرائيلى أولاً

لبنان القطر العربى الشقيق يعيش مأساة تسر العدو وتحزن الصديق. فمدينة بيروت الزاهرة تعانى من القصف العشوائى الظالم الذى يهدم البيوت ويسبب مئات القتلى والجرحى من المواطنين الأبرياء. وكل ذلك منشؤه العدوان الإسرائيلى الغاشم على الحق العربى فى فلسطين. فالعدوان الإسرائيلى الغاشم فى فلسطين جعل مئات ألوف الفلسطينيين يلجأون إلى لبنان. ثم تغزو إسرائيل لبنان لوجود الفلسطينيين فيه. ثم تحتل جنوب لبنان وتشكل جيشاً عميلاً لها من اللبنانيين. ثم تستمر فى قصف لبنان وخرق حرمته الترابية من الجو والبر والبحر، ثم تسعى فى إثارة الفتن والنعرات الطائفية بين سكانه وتنصب نفسها حامية لجهة ضد الجهة الأخرى ذلك إلى جانب حوادث النسف والاغتيال الذى تدبره بين الحين الآخر. ها هى أخيراً تدبر عملية اختطاف الشيخ عبد الكريم عبيد العالم الدينى فى جنوب لبنان الأمر الذى أثار المشاعر الدينية لدى جماعته فقاموا بإعدام الكولونيل الأمريكى «هغنز» الضابط فى بعثة السلام التابعة للأمم المتحدة وهو عمل يأسف له كل إنسان عاقل محب للسلام سببه العدوان الإسرائيلى على لبنان.

إن المراقب لتحركات إسرائيل فى الشرق الأوسط يجد أنها بارعة فى خلق الحوادث التى تشغل الرأى العام الدولى عما تقترفه من جرائم إزاء الفلسطينيين فى داخل فلسطين. فمن أجل إبعاد الاذهان عن البحث فى حق عرب فلسطين فى تقرير المصير ومن أجل القضاء على الانتفاضة جاءت إسرائيل (شامير) بمشروع إجراء الانتخابات فى الضفة الغربية وقطاع غزة. ومن أجل إلهاء الناس عن التفكير فى موضوع فلسطين اشتعلت الحرب الدامية بين اللبنانيين وهى المسئولة الأولى عن قيامها. ولأجل شغل الرأى العام فى أمر يبعده عن جرائم إسرائيل فى الأرض المحتلة قامت بعملية اختطاف الشيخ عبد الكريم عبيد وأثارت مشكلة الرهائن.

إسرائيل مستمرة فى اختلاق الخطط الجهنمية فى الشرق الأوسط. وهى بارعة فى توجيه الرأى العام الغربى على الأخص فى الوجهة التى تريدها. فخطف الشيخ عبد الكريم أدى إلى مقتل الكولونيل «هغنز» المؤسف وهو حادث يسر إسرائيل إذ أنه قد يسبب صداماً بين الولايات المتحدة والعرب والمسلمين ذلك إذا لم تحل قضية الرهائن. وهو ما تريده إسرائيل. أما إذا حلّت قضية الرهائن فإسرائيل سوف تطالب الولايات المتحدة بثمن لخطفها الشيخ عبد الكريم إذ به حلّت قضية الرهائن. فإسرائيل رابحة فى مغامرتها ما دام الموجهون للسياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط مغفلين. تعبث بعقولهم إسرائيل. وواجب الدول العربية والإعلام العربى فى الولايات المتحدة أن يوقظوا الرأى العام

الأمريكى عامة وكتلة الضغط الصهيونى خاصة إلى أن تصرفات إسرائيل فى الشرق الأوسط هى المسئولة الأولى عن اتخاذ الولايات المتحدة خطًا سياسياً يثير نقمة شعوب المنطقة على الولايات المتحدة. من كان يصدق قبل خمسين سنة (وأسهم الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط كانت فى أوجها آنذاك) أن مواطنين أميريكيين سيخطفون فى بيروت وأن البعض منهم يلقى مصرعه على أيدى سكان المنطقة. لقد آن للمسئولين فى الولايات المتحدة أن يسائلوا أنفسهم ما الذى أدى إلى انحدار سمعة الولايات المتحدة وضعف هيبتها فى الشرق الأوسط؟ أليست السياسة الصهيونية التى اتبعتها الولايات المتحدة هى المسئولة الأولى عن هذا التردّى؟

إن انحياز الولايات المتحدة غير المشروط إلى جانب إسرائيل ومدها بالمال والسلاح واستعمالها حق النقض فى مجلس الأمن (كلما أراد المجلس إيقاف إسرائيل عند حدها وشجب عدوانها على لبنان واحتلال جنوبه) يضر مصالحها ومصالح السلام فى الشرق الأوسط بكل تأكيد. والآن وقد رزئت الولايات المتحدة بفقد واحد من أبنائها الكولونيل «هغنز» نحن نأمل أن يتبع الرئيس بوش سياسة التعقل ومعالجة قضية لبنان على أساس كونها ناتجة عن المأساة الفلسطينية والعدوان الإسرائيلى من حيث الأساس والمنشأ. فلا بد من معالجة القضية الأمّ. ورفع الظلم اللاحق بالشعب الفلسطينى وترحيل الفلسطينيين من لبنان إلى وطنهم. ثم تنفيذ ما أعلنته الولايات المتحدة دوماً من أنها تحترم

وحدة لبنان واستقلال لبنان. ولذلك نأمل أن تحمل إسرائيل على الانسحاب من جنوب لبنان وترك سكان لبنان يحلّون مشكلاتهم الداخلية بأنفسهم جهد المستطاع.

أما موقف الدول العربية من المأساة اللبنانية فهو دوماً موقف الأخ المتعاطف الذى يتألم ويأسف لما يحدث فى لبنان. ولكن العواطف وحدها لا تكفى فالدول العربية فى العقدين الماضيين لم تراع ظروف لبنان الخاصة ولم تتحرك بما فى الكفاية ضد الغزو الإسرائيلى وضد العدوان الإسرائيلى المستمر كما تتطلبه المواثيق العربية والمعاهدات الدفاعية. بل حمّلت لبنان فوق طاقته يوم جعلته المعبر الوحيد للمجاهدين الفلسطينيين الذين يريدون دخول فلسطين بينما العدل والإنصاف يقضيان بأن يعامل لبنان كما تعامل مصر وسوريا والأردن بأن تفتح المنافذ كلها وتتعدد المعابر. ولو حصل ذلك لتحقق السلام فى الشرق الأوسط قبل عدة سنوات ولما قاسى لبنان ما يقاسيه اليوم.

ولما بلغت السّيل الربى ووصلت السكين إلى العظم أحسنت القمة العربية بتكليف لجنة مكونة من ثلاثة من أعضائها الذين عرفوا بحنكتهم السياسية وغيرتهم العربية بمعالجة القضية اللبنانية. فقامت اللجنة (المكونة من جلالة ملك المغرب وخادم الحرمين الشريفين وفخامة رئيس الجمهورية الجزائرية) بمهمتهما خير قيام ونشرت على الرأى العام العربى تقريراً اتسم بالوضوح والصراحة والشجاعة أوضحت فيه المشكلات والعقبات التى تقف فى سبيل حل المشكلة اللبنانية.

نحن نرجو ألا يتسرب اليأس إلى النفوس وأن تستمر اللجنة على المساعى فى سبيل تحقيق الأهداف التي كلفت بتحقيقها. وما نريد أن نقترحه ونؤكد عليه يتلخص فى النقاط التالية:

(١) إن المأساة اللبنانية هى نتيجة طبعية للمأساة الفلسطينية فما لم تحلّ القضية الفلسطينية وما لم يحصل الفلسطينيون على حقوقهم المشروعة لن يستقر لبنان. ولذلك وجب التفاهم العميق مع المسئولين فى الولايات المتحدة الأمريكية والاتفاق معهم على حمل إسرائيل مباشرة أو عن طريق مجلس الأمن على الانسحاب من لبنان كلياً وحلّ الجيش العميل واحترام سيادة لبنان ووحدة أراضيه والتعهد بعدم مهاجمة قراه وعدم التدخل فى شئونه الداخلية. لا سيما وأن الولايات المتحدة قد أعلنت مراراً تمسكها باستقلال لبنان وسلامة أراضيه.

(٢) تشكيل جيش عربى محايد (يتكون من جزائريين وأردنيين وكويتيين) يشرف على إيقاف النار بين الفئات المتحاربة ويضمن سلامة النواب أثناء انعقاد مجلس الأمة لانتخاب رئيس جديد للجمهورية.

(٣) تشكيل حكومة فى لبنان تمثل كافة الجبهات السياسية تتولى وضع ميثاق قومى جديد للحكم فى لبنان على أسس تمثيلية عادلة تراعى خصوصية لبنان وعروبة لبنان.

(٤) يصبح لبنان ساحة حريّة وسلاما يلجأ إليه أبناء البلاد العربية كافة.

كما يصبح بلداً محايدا فيما بين الدول العربية فيؤاخيها جميعها ولا يسمح بأن تتراشق دول عربية شقيقة على أرضه وبوسائل إعلامه. كما يصبح بلداً يتآخى فيه أتباع الديانات السماوية ويتحقق التآخي الإسلامي المسيحي بوجه خاص.

(٥) يتحمل أبناء لبنان جميعاً مسئولية وحدة لبنان واستقرار لبنان وازدهاره. فالانقسامات و «الميليشيات» والمجابهات الدموية لا محل لها فى بلد متمدن راق كلبنان فى عصرنا هذا. لا سيما وأن اللبنانيين ينتمون جميعا إلى أديان سماوية تدعو إلى السلام المؤسس على الحق والخير والمحبة بين بنى الإنسان فى كل مكان.

وقى الله لبنان خاصة والبلاد العربية عامة شر الصهيونية المسلحة. ومن الله الهداية والرشاد.

دعوة إلى دعم التآخى
الإسلامى المسيحى فى لبنان

عشت طالبا فى لبنان أيام الانتداب الفرنسى فى العشرينات من هذا القرن. وشهدت مولد لبنان المستقل فى أواخر الحرب العالمية الثانية. وكنت على اتصال وثيق بالعديد من رجال الثقافة والسياسة فى لبنان حتى قامت الثورة العراقية سنة ١٩٥٨ .

وإلى جانب المزايا العديدة التى يمتاز بها لبنان كالموقع الجغرافى والجمال الطبيعى ولطف وذكاء سكانه فإنه يمتاز بميزة عظمى ألا وهى صفته الدينية. فلبنان بلد يقطنه المؤمنون بالله: على اختلاف الأديان والمذاهب. وهو من المراكز المهمة فى العالم للقاء الإسلامى ـ المسيحى وجها لوجه.

وللبنان دور عالمى مهم فى إيجاد التعارف والتآخى بين أبناء هذين الدينين الواسعى الإنتشار فى العالم. إنه مختبر كبير لصنع السلام العالمى ولتحقيق الأخوة والمحبة بين الناس.

قام لبنان المستقل على أساس التآخى والتفاهم بين العناصر والمذاهب التى يتكون منها: فعلاقة بشارة الخورى برياض الصلح وحميد فرنجية وعادل عسيران ومجيد أرسلان وعبد الحميد كرامى

وكميل شمعون وحبيب أبو شهلا وأمثالهم كانت علاقة أخوة مؤسسة على الإيمان بالله وحب الوطن، علاقة التقى فيها المسلم بالمسيحى على أساس التآخى والمساواة. وكانت جهود الدول العربية المستقلة آنذاك متجهة إلى تمتين ودعم أواصر الأخوة مع لبنان المستقل بدون تفريق بين الطوائف اللبنانية.

وكنا نفترض كما هو الواقع أن الوحدة اللبنانية أمر مفروغ منه. فالتآخى الإسلامى ـ المسيحى فى لبنان هو أقوى أساس منحه الله تعالى لبنان المستقل.

ويوم كنا نقاوم تقسيم فلسطين وكنا ندعو إلى قيام دولة فلسطينية يتآخى فيها المسلمون والنصارى واليهود كنا نستشهد بلبنان وندعو إلى «لبننة» فلسطين. وكنا بحجتنا هذه نطعن الدعوة الصهيونية وندحضها بقوة. ولذلك بات من أول أهداف إسرائيل اليوم القضاء على الوحدة والسلام والانسجام فى لبنان.

نماذج لخبرات شخصية تعبر عن التآخي الإسلامي - المسيحي في لبنان

(١) فى ربيع ١٩٥٥ دعيت لإلقاء محاضرة أمام «اتحاد الجامعيات» فى بيروت ومما قلته فى مقدمة المحاضرة: «تعلمت فى بيروت وأنا طالب فى الجامعة الأمريكية معنى التسامح الدينى والتآخى الروحى لا سيما بين العالمين الإسلامى والمسيحى وليس العالم أحوج منه اليوم رلى بعث روحى جديد فى العالمين الإسلامى والمسيحى وإلى تآخيهما واتحادهما إزاء خطر مادى جسيم يتهدد الإنسانية جمعاء».

(٢) فى بداية الخمسينات اقترحت حكومة الباكستان عقد مؤتمر قمة إسلامى فأبدى العراق استعداده للمشاركة فى هذا المؤتمر سافرت من بغداد إلى كراتشى لبحث الموضوع والتعاون مع حكومة الباكستان لتحقيق المشروع. من كراتشى سافرت رأسا إلى بيروت فاجتمعت بالرئيس بشارة الخورى وفاتحته بالموضوع واقترحت مشاركته شخصيا فى المؤتمر لسببين:

أولهما: أنه رئيس دولة تجمع بين المسلمين والمسيحيين فهو رئيس المسلمين فى لبنان كما أنه رئيس المسيحيين.

وثانيهما: أن وجوده يضمن اطمئنان العالم المسيحى فلا يظن بأن المؤتمر عقد لإثارة التعصب الدينى وإيجاد الفرقة بين العالمين الإسلامى والمسيحى.

وافقنى الشيخ بشارة على وجهة نظرى ووعد بالحضور والمشاركة فى المؤتمر.

انتقلت من بيروت إلى القاهرة وعرضت الأمر على رئيس الوزراء أحمد نجيب الهلالى فأبدى عدم استعداد مصر للمشاركة. واعتذرت تركيا بدورها من المشاركة باعتبارها دولة علمانية. فلم يعقد المؤتمر. أروى هذا الحدث التاريخى الذى لم يسجل من قبل لأؤكد اهتمام العراق آنذاك بضرورة التضامن الإسلامى المسيحى فى لبنان ولذلك كان الشيخ بشارة الخورى من أول من دعوا للمشاركة فى المؤتمر.

(٣) زارنى الشيخ بيار الجميل فى دارى فى بغداد سنة ١٩٣٦ فكان لنا حديث طويل حول الوضع العالمى ومستقبل الأمة العربية ودور لبنان فيها. فقد كان للبنان دور الريادة فى النهضة العربية الحديثة.

ثم اجتمعت به فى مقر الكتائب فى بيروت سنة ١٩٥٥ اجتماعا مطولا حصل فيه تفاهم تام فيما بيننا حول السياسة التى يتبعها العراق فى العالم العربى واطمأن من مسعى العراق آنذاك لتحقيق الاتحاد بين سوريا والعراق. كما اطمأن من موقف العراق

من لبنان وتأكيد العراق على أهمية التآخي الإسلامي ـ المسيحى فى لبنان. وكم كان سرورى عظيما بعد خروجى من السجن ليلة ١٤ تموز ١٩٦١ أن تكون أول برقية تهنئة تصلنى كانت من الشيخ بيار الجميل!

(٤) فى سنة ١٩٥٥ كان لى اجتماع شيق وحديث طويل مع البطريرك المعوشى بطريرك الكنيسة المارونية فى لبنان. وجدت المعوشى حكيما مقدرا كل التقدير انتماء لبنان إلى الأسرة العربية مقتنعا بضرورة التعاون والتآخي الإسلامي المسيحى فى لبنان خاصة والعالم عامة وذلك لنشر الإيمان بأكمله ومكافحة المادية والإلحاد.

(٥) علاقتى بالرئيس كميل شمعون وبالدكتور شارل مالك (فى الحقل السياسى العربى والدولى) اتسمت دوما بالتآخي والتعاون الصادقين التامين. أما علاقاتى برجال الثقافة والسياسة عامة فإنها تتجاوز العشرات من الأصدقاء الأفاضل أذكر على وجه الخصوص المرحومين أمين الريحانى وأميل البستانى وكلاهما ينتميان إلى الطائفة المارونية.

يتضح من كل ما مر أننا نعتبر التآخي الإسلامي المسيحى فى لبنان أمرا طبيعيا لا جدال فيه ولا يجوز أن يتسرب إليه الشك أو الوهن.

ما الذى حل بلبنان؟ ولماذا هذا الوضع المؤلم فى لبنان اليوم؟

لقد سبق أن وصفت لبنان أمام المحكمة العسكرية العليا الخاصة (التى حاكمتنى سنة ١٩٥٨ من أجل دفاعى عن لبنان فى مجلس الأمن فى تلك السنة) «بأن لبنان يشكل فسيفساء بشرية جميلة لا يجوز كسرها أو تشويهها» وها نحن اليوم نشاهد المحاولات الظالمة لكسر وتشويه منظر هذه الفسيفساء الجميلة.

وفيما يلى نشير إلى مصدر هذه المحاولات:

(١) **تدخلات الدول الأجنبية:** إن لبنان هو البوابة الكبرى للشرق الأوسط فتطمع كل من الدول العظمى أن تسيطر على هذه البوابة بأساليبها السياسية والاقتصادية والثقافية والعسكرية السرية منها والعلنية. ولما كان لبنان مفتوحا أمام الجميع فقد أصبح ساحة صراع وتنافس عن طريق تفتيت السكان إلى طوائف وطبقات ومناطق. وربما كان أفضل دواء للبنان فى نظرنا أن يقتبس من سويسرا نظام الحياد المسلح فى الحقل الدولى.

(٢) **أخطاء المهيمنين على السياسة العربية:** إن المهيمنين على السياسة العربية (فى الستينات على الأخص) لم يقدروا ظروف لبنان الداخلية ولم يراعوا توحيد صفوفه. إنهم حملوا لبنان من أثقال العروبة ما هو فوق طاقته. إنهم تجاهلوا مخاوف وشكاوى فئة من أهم فئاته: أعنى بها الطائفة المارونية. كان الواجب يقضى أن يسعى المسلمون إلى كسب الفئة المارونية وضمها إلى صفوفهم كما يتطلب ذلك مبدأ التآخى الإسلامى ـ المسيحى.

(٣) **استغلال إسرائيل للأخطاء العربية في لبنان:** تغلغلت إسرائيل في الأوساط المارونية وادعت أنها حامية المسيحيين وبدأت بإثارة الفتن وتشجيع التعصب الطائفى وبث الجواسيس واغتيال الأشخاص ونسف المبانى عن طريق طابورها الخامس. ففى لبنان اليوم طابور خامس إسرائيلى ليس من السهل الوقاية من أخطاره.

(٤) **العامل التربوي:** إن التربية فى لبنان تتعهدها جهات متعددة أهمها (فى المرحلة الجامعية على الأقل) ليست لبنانية. ولذلك فوحدة الانتماء وصدق الولاء ليسا مضمونين فالجهات المتعددة دينية كانت أم سياسية قد تؤكد على الولاء الطائفى أو الولاء للدول الأجنبية التى ترعى المؤسسة أكثر من تأكيدها على الولاء للبنان. فالولاء للوطن أى للبنان ينبغى أن يؤصل فى كل لبنانى مهما كان دينه أو مذهبه أو معتقده السياسى.

فلبنان هو لبنان الجميع وانتماء لبنان للعروبة هو حقيقة جغرافية وتاريخية وثقافية ومصلحية لا يمكن التساهل فيها. والولاء لله تعالى يجب أن يعلو على كل ولاء وأن يوحد الجميع ويؤاخى الجميع.

فمستقبل لبنان إذن يتطلب إعادة نظر جذرية فى التعليم العام على أساس أن المذاهب والأديان ما جاءت للانقسامات

والعداوات بل جاءت للتوحيد والمحبة بين أبناء البلد الواحد.

كيف السبيل إلى إصلاح الحال ؟

إنى من المعتقدين بأن لبنان غنى بالرجال العلماء الحكماء المخلصين الشجعان فى كل طوائفه. وكل ما يحتاجون إليه هو كسر وتحطيم الجدران القائمة بينهم فكرية كانت أم سياسية أم عقائدية وأن يجتمعوا طالبين الهداية من الله ليساعدهم ويهديهم على إنقاذ لبنان وإحياء لبنان. وها أنا أبدى الرأى الشخصى التالى:

التقيت فى مركز التسلح الخلقى فى «كو» سويسرا صيف ١٩٨٣ بزمرة من الشباب اللبنانى المارونى الغيور. وهم ينشدون السلام للبنان ويريدون نهاية المآسى والتصافى للبنان سألونى ماذا أقدم لهم من نصح للخروج من أزمة لبنان. قلت لهم عندى وصفة بسيطة تنقذ لبنان وتوحد لبنان فى الشوط البعيد إذا بدأتم بتطبيقها فورا.

(١) تجميع أبناء الأديان والمذاهب والعقائد المختلفة للتعارف والتآخى والعمل التعاونى المشترك.

(٢) تقوم الحركة برفع مستوى المحرومين والمتخلفين ثقافيا واقتصاديا فى كل بقعة من بقاع لبنان بدون تفريق.

(٣) يتمسك الجميع بالإيمان بالله وبالمبادئ الأخلاقية الكريمة وفى مقدمتها الصدق والمحبة والغيرية والعفة.

(٤) تنتشر هذه الحركة فى كل الجامعات والمعاهد الدراسية والنقابات والجمعيات.

(٥) تستعين الحركة بكل الوسائل السياسية والاجتماعية والإعلامية فى نشر دعوتها إلى التآخى اللبنانى بين أبناء الطوائف والأديان المختلفة.

(٦) تكون الحركة مفتوحة لجميع اللبنانيين على إختلاف أديانهم ومذاهبهم ومشاربهم.

(٧) تكافح بشدة كل التيارات الغربية التى تعمل عل بث الفرقة والعداء بين اللبنانيين مهما كان مصدرها.

لقد وجدت استجابة ذكية لوصفتى هذه وإنى من المتفائلين فى مستقبل لبنان لما أعرفه فى أبنائه من إيمان وذكاء وواقعية. أملا أن يعنى المسلمون عامة والعرب خاصة بمشكلات لبنان فيدعموا التآخى الإسلامى ـ المسيحى للعمل من أجل لبنان الجديد: لبنان الإيمان والفضيلة، لبنان التسامح والتآخى، لبنان الفكر والحرية، لبنان العربى الموحد! ومن الله التوفيق.

الباب السادس

العلاقات الإسلامية

كم خسر العالم الإسلامى بسبب الحرب العراقية ـ الإيرانية ؟

إن أعظم كارثة حلّت بالعالم الإسلامى منذ الحرب العالمية الثانية (بعد كارثة فلسطين) هى فى نظرنا الحرب العراقية ـ الإيرانية. وإذا كانت وراء كارثة فلسطين قوى استعمارية عاتية ومخططات صهيونية غادرة والكارثة نازلة على المسلمين من لدن قوى عظمى فإن الحرب العراقية الإيرانية بين جارتين مسلمتين هى من صنع المسلمين أنفسهم فهى مأساة تحار فى تبريرها العقول وتعجز عن تفسير استمرارها الأفهام.

كاتب هذه السطور عراقى عربى مسلم شارك فى تحمل مسئولية السياسة الخارجية للحكومة العراقية مدة خمس عشرة سنة قبل الثورة العراقية التى أطاحت بالنظام الملكى فى العراق سنة ١٩٥٨ . ولما كنت بعيداً عن المشرق العربى وعن ممارسة السياسة منذ ما يقرب من ثلاثين سنة لا أعرف كيف تطورت العلاقات العراقية الإيرانية بعد ثورة (تموز) ١٩٥٨ . فقد كانت العلاقات بين القطرين الجارين على أفضل ما يمكن من الصفاء والتعاون فى العهد الملكى.

لم تمض شهور عديدة على اشتعال الحرب المشئومة بين العراق وإيران إلا واطلعت على مقال في مجلة أمريكية تعالج الشئون الخارجية يبحث كاتبه عن موقف إسرائيل في الحرب الدائرة بين العراق وإيران. خلاصة المقال معروفة سلفاً. فإسرائيل مرتاحة لهذه الحرب فهي في صالحها ولذلك فهي تريد استمرارها. كان ذلك قبل الكشف عن فضيحة (إيران ـ غيت) التي برهنت على النشاط الإسرائيلي في تغذية الحرب وإدامتها. مضت سنوات على ظهور ذلك المقال والمآسي التي تسببها الحرب تتفاقم. فمن خسارة ما يناهز المليون شخص من الأرواح المسلمة من الطرفين إلى قصف المدن بالطائرات ثم هدمها بالصواريخ إلى قصف البواخر وزرع الألغام إلى تدخل أساطيل الدول الأجنبية في الخليج وأخيراً وليس آخراً قصف طائرات الركاب الإيرانية وهلاك ما يقرب من الثلاثمائة راكب برىء ومن ضمنهم ما يزيد على الستين طفلاً والحبل على الجرّار...

هذه هي بعض الأضرار المادية التي لحقت بالدولتين المتحاربتين مباشرة. أما الأضرار السياسية والنفسية التي سببتها الحرب في داخل العالم الإسلامي عامة والعربي خاصة فهي أدهى وأمرّ. فقد ظهرت الدول العربية منقسمة على نفسها إزاء هذه الحرب فمنها المؤيدة لهذه الجهة ومنها المؤيدة لتلك ومنها من فضل عدم الإنحياز!

والضرر الخطير الذي نجم عن هذه الحرب هو ما ظهر بين المسلمين من انشطار وما انتشر من دعايات سامة مضللة. فقد صرنا

نسمع نغمة عرب وفرس وسنّة وشيعة! وصار المسلمون يعادى بعضهم بعضاً بسبب هذه الحرب. مثال ذلك ما حصل فى الباكستان من تصادم بين السنّة والشيعة.

وفى الحقيقة فإن الحرب بين العراق وإيران ليست حرباً عنصرية. إذ أن الإسلام لا يفرق بين عربى وفارسى وتركى وهندى فالكل إخوة إذا كانوا مسلمين حقاً. هذا وإن السادة الهاشميين من حكام إيران هم من أصل عربى اعتنقوا القومية الإيرانية. إذن فالحرب بين الجارتين المسلمتين ليست حرباً عنصرية. كما أنها ليست حرباً بين سنّة وشيعة. فالجندى العراقى الشيعى يحارب الجندى الإيرانى الشيعى. والدين الإسلامى الحنيف دين الوحدة والتوحيد لا يفرق المسلمين إلى طوائف. فالمسلمون جميعاً أمّة واحدة مهما تعددت الاجتهادات الدينية. فالأخوة الإسلامية ينبغى أن تعلو على العنصريات والقوميات والطائفيات. ومع ذلك فإن بعض أجهزة الإعلام ولا سيما الأجنبية منها والصهيونية على الأخص تحاول أن تبث الفرقة بين المسلمين وتعكر صفو العلاقات الأخوية بينهم فتجعل من الحرب بين العراق وإيران حرباً عنصرية وطائفية.

وفى الحقيقة فإنها حرب سياسة بين دولتين جارتين تتبنى كل منهما عقائدية خاصة. وبدل أن يحصل تلاق وتفاهم لغرض التعايش أو التكامل بين العقيدتين حصل تضارب وتصادم بينهما. ولم تتوفر مع الأسف الشديد هيئة دولية إسلامية كانت أم عالمية يمكن الاحتكام

إليها لحل الخلاف بين الجارتين بروح الإسلام ووفق تعاليم القرآن الكريم. أما وقد حلت المأساة واستعرت نار الحرب لمدة تقارب الثمانى سنوات (وهى حرب طويلة جداً فى عصرنا هذا) فنحن ندعو الله بإخلاص وخشوع بأن يهدى الإخوة فى كل من العراق وإيران إلى إيقاف النار فوراً. على أساس لا غالب ولا مغلوب فى هذه الحرب. والعمل على جبر الأضرار وإعادة المياه إلى مجاريها فى جوّ إسلامى أخوى وإعادة الطمأنينة إلى نفوس المسلمين وإنقاذ العالم الإسلامى من الانقسامات الطائفية والعنصرية. وعدم اللجوء إلى الاستعانة بدول أجنبية شرقية كانت أم غربية. فإن خبرتنا فى السياسة الدولية علمتنا أن الإعتماد على دولة أجنبية قد يكون فاتحة لعهد استعمار جديد... معاذ الله!

نحن ندعو الله تعالى أن يتحلى حكام المسلمين بالتقوى والعلم والحكمة والشجاعة ليقودوا شعوبهم فى سبيل الرشاد والسعادة. وإذا افترضنا توفر التقوى والعلم والشجاعة لدى الحاكمين فى البلدين الجارين فيحق لنا أن نتساءل أين هى الحكمة فى هذه الحرب؟ وأى منطق سليم وأىّ رأى حكيم يبرر استمرارها؟

(١) إنها حرب أهلكت الحرث والنسل ودمّرت الاقتصاد فى بلدين من أقوى البلاد الإسلامية وأكثرها ثروة ورخاءً.

(٢) إنها حرب لن يستطيع أىّ من الطرفين الفوز فيها. وذلك لعزم إسرائيل ومن ورائها الدول العظمى على عدم السماح لأى من

الطرفين أن يخرج منتصراً على حساب الطرف الآخر. فإذا انتصرت إيران يوما ما فسوف يسعف العراق لإعادة كفة الميزان. وإذا انتصر العراق يوماً ما فسوف تسعف إيران لإعادة كفة الميزان. فالمطلوب هو استمرار الحرب ودوام النزيف فى جسم العالم الإسلامى.

(٣) إن هذه الحرب لن تفيد العراق ولا إيران فى شيء فكلاهما خاسر فيها. المستفيد الأول منها هو إسرائيل ثم الدول العظمى التى لها مصالح سياسية فى المنطقة أو التى تستفيد من ترويج بضاعتها الحربية.

(٤) إن العراق وإيران الجارتين المسلمتين لا بد لهما أن يتعايشا فى جوّ من الإخاء والتعاون وأن يعترف كل منهما بسلامة وكرامة الطرف المقابل. وأن تحل المشكلات المعلقة بينهما بروح الإنصاف ووفق تعاليم الدين الحنيف.

لهذه الأسباب وللمصلحة الإسلامية العليا لا بدّ من إنهاء الحرب وإيقاف النار فوراً! هذا هو المسلك الحكيم. نحن من دعاة الوحدة الإسلامية والأخوة الإسلامية. ونحن نعتقد جازمين أن هذه الحرب لا تخدم الوحدة الإسلامية ولا الأخوة الإسلامية فى شيء. فالعكس هو ما حصل! ولذلك فنحن ندعو الأخوة المسلمين فى كل من العراق وإيران أن يعيدوا النظر فى مواقفهم العدائية وأن يحكموا ضمائرهم فى كل ما يتعلق بمستقبل شعوبهم ومستقبل العالم الإسلامى وأن تتوفر

لديهم الشجاعة الكافية لإعادة النظر فى سياستهم بحيث ينظرون إلى خصمهم فى زمن الحرب نظرة أخوية فى زمن السّلم. وندعو لله تعالى أن يرزق الجميع الهداية والحكمة.

﴿يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا﴾

وبالحكمة يتحقق السلام.

﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾

(المؤمنون ٥٢)

تقوى الله، محبة الله، طلب العون والهداية من الله، الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، التواصى بالحق والتواصى بالصبر، التعاون على البرّ والتقوى، التآخى بين المؤمنين وإصلاح ما بين الأخوة من شقاق، الشورى، الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، الاتحاد، الاستعداد، الجهاد، العمل الصالح، طلب العلم والحكمة، تسخير الطبيعة وتنميتها واستثمارها لخير الإنسان وصلاحه: هى بعض التعاليم المنصوص عليها فى القرآن الكريم. لو وعاها المسلمون وعملوا على تطبيقها فى حياتهم الخاصة والعامة لضمنوا لأنفسهم وللبشرية عامة الصحة والقوة والعزّة والسلام. ولكن واقع العالم الإسلامى اليوم فى واد والتعاليم الإسلامية فى واد. وهذا هو سر تأخر المسلمين وضعفهم وتشتتهم.

نظرة خاطفة سريعة على العالم الإسلامى تدلنا على أن معظم المجتمعات الإسلامية اليوم مبتلاة بالأمية والفقر والتخلف والاستبداد والعنف والتطرف. الدعوة إلى الإصلاح والتغيير تكاد تكون عامة ولكن دعاة التغيير مختلفون فيما بينهم ومتخاصمون أحياناً حول طبيعة التغيير وسرعة السير فيه، هناك ثلاثة أنماط من التفكير حول اتجاه التغيير:

(١) التغيير بالرجوع إلى السلف الصالح والعزوف عن التطورات العالمية في حقل الاجتماع والاقتصاد والسياسة والأخلاق. ولذلك فلا حاجة لما أفرزته المدنية الإنسانية من مبدأ ديمقراطى أو الأخذ بإعلان حقوق الإنسان العالمى أو تحرير المرأة.

أصحاب هذا الاتجاه متحمسون ذوو عواطف ملتهبة أحياناً وقد يمارس البعض منهم العنف أحياناً.

(٢) التغيير بالأخذ بكل ما توصلت إليه المدنية الإنسانية الحديثة من علم وتقنيات ونظم اجتماعية واقتصادية وسياسية ولا سيما مبادئ الحريات العامة وحقوق الإنسان والديمقراطية. إن دعاة هذا النمط من التغيير قد يتساهلون فى ممارسة الشعائر الدينية والبعض منهم يدعو إلى العلمانية.

(٣) التغيير الذى يجمع ويوحّد بين ما هو حىّ وجوهرى فى التراث وبين ما هو نافع ومناسب من المستجدات العلمية والتقنية والمبادئ السياسية والاقتصادية والاجتماعية. إنه المنحى الوسط بين النمطين الأول والثانى.

ولما كانت بعض الدول الإسلامية قد أخذت بالنمط الأول من التغيير فإنها قد تجابه حركات ودعوات داخلية من سكانها المعتنقين للنمط الثانى.

كما أن الدول الإسلامية الآخذة بالنمط الثانى من التغيير قد تجابه حركات ودعوات داخلية من قبل سكانها المعتنقين للنمط الأول

(السفلى). وكنتيجة لهذا الاختلاف فى إحداث التغيير قامت وتقوم قلاقل واضطرابات وحجر للحريات فى بعض البلاد الإسلامية بين حين وآخر. النتيجة إخلال بالأمن الداخلى وتصادم بين الدول الإسلامية التى تؤازر المعارضين من دولة أخرى بسبب الاختلاف فى منحى التغيير فالدولة السلفية قد تصطدم بالدولة المتطورة أحياناً.

ولما كان الدين الإسلامى يربط ويوحد بين الدنيا والآخرة وهو دين الوسط فنحن ندعو إلى الأخذ بالمنحى الثالث للتغيير، المنحى الذى يجمع ويؤاخى بين السلفيين والمتطورين فندعو إلى وفاق عام يؤسس على الاحتفاظ والاعتزاز بكل ما هو حىّ وصالح من تراثنا السلفى على أن يوحّد مع كل ما يساعدنا على النهوض والقوة والمناعة من علم وتقنيات وتنظيمات اجتماعية وسياسية واقتصادية حديثة. فالإيمان بالله وبالفضائل الإنسانية توجه نشاطاتنا العلمية والفكرية والتقنية والإقتصادية والسياسية. فالمنهج الذى نقترحه للعالم الإسلامى والذى يمثل فى نظرنا روح الإسلام هو منهج توحيدى شمولى حركى.

إن تخلف الدول الإسلامية فى حقل العلم والتقنيات من جهة وفى حقل الاتحاد والتضامن فيما بينهما من جهة أخرى طالما أدى إلى نزاعات وحروب دموية بين المسلم وأخيه المسلم فضعف العالم الإسلامى داخليا وخارجياً: أما داخلياً فبدل صرف الجهود والآمال فى سبيل الإعمار والازدهار فإنها توجه إلى القتل والدمار. ولذلك فإن ثروات المسلمين العظيمة فى النفط مثلاً وجهت لشراء السلاح

ولإشهار الحرب بدل أن تصرف لرفع مستوى الحياة فى العالم الإسلامى المحتاج إلى المال للإعمار والصحة والثقافة. وأما خارجياً فإن الدول الإسلامية المتخاصمة والمتفرقة قد تقع فريسة للدسائس والدعاية المغرضة والإعلام الأجنبى عامة والصهيونى خاصة.

إن الإستعمار والصهيونية يسعدان بمشاهدة البلاد الإسلامية تعانى من القلق الداخلى هنا وهناك ومن الحروب الدامية فيما بينها تستعر فى أىّ زمان ومكان. فدور الاستعمار والصهيونية فى مأساة فلسطين وفى حرب العراق وإيران وحرب العراق والكويت ثابت ومعروف. فقد استطاع الاستعمار والصهيونية أن يشقا الصفّ العربى الإسلامى بكل مكر وبراعة. والمسلمون مغفلون. ولقد برز التخلف الإسلامى بأجلى مظاهره فى ندوة «داكار» للقمة الإسلامية التى دعت إليها منظمة المؤتمر الإسلامى.

إن المنظمة كما هو معروف أسست بعد الاعتداء الغاشم على المسجد الأقصى ١٩٦٩ . هدفها الدفاع عن مقدسات الإسلام وتوحيد كلمة المسلمين وإيجاد الرابطة الأخوية فيما بينهم كما تقتضى ذلك تعاليم القرآن الكريم. فما حدث فى مؤتمر القمة هذا يمثل مأساة إسلامية تدلنا على أن التمسك بالرابطة الإسلامية وبالأخلاق الإسلامية هبط إلى الحضيض عند بعض الساسة المسلمين. ها نحن نشير إلى المواقف التالية:

(١) قرر مؤتمر القمة فى داكار التمسك بحقيقة أن الصهيونية هى نوع من أنواع العنصرية. ولما طرح الموضوع فى الجمعية العامة للأمم المتحدة فيما بعد وإذا بالعديد من الدول الإسلامية تنسى القرار الإسلامى وتصوت إلى جانب القرار الأمريكى ـ الصهيونى مبرئة الصهيونية من العنصرية!

(٢) يقوم أخ مسلم فى المؤتمر فيطلب حذف كلمة «الجهاد» من أجل إنقاذ فلسطين والقدس الشريف تقرباً من إسرائيل وحاميتها الولايات المتحدة. مع أن القرآن الكريم واضح كل الوضوح حول الموقف المطلوب المسلم أن يقفه إزاء إسرائيل فى آيات ثلاث متتابعة (هى غاية فى الحكمة والدعوة إلى السلام) فى سورة الممتحنة:

الآية ٧: **﴿عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم﴾**.

آية تحض على السلام.

الآية ٨: **﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبرو هم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾**.

آية تدعو إلى التعايش مع اليهود المسالمين.

الآية ٩: ﴿**إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون**﴾.

هذه الآية تعتبر كل من يوالى الطغاة المعتدين الذين يخرجون الفلسطينيين من ديارهم ويرمونهم خارج حدود بلادهم من أمثال: (بيغن وشامير وشارون) ظالماً.

الإسلام دين سلام وليس دين استسلام والجهاد إنما قصد به حماية السلام. فحماية السلام تتطلب الاستعداد للجهاد.

من المؤسف حقاً أن يقترح أخ مسلم حذف كلمة «الجهاد» من أجل فلسطين. إن هؤلاء قد يفهمون «الجهاد» بأنه عمل عدوانى. إنه أبعد ما يكون عن ذلك. إنه كل جهد فى الحياة يؤدى لإحقاق الحق وعمل الخير والدفاع عن الوطن والشرف والكرامة. إنه مبدأ إنسانى سام للمسلمين أن يفخروا به فلولا الجهاد ما تحررت معظم الأقطار الإسلامية من الاستعمار. وإن إهمال مبدأ الجهاد والتقاعس فيه هو الذى جعل الألف مليون نسمة من المسلمين يقفون ضعفاء مستجدين أمام الصهيونية العالمية المعتدية على الحق العربى الإسلامى فى فلسطين. الصهيونية التى تجاهر بعزمها على إنشاء إسرائيل الكبرى «من النيل إلى الفرات» وعلى هدم المسجد الأقصى الشريف وإنشاء

هيكل سليمان مكانه. إن حذف كلمة «الجهاد» يمثل مأساة إسلامية حقيقية.

(٣) إنه لمن المحزن حقاً أن يقوم أخ مسلم فى قمة داكار متحدثاً عن مأساة الخليج فيقول:

«إن ما أقرته الأمم المتحة ضد العراق كان مستمداً من الشريعة الإسلامية وأن العقاب للعراق ضرورى «لعدم تكرار الجريمة» وإن رفع المعاناة عن الشعب العراقى يعتبر مكافأة للنظام العراقى. وإن دول التعاون الخليجي هى التى دفعت مجلس الأمن الدولى لاتخاذ قرارات ما زال العراق يرفضها» (القدس العربى فى عددها الصادر ١٩٩١/١٢/٩).

إنه مؤسف حقاً أن يقال هذا الكلام فى ندوة قمة إسلامية. لأن العقوبات على العراق لم تنشأ من تعاليم القرآن الكريم بل من مصدر أمريكى ـ صهيونى «وإن رفع المعاناة عن الشعب العراقى يعتبر مكافأة للنظام العراقى» هو كلام سمعناه مباشرة من الرئيس بوش مراراً وتكراراً. لم يكن الرئيس بوش متحدثاً باسم الشريعة الإسلامية ولا نعتقد أنه قرأ القرآن الكريم فى حياته. إن العقوبة على العراق التى أصدرها مجلس الأمن فقدت شرعيتها وليس فى ميثاق الأمم المتحدة ما يأذن لمجلس الأمن أن ينزل عقوبات على الأعضاء. هذا وإن كاتب هذه السطور كان مشاركاً فى

اللجنة التي صاغت فصول مجلس الأمن سنة ١٩٤٥ في الميثاق.
أما حرمان الشعب العراقي ففيه تحدّ سافر للائحة إعلان حقوق الإنسان.

إن القرآن الكريم يدعو إلى الإصلاح بين الأخوة المتحاربين ويدعو إلى التآخي والتصافي والتراحم بين المسلمين كما يدعو إلى الرحمة والشفقة بالأطفال واليتامى والمرضى والعجزة والمرضعات وليس في إسعافهم هذا منّة لأحد إنه «حق معلوم للسائل والمحروم». نحن ندعو الإخوة المسئولين عن شئون العالم الإسلامي أن يعودوا دوماً إلى القرآن الكريم وأن يتجنبوا الانزلاق في سياسة أو دعاية تخططها الصهيونية للعالم الإسلامي ونتقبلها كأنها جزء من الشريعة الإسلامية لا سمح الله.

يتبين من كل ما مر أعلاه أن العالم الإسلامي يجابه مشكلات خطيرة وعويصة في سياسته الداخلية والخارجية. ونحن ندعو أولي الأمر أهل العلم والخبرة في العالم الإسلامي أن يعملوا على وضع منهج إسلامي موحّد وموحِّد للمسلمين جميعاً يستنبط من تعاليم القرآن الكريم والسنة الشريفة ويتقبس ما فيه خير وصلاح وقوّة من المدنية الإنسانية المعاصرة. منهج يوحد ويؤاخي المسلمين ينهض بالإنسان المسلم في كل بقاع الأرض. ومن الله الهداية والتوفيق.

هل من نهاية للحروب وتصفية للقلوب بين المسلمين ؟

﴿شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان....﴾ هو شهر الطاعة والتوبة وطلب المغفرة والرحمة من الله تعالى. إنه يزود المسلم بفرصة لمحاسبة النفس وإصلاحها للدعاء الى الله أن يهدى المسلمين إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم وعزّهم واتحادهم.

تأملت ليلاً (فى ليلة الخامسة عشرة من رمضان) فيما يعانى منه المسلمون اليوم من قطيعة وحروب سفك دماء وآلام وأحزان للأبرياء، فسألت نفسى هل من نهاية للحروب وثم تصّفية للقلوب بين المسلمين فى شهر رمضان المبارك؟ خذ الحرب الطاحنة بين العراق وإيران وهى فى النصف الثانى من سنتها الثامنة. إنها حرب سببت من المآسى والدمار ما فاق ما أحدثته الحرب العالمية الثانية فى أوروبا. ونحن نتساءل من المستفيد من هذه الحرب؟ وإلى أين المصير فيما يحدث من سفك دماء وتهديم مدن؟ متى تنتهى هذه المآسى؟ وهل الإسلام (دين السّلام) يسمح باستمرار هذه المآسى؟

المطلوب من كل مسئول فى العالم الإسلامى (وكلنا مسئولون) أن يرجع إلى ضميره ويحاسب ذاته طالباً الهداية والغفران من الله تعالى

ويقرر تصحيح أو تعديل الخط السياسى السائر فيه فيما إذا وجد أنه يحتاج إلى تصحيح أو تبديل.

نحن نعتقد أن هذه الحرب الضروس بين العراق وإيران أضرت بالمسلمين ضرراً بليغاً. فعدا عن الخسائر المادية فى النفوس والعمران فإنها أوجدت جرحاً عميقة فى جسم الأمة الإسلامية أحدثت انقسامات وخصومات سياسية تستدعى الرجوع إلى الله تعالى طالبين العون والهداية ليجبر الكسور ويعيد الصفاء إلى القلوب.

نحن نعلم حق العلم بأن إسرائيل ترغب فى استمرار هذه الحرب وهى تعمل فى السرّ والعلن من أجل ذلك. وإن الدول العظمى ولا سيما التى تتاجر بالسلاح أو التى لها مآرب خاصة فى الشرق الأوسط لا يضرها استمرار الحرب بل قد ينفعها. كل ذلك على حساب دولتين إسلاميتين: إيران والعراق. إيران والعراق بلدان مسلمان قويان غنيان بالحضارة وبالأراضى والمياه والنفط والمعادن يهدران الثروات فى سبيل تدمير أحدهما الآخر بدل صرف هذه الثروات فى سبيل الإعمار ورفع المستوى المادى الروحى لشعبيهما. مئات من الآلاف المسلمين هلكوا فى هذه الحرب فى كلا البلدين، ومئات الآلاف من الأفراد ترملوا أو تيتموا ذلك عدا الخسائر فى المصانع والمزارع ومصادر الثروة. الحرب هذه أضعفت الدولتين الغنيتين القويتين. وبذلك ضعف العالم الإسلامى. وهذا ما يريده الأعداء. فى شهر رمضان المبارك هذا

نحن ندعو الأخوة المسلمين فى العراق إيران أن يرجعوا إلى الله تعالى وإلى كتابه المجيد:

طالبين الغفران والهداية منه تعالى.

متجردين من الأحقاد والضغائن السياسية أو المذهبية.

محكمين العقل وازنين الأمور بميزان الحق والواقع.

مدركين أن هذه الحرب لا تحل المشكلات القائمة بين القطرين الجارين ولا يستفيد منها أىّ من الطرفين.

مدركين أن المستفيد الأول منها هو العدو المشترك إسرائيل.

وعليه فنحن نقترح:

أن يعمل الطرفان على إيقاف النار فوراً.

أن يلتقيا حول مائدة مستديرة مقرها الجزائر أو تركيا أو الباكستان على أساس لا غالب ولا مغلوب.

أن يتفقا على جبر الأضرار لكلا الطرفين وإصدار العفو العام والتعويض للمتضررين من كلا البلدين بدون تمييز على أساس الانتماء المذهبى أو العنصرى.

أن ينسق البلدان سياستهما الخارجية على ضوء مقررات منظمة المؤتمر الإسلامى.

أن تحترم الشعائر الدينية وتضمن حرية العبادات وزيارة العتبات المقدسة والدراسة الدينية فى النجف الأشرف وفق التقاليد التى سادت فى أواخر العهد العثمانى.

أن يسود جو التعاون والإخاء بين الجارتين المسلمتين بروح الإسلام ووفق تعاليم القرآن الكريم.

أتذكر أن المغفود له الملك محمد الخامس ملك المغرب دعى لزيارة العراق (قبل وفاته) فاشترط لقبول الزيارة تبديل حكم الإعدام والخمسة وخمسين سنة سجناً الصادر بحقى من قبل المحكمة العسكرية العليا الخاصة. زار العراق فى شهر رمضان المبارك وفى صباح عيد الفطر المبارك أعلنت إذاعة بغداد تبديل الحكم الصادر بحقى بعشر سنوات سجن فكان العيد بالنسبة لى عيداً سعيداً!

ونحن ندعو الله تعالى أن يهدى المتحاربين من الطرفين بأن يلغوا أحكام الإعدام الصادرة منهم على المسلمين المتحاربين من كلا البلدين وأن يتم إعلان السلام يوم عيد الفطز المبارك بحيث يحل العيد وقد سكتت المدافع وانتهى قصف الصواريخ. فيكون العيد عيداً سعيداً للشعبين الجارين المسلمين وللعالم الإسلامى أجمع.

وفى الختام أدعو إخوانى فى كل من العراق وإيران أن يتدبروا قوله تعالى: ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً**

وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾.

صدق الله العظيم

السلام المنشود
بين العراق وإيران

استبشر العالم قاطبة (باستثناء إسرائيل) بإيقاف الحرب الضروس بين الجارتين المسلمتين العراق وإيران. وتنفس العالم الإسلامى الصعداء بإعلان وقف إطلاق النار.

ولئن كانت عملية إيقاف الحرب شاقة وطويلة فإن عملية تحقيق السلام قد تكون أطول وأصعب ما لم يظهر كل من الطرفين المتحاربين استعداداً لدفن الماضى البغيض الذى احتوى على الخصومات والعداوات وسوء الظن والمهاترات وإحياء الماضى المنير الذى جاء برسالة التوحيد والإخاء والعدل ونشر راية العلم والعرفان والأدب الرفيع بين شعوب العالم شرقا غربا شمالا وجنوبا.

إن التاريخ فى نظرنا سيف ذو حدين: إنه قد يصبح عامل عداء وصراع بين أخوين فيما إذا وقع التأكيد فيه على الخلافات القديمة والعداوات والأطماع وما يرافقها من عصبيات جاهلية. كما أن التاريخ يمكن أن يصبح عامل تقارب وتعاون إذا وقع التأكيد فيه على عناصر الوحدة والمصلحة المشتركة والعمل معا فى سبيل تحقيق الآمال المشتركة ودفع الأخطار المحدقة بالأمة الإسلامية. هذا وإن ما بين العراق

وإيران من صلات دينية وتاريخية وجغرافية وسياسية مشتركة تتضاءل أمامها كل الخلافات والاندفاعات الظرفية التى أدت إلى الحرب المؤسفة بين الجارين المسلمين. فنحن جميعا نعلم أن العرب والفرس أسهما معا فى بناء الحضارة العباسية فى بغداد كما نعلم أن قبر الخليفة العباسى العظيم هارون الرشيد هو فى خراسان (شمال شرقى إيران) إلى جانب قبر الإمام الرضا. وإن المأمونية التى كانت مصيف الخليفة المأمون تقع فى ضواحى مدينة خراسان فعلينا أن نتذكر دوما بأن الدين الإسلامى الحنيف آخى بين العرب والفرس والترك والهنود والزنوج وسائر عناصر الشعوب الإسلامية. فالمسلمون أمة واحدة وحدها الإسلام وآخى بين عناصرها. ولذلك فنحن نأمل أن تسود روح الإخاء وحسن النية بين المتفاوضين من الطرفين وأن يتقابلا حول طاولة المفاوضات لا كمتخاصمين متصارعين بل كصديقين متآخين يعملان معا على تصفية الجو وإعادة المياه إلى مجاريها على أساس لا غالب ولا مغلوب.

نحن نعترف بأن المشكلات القائمة التى أدت إلى الحرب وأن الخلافات والمطالبات المتقابلة بين الجارين عديدة وبعضها معقد يتطلب حله بعض الوقت. ولكن الحل يكون سهلا إذا توفرت روح الإخاء والحكمة وحسن النية لدى الطرفين. وعلى العكس فقد تصبح عملية السلام صعبة للغاية فيما إذا تمسك أحد الطرفين بمواقف صلبة أو تقدم بمطالب مشطة معجزة. وقد يكون من المفيد فى هذا الصدد أن

أقدم للطرفين المتفاوضين نماذج من خبراتى التاريخية فى معالجة العلاقات بين العراق وإيران بروح الإخاء وحسن النية:

(١) فى سنة ١٩٤٩ يوم كنت وزيرا لخارجية العراق ذهبت بصحبة سمو الوصى على عرش العراق الأمير عبد الإله فى زيارة رسمية إلى إيران، وكان الأستاذ (على أصغر حكمت) على رأس وزارة الخارجية الإيرانية. فترأس هو وفدا إيرانيا كما ترأست أنا وفدا عراقيا. تفاوض الوفدان مدة ثلاثة أيام كاملة. استعرضنا كل القضايا المعلقة بين القطرين الجارين ووجدنا لها حلولا بروح الإخوة والثقة المتبادلة. واتفقنا على الرجوع إلى التحكيم فى كل مسألة يعسر الاتفاق عليها بين الطرفين لا سيما ما يتعلق بقضايا الحدود.

(٢) فى سنة ١٩٥٢ وفى اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة حصل تنافس بين إيران ولبنان حول إشغال كرسى مجلس الأمن. فجاءنى الأخ اللبنانى راجيا مساعدتى فى إقناع الوفد الإيرانى بأن يتنازل عن مطالبته بكرسى مجلس الأمن لصالح لبنان. قمت بالمهمة وحصل لبنان على كرسى مجلس الأمن. وبعد سنتين وبانتهاء عضوية لبنان رشحت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية العراق ليحل محل لبنان فى إشغال كرسى مجلس الأمن. اعتذر العراق عن قبول الترشيح نظراً للوعد الذى كنت قطعته لإيران حين تنازلت لصالح لبنان عن المطالبة بالكرسى قبل سنتين.

كان لهذا الموقف الذى وقفه العراق وقعه الحسن فى نفوس المسئولين الإيرانيين.

(٣) فى عهد الدكتور مصدق رئيس وزراء إيران سنة ١٩٥٣ ونشاط حزب توده الشيوعى فى إيران كنا نخشى أن يمتد التيار الشيوعى من إيران إلى العراق. وبمناسبة تتويج الملك فيصل الثانى (رحمه الله) جاء الدكتور فاطمى وزير خارجية الدكتور مصدق إلى بغداد. أقمت له دعوة عشاء فى دارى. واقترحت عليه أن نلتقى غدا صباحا فى دارى للتداول فى بعض الأمور. دعوت السيد نورى السعيد للحضور والمشاركة فى الحديث. وبعد نقاش دام أكثر من ساعتين خرجنا متفقين على ضرورة استمرار حسن الجوار بالرغم من تباين «فلسفة الحكم» فى كل من الجارين. وتعهد كل منا بأن لا تصبح إيران جسرا تعبر عليه الشيوعية لغزو العراق. وأن لا يصبح العراق جسرا يعبر عليه الاستعمار الغربى لغزو إيران. وهكذا دام التعايش السلمى بين الجارين المسلمين.

(٤) كنا فى العراق نسعى جاهدين لتحقق البحرين استقلالها وكان ذلك يتطلب إقناع إيران بأن تتنازل عن مطالبتها بالبحرين. كان اتصالنا عن طريق الأديب الكبير (قدس نخعى) وزير البلاط الذى كان سفيرا سابقا فى العراق. فكان المرحوم قدس نخعى ينصحنا بالهدوء والكتمان ويعمل فى الوقت نفسه على إقناع الشاه.

نستنتج من كل ما مر أعلاه أن هناك رجالا حكماء يمكن الاستفادة منهم فى تصفية الأجواء فيما إذا توفرت العلاقات الحسنة وصفاء النية لدى المسئولين من الجانبين. وجل ما نرجوه وندعو إليه هو أن يبدأ المتفاوضان الإيرانى والعراقى بفتح صفحة بيضاء نقية بين الجارين المسلمين وأن يتناسيا (جهد المستطاع) مآسى الحرب المنتهية وما خلفته من دمار وويلات والعمل سوية على جبر الكسور وتعمير الخراب وبناء المستقبل الزاهر للعالم الإسلامى. وندعو الله تعالى أن يهدى الجميع إلى ما فيه خير الإسلام وعزة المسلمين.

السلام المنشود بين العراق وإيران
تعقيب على تعقيب

لقد اطلعت على تعقيب السيد داود إبراهيم المنشور فى «الشرق الأوسط» العدد المؤرخ ١٩٨٨/٩/٤ حول ما جاء فى مقالى «السلام المنشود بين العراق إيران» فأبدى ما يلى:

ـ أرحب بقول المعقب «من حق الشباب العرب أن يعرف ما يدور بصراحة وبدون مواربة» وبقوله «إذ أن الكثير من المعلومات ليس من اليسير علينا أبناء الجيل الحديث أن نلم بها من مصادرها الأصلية». يسرنى حقا أن أسمع شابا عربيا يبحث عن الحقيقة من مصادرها الأصلية.

ـ إذا كان المعقب الفاضل يعتبرنى من المصادر الأصلية فأقترح عليه أن يطلع على كتاباتى ومحاضراتى العديدة فى الشئون العراقية، ليدرك الصلة بين ما قلته فى مقالى «السلام المنشود بين العراق وإيران» وبين الماضى القريب والمستقبل الآتى. فليبحث فى كتابى «العراقى الحديث: آراء ومطالعات فى شئونه المصيرية» وعن خطابى فى المجلس النيابى العراقى عن «سياسة العراق الخارجية» سنة ١٩٤٩. وعن دفاعى أمام

المحكمة العسكرية العليا الخاصة التى ترأسها العقيد فاضل عباس المهداوى.

ـ أنى بعيد عن حقل السياسة فى المشرق العربى منذ ثلاثين سنة ولم أطلع على بواطن العلاقات بين العراق وإيران خلال هذه الحقبة كما لم أتدخل فى الشئون السياسية العراقية مطلقا. إذ انصرفت إلى عالم الدرس والتدريس على الأكثر.

ـ إن السياسة الدولية فى نظرى تشبه قبة متماسكة الحجارة فإذا سقطت حجارة واحدة من القبة قد تليها الحجارة المجاورة وقد تصبح القبة كلها عرضة للانهيار. وهذا ما حصل فى قبة السياسة فى الشرق الأوسط بالفعل. فقد كان العراق متماسكا مع العالم العربى من جهة ومتماسكا مع جيرانه من الدول الإسلامية من الجهة الأخرى. فقد قام فيصل الأول (مؤسس الدولة العراقية الحديثة) بإنشاء قبة السياسة العراقية. فبدأ بتصفية الجو مع أخيه الملك عبد العزيز آل سعود أولا ثم أسس صداقة متينة مع كل من مصطفى كمال (أتاتورك) زعيم تركيا وشاه إيران رضا بهلوى وفى عهد الملك غازى وضع ميثاق سعد أباد. وفى الخمسينيات وضع ميثاق بغداد وكلاهما يربطان العراق بكل من تركيا وإيران وباكستان وأفغانستان. ومنذ قيام الثورة المصرية سقطت الحجارة المفتاح من القبة. ثم دعم الرئيس عبد الناصر القائمين بثورة ١٤ يوليو (تموز) ١٩٥٨ فى العراق. وبقيام ثورة ١٤ يوليو (تموز) تخلى العراق عن ميثاق بغداد واستقدم السيد البارزانى من روسيا

السفياتية فقام بالثورة الكردية فى شمال العراق وكان يحصل على التأييد والعون من شاه إيران وإسرائيل والولايات المتحدة فحصلت تطورات سياسية فى العراق انتهت بتسلم الثورة البعثية الحكم فى العراق. وفى إيران أزيح الشاه وقامت ثورة إسلامية بزعامة الخمينى. وكلتا الحركتين لم تتوصلا إلى تفاهم وتكامل بل قام بينهما تصادم وتخاصم مما أدى إلى الحرب المجنونة التى أضرت بالبلدين الجارين وأضعفت العالم الإسلامى عامة والعربى خاصة. ولما كنت فى طبيعتى نشوئيا إصلاحيا فإنى أستعيذ بالله دوما من شر الثورات والثورية مهما كانت مصادرها أو أهدافها.

ـ على المسئولين فى الشرق الأوسط اليوم أن يفكروا مليا فى بناء قبة جديدة تضمن السلامة والاستقرار وحسن الجوار للجميع. ونأمل أن يكون الحجر المفتاح فى القبة اتحاد عربى ضمن تآخ إسلامى شامل.

ـ أؤكد للمعقب الفاضل أن للعواطف والأوضاع النفسية والعلاقات الشخصية دورها المهم فى العلاقات الدولية لا يجوز الاستهانة بها.

ـ إن ما بين العراق وإيران اليوم ليس أكثر مما كان بين فرنسا وألمانيا من حروب وعداء وتنافس. وها هى فرنسا اليوم تتعايش مع ألمانيا بل تتحد معها فى الشئون الاقتصادية والسياسية والثقافية والدفاعية. إذن

فالسلام وحسن الجوار والتعايش الأخوى بين الجارتين المسلمتين من الأمور الممكنة بل والضرورية.

ـ إن إحلال السلام بين العراق وإيران يتطلب توفر الثقة بين الطرفين قبل كل شيء لا بد من أن يطمئن كل طرف من نوايا الطرف الآخر. وهذا جل ما حاولت التأكيد عليه فى مقالى «السلام المنشود بين العراق وإيران» فالمقال تاريخى توفيقى أكثر منه سياسى جدلى.

ـ أما وقد بدأت المفاوضات بين العراق وإيران فلتهدأ الأعصاب ولتصفُ القلوب ولتستيقظ الضمائر لتحكم العقول وليكن القرآن الكريم هاديا ومرشدا للجميع.

ـ لا بد من الاتفاق مبدئيا على إحالة القضايا المستعصية الحل على هيئة دولية أو هيئة تحكيم أو محكمة العدل الدولية. ولتحل لغة المنطق والحق محل لغة النار والدمار.

هل من وعى
عربى- إسلامى جديد ؟

قرأنا فى جريدة «الهرالد تريبيون» الأمريكية مؤخراً تحليلاً إخبارياً مفادها أن الدول العربية لم يعد لها وزن يعبأ به فى النظام العالمى الجديد. لم نستغرب من هذا التحليل فإنه يعبر عن الواقع. فقد نجح العدوّ فى شق الصف العربى وتمزيق شمل الدول العربية وجعل الأخ يعادى أخاه والجار لا يثق بالجار. والعاقبة؟ هبط وزن الأمة العربية (إلى ما تحت الصفر) خارجياً وانتشر الفقر والحرمان والتعصب والتمذهب داخلياً. فلا يخلو بلد عربى من عناصر إرهابية. ولا يوجد بلد عربى عنده وفر فى الدخل (حتى البلاد النفطية الغنية فإنها اضطرت إلى الاقتراض).

واستطاعت دول غربية عظمى (بتخطيط صهيونى ماكر) أن تهيمن من جديد على السياسة العربية فى الشرق الأوسط مبتدئة بسحق العراق وتهديد كل دولة عربية تعادى إسرائيل بالعقوبات التى يفرضها مجلس الأمن بحجة أن هذه الدول تؤوى الإرهاب كليبيا أو سوريا أو أنها تعدّ لإنتاج قنبلة ذرية كسوريا وإيران والباكستان. أو مصنعا للغازات السامة فى ليبيا!

لقد أصبح مجلس الأمن أداة إخلال بالأمن فى الشرق الأوسط بعد ما أنزله على الشعب العراقى من هلاك الأنفس البشرية نساءً وأطفالاً وشيوخاً يحرمون من الغذاء والدواء وينشر الفقر وتحجر الحريات الاقتصادية والدول العربية التى نفوسها تربو على المائتى مليون والمسلمون فى العالم (ويعدون أكثر من ألف مليون) صامتون مستسلمون كأن الأمر لا يمسهم. فلم تظهر دولة واحدة على الصعيد الدولى تتحدى قرارات مجلس الأمن التى داست الشرعية الدولية وتحدت مبادئ ميثاق الأمم المتحدة. ونحن طالما رددنا البيت العربى الشعبى:

من حلقت لحية جار له فليسكب الماء على لحيته!

فى خطابنا لكل دول العالم الثالث ولا سيما العربية منها. فإذا عومل العراق بهذه القساوة وهذه اللا شرعية فسيأتى دور دول أخرى: ليبيا، سوريا، لبنان، الأردن، إيران، الباكستان... إلخ، ومن الناحية السياسية وفى الحقل الدولى ليس بين هذه الدول من مارس الإرهاب واستعمل الأسلحة الفتاكة وامتلك الأسلحة الذرية كإسرائيل. ولكن إسرائيل فى منجى من كل عقوبة وويل للدولة التى تمسها فإنها مجرمة سلفاً أمام شريعة الغاب وستحظى بالعقوبات التى تعيدها إلى صوابها!

إن الوضع الدولى الذى نعيشه اليوم والذى يتسم بالتشرذم والتبعية والمذلة والفقر والضعف والعداوات والقطيعات. والإرهاب. وسفك الدماء والخوف والقلق والاستبداد وكمّ الأفواه إنما هو وضع يسر العدو

ويحزن الصديق. إنه وضع لا يمت إلى العروبة والإسلام بصلة. ويحق لنا أن نثير سؤالاً أثرناه قبل سبع سنوات فى مثال فى مقال نشرناه بعنوان «هل نحن عرب حقاً ومسلمون صدقاً؟».

فالعروبة رابطة قومية تتميز بالأخلاق قبل كل شىء فالعربى الأصيل إنسان شريف، أبىّ الضيم، شجاع، شهم، وفىّ، كريم، يستجيب للنخوة، صادق، مضياف، حافظ للعهد، ذو مروءة... إلخ.

وكلها صفات لو عاشها العرب فى حياتهم القومية والدولية ووحدوا صفوفهم لأمنوا حريتهم وكرامتهم ولما لحقت بهم المذلّة والإهانات التى يتلقونها من إسرائيل وبواسطتها ولأجلها فى مجلس الأمن!.

أما الدين الإسلامى الحنيف فإنه دين سلام مؤسس على التوحيد والعدل والإخاء بين بنى البشر. إنه دين الإحسان ولا سيما للجار. إنه دين التكافل والتعاون والأمر بالمعرف والنهى عن المنكر. إنه دين العزة والمنعة. دين الدفاع عن النفس وعن حرية العقيدة إنه دين الاتحاد والاستعداد والجهاد دفاعاً عن الأمة والوطن... إلخ.

إن تعاليم الإسلام هذه تأبى الوضع المشين الذى يعيشه المسلمون اليوم الوضع الذى يتسم بالضعف والجهل والصراع الداخلى بين قطر وآخر وعداء بين زعيم وآخر الأمر الذى أدى إلى:

(١) استفحال الخطر الصهيونى والسير قدماً فى سبيل تحقيق إسرائيل الكبرى. وها هو شامير يصرح علناً بأنه لن يتنازل عن شبر من

أرض فلسطين العربية تحقيقا لإنشاء إسرائيل الكبرى التى تمتد من النيل إلى الفرات وجنوباً إلى المدينة المنورة. هل أدرك العرب الخطر الصهيونى المقبل أم بعد؟

(٢) القدس الشريف واقعة تحت خطر التهديد. والمسجد الأقصى مقرر هدمه فى أقرب الآجال وإنشاء هيكل سليمان مكانه. هل هناك استعداد إسلامى لإنقاذه حقاً أم يكتفى بالاحتجاجات واللقاءات التى لا يعقبها فعل؟.

(٣) إن الشعب الفلسطينى مشرد فى الخارج ومضطهد فى الداخل. هل من خطة عربية ـ إسلامية للدفاع عن حقه؟.

(٤) إن موارد رزق الشعب الفلسطينى الذى يرزح تحت نير الاحتلال تكاد تكون معدومة. فالعديد من سكان قطاع غزّة مضطرون إلى الذهاب يومياً وتحت ظروف خطرة وقاسية إلى خدمة اليهود فى إسرائيل فى إشغال وضيعة لا يمارسها اليهود أنفسهم. فالعربى يقاسى الذل والمهانة لكسب لقمة العيش. ألا تقضى المروءة العربية بإنقاذ هؤلاء العمال وتزويدهم برأس مال يمكنهم من العمل من أراضيهم وجعلهم يخدمون أنفسهم بدل خدمة الإسرائيليين.

(٥) كيف تبرر الدول العربية خاصة والإسلامية عامة:

(أ) سكوتها وإهمالها محاسبة الولايات المتحدة عن عدم

إعترافها بحق تقرير المصير للفلسطينيين وهو أمر أقرته (الجمعية العامة للأمم المتحدة) ونص عليه ميثاق عصبة الأمم وميثاق الأمم المتحدة؟.

(ب) وكيف تعتبر الولايات المتحدة منظمة التحرير الفلسطينية منظمة إرهابية فلا تتعامل معها وهى منظمة معترف بها دولياً بأنها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطينى وهى إنما تفعل ذلك إرضاءً لإسرائيل فى الوقت الذى تسكت عن الإرهاب الإسرائيلى فى داخل فلسطين المحتلة وفى لبنان وفى اغتيال الزعماء الفلسطينيين فى العديد من البلاد الأوروبية والعربية.
نحن نعلم أن الخليفة العظيم عمر بن الخطاب قال:

الساكت عن الحق شيطان أخرس فلماذا السكوت أيها العرب وأيها المسلمون عن المظالم التى تسلط على عرب فلسطين؟

(٦) هل اقتنع العرب خاصة والمسلمون عامة بأن حرب الخليج إنما وقعت من أجل إسرائيل ولسلامة إسرائيل قبل كل شىء. هذا ما صرح به مسئول أمريكى ونشرته أجهزة الإعلام الأمريكية أخيراً.

(٧) هل يعلم العرب خاصة والمسلمون عامة بأن الموقف الأمريكى إزاء العراق وليبيا وسوريا وإيران والباكستان يؤسس على معلومات يقدمها جهاز الاستخبارات الأمريكى وإن جهاز الاستخبارات الأمريكى متعاون تعاوناً وثيقاً مع جهاز الاستخبارات الإسرائيلى

(الموساد) وفق اتفاق بين الدولتين. وأن جهاز صنع القرار حول سياسة أمريكا تجاه الشرق الأوسط أكثريته من المنحازين إلى إسرائيل فى الوقت الحاضر. وأن الرئيس الأمريكى مضطر للإصغاء إلى أجهزة الإعلام التى يطغى عليها النفوذ الصهيونى.

(٨) نحن نسائل الدول العربية والإسلامية المتعادية أو المتقاطعة فيما بينها لمصلحة مَن هذه القطيعة أو هذه الخلافات؟ أليست لمصلحة العدو؟ وما هو موقف الأخلاق العربية والتعاليم الإسلامية منها؟

(٩) نحن نسائل المسلمين فى كل مكان أما آن الأوان لأن نعمل جميعا بتنفيذ قوله تعالى: ﴿**إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون**﴾ لماذا التفريق بين المسلمين وسفك الدماء: بين أبناء المذاهب المتعددة والنزعات السياسية المتضاربة المذابح بين السنة والشيعة فى أفغانستان وباكستان الدماء تسفك فى الجزائر وفى مصر بين بعض الأصوليين وأنظمة الحكم؟ هل يسمح الدين الإسلامى لبلد مسلم صديق وجار أن يأوى طائرات أجنبية تهدد أمن العراق وتخرق سيادته مخالفة الأعراف الدولية؟

يتضح من كل ما مّر أعلاه أن السبب الرئيسى لتخلف العرب خاصة والمسلمين عامة هو عزوفهم عن مزايا عروبتهم وإهمالهم تعاليم دينهم. فلا بد إذا شئنا النهوض ومجاراة النظام العالمى الجديد من وعى جديد. والوعى الجديد هذا يتطلب:

(١) نظرة جذرية فى برامج التربية والتعليم نظرة تؤكد على الأخلاق العربية الأصيلة والفضائل الإسلامية السامية فى حياة الإنسان المسلم لتصبح أفعالاً وخصالاً يعيشها. فلا يجوز الاكتفاء بالحفظ اللفظى الببغائى والتسميع كما هو جار فى بعض نظمنا التربوية السائدة اليوم.

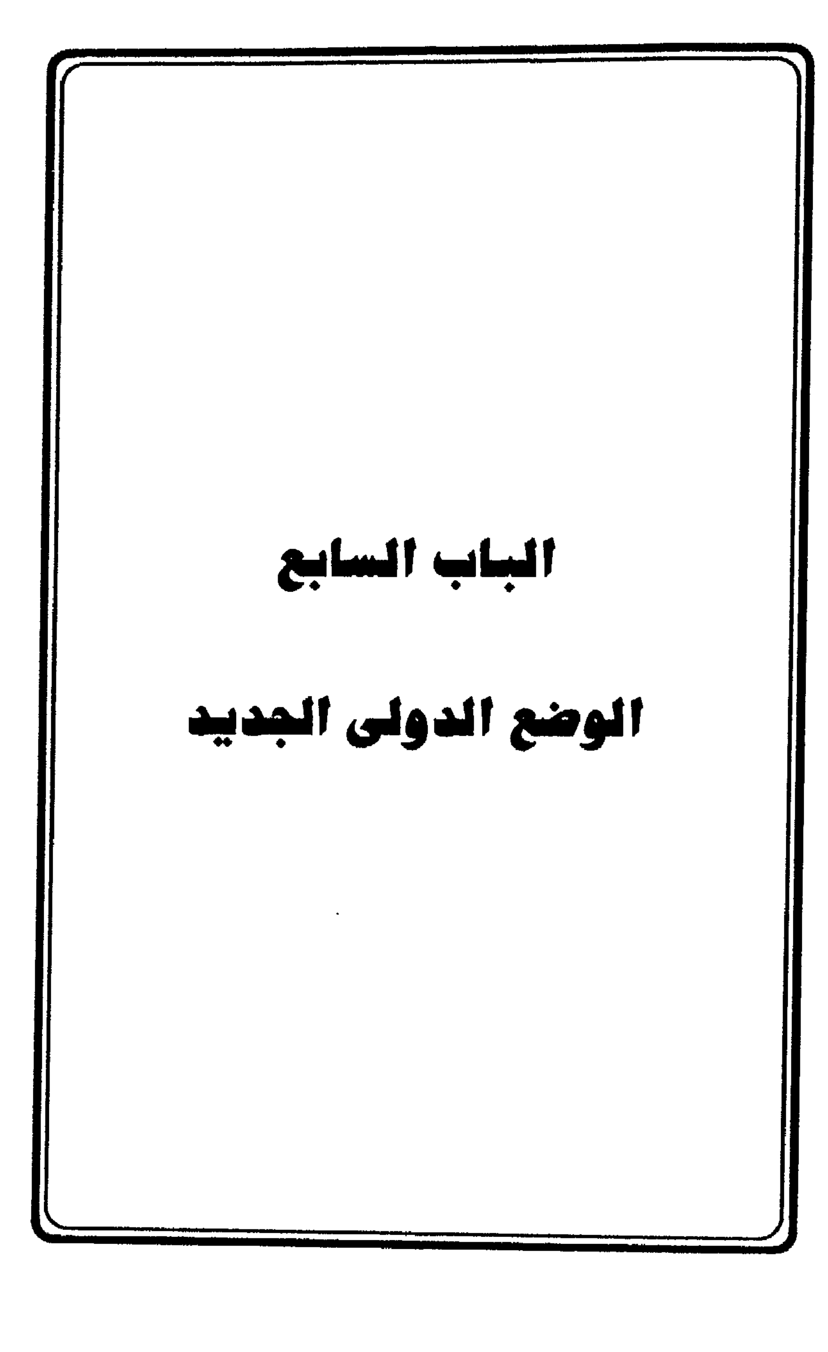
(٢) توعية الناشئة الإسلامية بواقع العالم الإسلامى وبرسالة الإسلام للإنسانية وحملهم على النهوض بالأمة عن طريق العلم والتقنيات والنظام فى الحياة والإتقان فى العمل وحب الخدمة. ونحن نوصى بتدريس القرآن الكريم فى كل المعاهد العليا وفى جميع الإختصاصات على ضوء التقدم العلمى ومشكلات الإنسان المعاصر.

(٣) أن تقوم منظمة المؤتمر الإسلامى بالاشتراك مع جامعة الدولة العربية بدعوة نخبة من الأساتذة العلماء من ذوى الخبرة فى الشئون العالمية ليتولوا وضع ميثاق عربى - إسلامى يحرم الحروب والقطيعة بين الدول الإسلامية وأن تسوى المشكلات بين الدول على ضوء تعاليم القرآن الكريم وأن يضمن التآخى والتعاون والرقى والنمو الاقتصادى للجميع وفى كل نواحى الحياة الإسلامية، ميثاق يضمن حقوق الإنسان المسلم فى مجتمع تسوده الحريات الأساسية (التحرر من العوز، التحرر من الخوف،

حرية المعتقد، حرية الاجتماع) ومكافحة التمييز العنصرى والمذهبى والقطرى والجنسى بين المسلمين.

(٤) مصارحة الدول الغربية عامة والولايات المتحدة خاصة بأننا أمة تريد السلام ونمدّ أيدينا لمصافحة كل من يبادلنا الصداقة والتعاون على أساس المشاركة والمساواة. ونرفض التبعية كما نرفض التمييز فى المعاملة بين العالم المصنّع والعالم السائر فى طريق النمو كما نرفض الميزة الخاصة لإسرائيل.

نحن ننشد سلام الأحرار مع الأحرار لا سلام الغالب والمغلوب ولا سلام الذئب مع الحمل. وهذا يتطلب الاعتراف بالحقوق الفلسطينية كاملة وعدم وضع العصى فى العجلات فى سبيل اتحاد البلاد العربية فيما بينها وعدم التجنى على الدين الإسلامى الحنيف. ومن الله الهداية والتوفيق.



الباب السابع

الوضع الدولى الجديد

رأى حر فى عدم الانحياز
ومقولات أخرى

دفعنى المقال المشرق الذى صدر للأستاذ أحمد حمروش بتاريخ ١٩٨٩/٨/٢٢ فى «الشرق الأوسط» الغراء بعنوان: «عدم الانحياز.. لمن؟» إلى تسجيل ما يلى:

لقد اعتاد بعض رجال الثقافة والسياسة عندنا على ترديد بعض الشعارات وبعض الآراء السياسية من دون مناقشة علمية أو تحقيق كاف.

(١) فمن الآراء والأحكام التى تتردد على الألسن والأقلام أحيانا الزعم أن «مؤتمر باندونغ» للدول الآسيوية الإفريقية (عام ١٩٥٥) كان «مؤتمر عدم الانحياز» وإن عدم الانحياز يمثل السياسة الحكيمة التى يطلب إلى الدول العربية اتباعها دوما. ومن الآراء الشائعة أن سياسة الأحلاف هى سياسة تتعارض مع المصلحة الوطنية ومنها أن السيد نورى السعيد بإيعاز من الإنكليز كان يتدخل فى شئون سوريا.

أما كاتب هذه السطور فيود أن يؤكد أنه لم يكن فى حياته السياسية مؤمنا بمبدأ عدم الانحياز أو مؤيدا له. أنه مؤمن

بالاستقلال فى الرأى وعدم التبعية. ولكنه كان ولا يزال منحازا إلى الحق والمصلحة. ففى التصويت فى الجمعية العامة فى الأمم المتحدة كنت أنحاز دوما إلى ما أعتقد أنه الحق. فقد كنت أصوت إلى جانب المعسكر الغربى ضد التدخل الشيوعى كما كنت أصوت إلى جانب المعسكر الشيوعى فى مجابهة الاستعمار الغربى.

ويوم كنت فى السجن محكوما علىّ بالإعدام من قبل المحكمة العسكرية العليا الخاصة التى ترأسها العقيد فاضل عباس المهداوى سنة ١٩٥٨ حضر إلى السجن زمرة من الضباط الشيوعيين فاستدعوا الأشخاص المقرر إعدامهم واحدا بعد الآخر للاستجواب وكنت واحدا ممن استجوبوا. سألنى أحدهم ما رأيى فى سياسة عدم الانحياز. أجبته بصراحة أنى لا أومن بسياسة عدم الانحياز. استغرب الحاضرون من الجواب!

قلت لهم كان العراق (دفاعيا) منحازا إلى المعسكر الغربى لحاجته إلى السلاح وإلى رد أى عدوان خارجى. أما إذا اعتقدتم بأن ذلك كان خطأ فأنصحكم أن تنحازوا إلى المعسكر الشيوعى فلا تبقوا بدون دعم وصداقة دولة عظمى. لقى جوابى ترحابا منهم على ما يظهر ولم أكن فى زمرة الشهداء الذين أعدموا تلك الليلة.

كان ذلك قبل ما يزيد على الثلاثين سنة. وأنا اليوم ما زلت أميل إلى الاعتقاد بأن استيلاء الصهيونية على السياسة الأمريكية واحتلال إسرائيل فلسطين كلها سنة ١٩٦٧ بدعم من الولايات المتحدة كان من ثمار سياسة عدم الانحياز التى اتبعها الرئيس جمال عبد الناصر رحمه الله. ولو بقى الرئيس عبد الناصر محتفظا بالصداقة التى كان يحملها الرئيس إيزنهاور نحوه (وقد أكدها الرئيس إيزنهاور نفسه لكاتب هذه السطور) لتغير مجرى التاريخ فى الشرق الأوسط ولما ضاعت فلسطين.

(٢) إن مؤتمر «باندونغ» للدول الآسيوية ـ الإفريقية سنة ١٩٥٥ لم يكن مؤتمر عدم انحياز. فالأكثرية الساحقة للمؤتمر كانت منحازة ضد الشيوعية. وحركة عدم الانحياز لم تولد فى باندونغ والرئيس «تيتو» رئيس يوغوسلافيا لم يشارك فى مؤتمر باندونغ لأن يوغسلافيا ليست آسيوية ولا إفريقية.

إن تسمية الحركة «بعدم الانحياز» يجانب الحقيقة. فالعديد من الدول المنتمية للحركة «مثل كوبا» هى منحازة فعلا، وكان الأصح أن تدعى بحركة «عدم التبعية».

واليوم وقد بدأ الحوار بين المعسكرين الشرقى والغربى للمرء أن يتساءل كما فعل الأستاذ أحمد حمروش عن أهداف «عدم الانحياز» أليس الأفضل أن تصبح الحركة حركة «التضامن بين دول العالم الثالث» مثلا؟ بدل عدم الانحياز؟

(٣) أما موضوع «الأحلاف» العسكرية الذى أصبح مثار طعن أو تخوف لدى البعض فهو موضوع ظرفى يخص كل دولة تحتاج

إلى دعم عسكرى خارجى. فواجب المسئولين قد يتطلب ضمان سلامة أوطانهم بالأحلاف العسكرية. فحلف الولايات المتحدة الأمريكية مع دول غربى أوروبا وجد لضرورات دفاعية. فلا يضر بريطانيا مثلا أن تتحالف مع الولايات المتحدة ما دام هذا التحالف يضمن سلامة بريطانيا، فالحلف الأطلسى ضمن السلام فى أوروبا لمدة تزيد على الأربعين سنة. وميثاق بغداد مثلا قصد به ضمان سلامة العراق من أى اعتداء خارجى وفى الوقت نفسه انتهت بموجبه معاهدة ١٩٣٠ بين العراق وبريطانيا تلك المعاهدة التى كانت تمس سيادة العراق التامة.

(٤) وأما الرأى القائل بأن المرحوم السيد نورى السعيد تدخل فى شئون سوريا بإيعاز من الإنجليز فى عهد العقيد أديب الشيشكلى فهو بعيد كل البعد عن الحقيقة. فالسيد نورى السعيد لم يكن فى الحكم فى عهد الشيشكلى ولم يكن له دور فيما كانت تقوم به الحكومة العراقية (وكنت أرأسها آنذاك) من تعاون مع إخواننا السوريين من أجل تحقيق اتحاد بين القطرين الشقيقين. ولم يكن السيد نورى السعيد مؤيدا لمشروع الاتحاد آنذاك ولم يكن للإنكليز أى تدخل أو دعم فى الموضوع. ومن هنا يظهر أن بعض الأحكام أو الآراء حول الأشخاص أو السياسات قد تكال جزافا بدون تحقيق أو تدقيق..

وبعد فهذه حقائق تاريخية أبديها خدمة لمن يهمه الاطلاع على وجهة نظر مصححة لما هو شائع. والله الهادى للصواب.

رأى فى قرارات
اتخذتها الأمم المتحدة حول
فلسطين والعراق

كل إنسان محبّ للحقيقة والحرية يأمل أن تكون منظمة الأمم المتحدة دوماً جهازاً لحماية السلام العالمى القائم على الحق والإنصاف والقانون. وعامل تقارب وتعاون وانسجام بين الشعوب والأقوام. ذلك ما توخاه مؤسسوها وهو ما يتضمنه ميثاقها.

هذا وإن قيام الأمم المتحدة بوظيفتها على الوجه الأكمل يتطلب من جميع الأعضاء كبيرهم وصغيرهم قويهم وضعيفهم الإلتزام بمبادئ الميثاق والتمسك بالشرعية الدولية بدون تحيز أو محاباة. فشعوب العالم كلها ينبغى أن تعامل بمقاييس إنسانية واحدة وتخضع لقوانين دولية متفق عليها واحدة من دون تمييز أو إجحاف. فالمطلوب إذن أن تكون قرارات الأمم المتحدة ملزمة للجميع بشرط أن تكن منسجمة مع مبادئ الميثاق ونصوصه. أما إذا كانت القرارات منبعثة أو مفروضة من قبل دولة عظمى وكانت منافية لمبادئ الميثاق فإنها قد تؤدى إلى الإخلال بالأمن وتسبب الحروب والمآسى البشرية كما أنها قد تضعف هيئة الأمم لدى شعوب العالم الواعية وتمنعها من أداء مهمتها السامية فى حماية السلام

ونشر مبادئ العدل والوئام. وهذا ما حدث في الشرق الأوسط منذ نهاية الحرب العالمية الثانية إلى يومنا هذا. فقد اتخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارات فرضت عليها بضغط سلّط على الدول الأعضاء ليبدلوا آراءهم لا عن قناعة وجدانية بل خوفاً من عقاب أو حباً في ثواب من لدن دولة عظمى.

نذكر على سبيل المثال:

(١) القرار الذى اتخذ حول تقسيم فلسطين سنة ١٩٤٧ إلى دولتين إحداهما عربية والأخرى يهودية مع تدويل منطقة القدس. ليس في ميثاق الأمم المتحدة ما يبرر حرمان شعب فلسطين من جزء من وطنه ومن تقرير مصيره ثم تعريضه للتشريد والاضطهاد والاستعمار الصهيونى من دون أى ذنب اقترفه أو اعتداء على أحد. فما قاساه شعب فلسطين من ظلم وحرمان وقسوة منذ الحرب العالمية الأولى إلى يومنا هذا يوخز ضمير كل إنسان ذى ضمير.

في اللجنة السياسية الخاصة التى كانت تنظر فى مشروع تقسيم فلسطين سنة ١٩٤٧ أثار الوفد العراقى الذى كان يرأسه كاتب هذه السطور وانضم إليه الوفد السورى الذى كان يرأسه الأستاذ فارس الخورى (رحمه الله) موضوع صلاحية الأمم المتحدة اتخاذ قرار بتقسيم بلد من دون موافقة سكانه الشرعيين. اقترحنا استشارة «محكمة العدل الدولية» لإبداء رأيها فى الموضوع. لقى

اقتراحنا تأييداً من العديد من المتكلمين ولكن مناورة مكشوفة (دبرها الأمين العام) السيد «تريغفى لى» (على ما نحتمل) حملت الرئيس «ايفات» (وزير خارجية استراليا) على عدم أخذ الأصوات وتأجيل الجلسة إلى الليل ودعى العديد ممن أيدوا اقتراحنا إلى حفل عشاء فلم يحضروا الجلسة إلا بعد التصويت. وفى غيابهم جرى التصويت وتعادلت الأصوات ولما كان صوت الرئيس هو الحاسم فى هذه الحالة قرر عدم استشارة محكمة العدل الدولية. فأقرت اللجنة السياسية قرار التقسيم الجائر وأحالته على الجمعية العامة.

بعد صدور قرار التقسيم صدر فى الولايات المتحدة كتاب مهمّ عنوانه «قانون الأمم المتحدة» للأستاذ «هانس كلسن» أستاذ القانون الدولى فى جامعة «هارفرد» آنذاك. يشير فى إحدى حواشيه «أن الاعتراض الذى أثاره مندوبا العراق وسوريا حول صلاحية الأمم المتحدة اتخاذ قرار بتقسيم بلد ضد رغبة أهله وارد من ناحية شرعية بحتة». أى أن قرار التقسيم الجائر لم يقم على أسس شرعية بل فرضته السياسة. مع إبداء أن الأستاذ «هانس كلسن» ينتمى إلى الديانة اليهودية.

(٢) بعد صدور قرار التقسيم الجائر سالت دماء ووقعت مجازر ومذابح قام بها اليهود المسلحون ضد الفلسطينيين العزّل ومنها مذبحة دير ياسين التى كان ضحيتها المئات من الفلسطينيين ومن ضمنهم

نساء وأطفال وشيوخ دبرها رئيس عصابة الأرغون مناحيم بيغن. دبّ الخوف والرعب فى نفوس الفلسطينيين العزّل ولا سيما سكان القرى فنزحوا من ديارهم بمئات الألوف إلى خارج فلسطين فأصبحوا فى عداد اللاجئين. وكان هدف الصهيونية ولا يزال إبعاد عرب فلسطين عن ديارهم وإخلائها ليحل محلهم اليهود القادمون. وإبطال مفعول قرار الأمم المتحدة ١٩٤٨ بحق اللاجئين الراغبين فى العودة إلى وطنهم وتعويض من لا يرغب فى العودة. وتنفيذاً لهذه الخطّة جاءت الولايات المتحدة بمشروع قرار يدعو إلى إسكان اللاجئين نهائياً فى الأقطار العربية المجاورة وتصفية قضيتهم. ومن جملة الأقطار المقصودة العراق. كان مقدم الاقتراح الأستاذ فلب جسَبْ أستاذ القانون الدولى فى جامعة كولومبيا آنذاك. وجّه كاتب هذه السطور إليه سؤالاً إن كان هذا الاقتراح (مشروع القرار) ينسجم مع ما جاء فى المادة الثانية من ميثاق الأمم المتحدة والذى لا يسمح للأمم المتحدة بأن تتدخل فى الشئون الداخلية لأى عضو من أعضائها. أليس تقرير من يدخل العراق ومن يكتسب الجنسية العراقية أمراً داخلياً وهو من صلب سيادة الدولة العراقية؟ إن موقف العراق الدائم هو ضرورة عودة الفلسطينيين النازحين إلى بلدهم ليعيشوا فيه وليعمروه. فهم أحق به من الغرباء القادمين إليه من الخارج. فما

كان من الأستاذ جسب إلا أن اعترف بصحة الاعتراض العراقى على «مشروع القرار» فسحبه. نحن نعتقد أن الأستاذ جسب إنسان شريف. وهو يمثل المزايا الأمريكية الأصيلة التى تضع الحق والقانون فوق المؤثرات الخارجية والسّياسة الظرفية.

(٣) بعد أن تأسست إسرائيل (ماى ١٩٤٨) صارت تتنكر لكل قرارات الأمم المتحدة التى لا تتفق وأهدافها التوسعية بما فى ذلك القرارات الصادرة من أجل تأسيسها: قرار التقسيم وتدويل القدس. وبدأت بالاعتداء عل الحق العربى فى فلسطين والاعتداء على الدول العربية المجاورة لفلسطين. أصدرت الأمم المتحدة قرارات عديدة تدعو إسرائيل إلى الرجوع إلى الحق واحترام الشرعية الدولية. ولكنها لم تنفذ أياً منها بما فى ذلك القرار (٢٤٢). هى تزدرى بالأمم المتحدة وقراراتها ولا تعترف بأية شرعية دولية ما دامت إسرائيل الكبرى هى الهدف وما دامت الولايات المتحدة وسائر الدول العظمى هم حماتها (باستعمال حق النقض فى مجلس الأمن) وفى خدمة أهدافها ومصالحها.

(٤) وأد الشرعية الدولية فى مأساة الخليج: كما نكب الشعب الفلسطينى بقرار من الجمعية العامة من أجل إحداث إسرائيل فقد نكب الشعبان العراقى والكويتى من أجل أن تسود إسرائيل المنطقة العربية وتحتفظ بتفوقها العسكرى والتقنى على جميع

دول المنطقة بقرارات متتالية من مجلس الأمن. وفي كلتا الحالتين استغلت الأمم المتحدة «لا» لإحلال السّلام و «لا» للإعمار بل لسفك الدّماء وللدمار. الأمر الذى يناقض أهداف الأمم المتحدة ونصوص ميثاقها.

نحن نتساءل هل كانت الحرب ضرورية وشرعية لإحلال التفاهم والتصافى بين جارين شقيقين العراق والكويت؟ وهل حلت الحرب وصفّت ما بينهما من مشكلات؟ ألم يكن الأفضل لو استنفدت الجهود السلمية وهى لما تستنفد بعد؟

هل كان تدمير العراق ضرورياً وشرعياً بعد أن أبدى استعداده للانسحاب من الكويت؟

بعد أن تم انسحاب العراق من الكويت هل تسمح الشرعية الدولية بأن يحرم الشعب العراقى من الغذاء والدواء وسائر اللوازم المعاشية والصحية والاقتصادية فتتعرض حياة مئات الألوف من العراقيين إلى الهلاك وإلى الفقر وإلى العلل العصبية والاجتماعية؟. أين موقف مجلس الأمن من حقوق الإنسان؟ إنه يدوسها فى العراق بكل تأكيد.

هل من الشرعية الدولية أن تداس سيادة العراق الوطنية ويجرى الإعتداء على أراضيه والتدخل السافر فى غزو العراق جوّا وبرّا من دون مبرر أو رادع؟

هل من الشرعية الدولية أن يتصرف مجلس الأمن فى حياة العراق الاقتصادية فيقرر الهيمنة على تصدير النفط وطرق صرف وارداته منه.

ويوقف صرف رصيد العراق فى الخارج حتى لأهداف إنسانية؟ هل يعلم خصوم العراق بأن معاملتهم للعراق هذه ستكون درساً لكل الدول العربية التى تودع أموالها فى البنوك وفى المصالح الغربية؟ بعد أن ذاقت إيران ويذوق العراق اليوم مرارة استرجاع أو التصرف بالأموال المودعة فى بنوك خارجية؟

هل يستهدف قرار مجلس الأمن بتدمير الأسلحة العراقية الفتاكة السلام فى المنطقة؟ إذا كان الأمر كذلك فلم لم يكن القرار شاملاً إسرائيل ولم هذا التحيز؟ فالآن وقد قضى على السلاح العراقى أصبحت دول المنطقة كلها تحت رحمة السلاح النووى الإسرائيلى فعلى دول المنطقة أن تخضع أمام التوسع الإسرائيلى أو أن تتعرض لخطر السلاح الإسرائيلى. وهذا هو ما وجد التسلح العراقى لمجابهته. فما على الدول العربية اليوم سوى السلام المؤسس على الاستسلام.

إن التعويضات المطلوبة من العراق تتطلب الاحتكام إلى محكمة دولية غير منحازة. هل إن العراق هو المسبب لكل الأضرار أم هو أكبر المتضررين. فالتعويضات التى تطلب من العراق تقابلها تعويضات يطلبها هو. فالتحقيق قد يثبت بأن المسبب الأول للحرب وللدمار ليس العراق وأن العراق قد زج به فى الحرب لأهداف خلفية خططتها الصهيونية فى إسرائيل وفى الولايات المتحدة.

إن قرار مجلس الأمن الذى يفرض تحديد الحدود بين العراق والكويت لا يخدم الصفاء والإخاء بين القطرين الشقيقين. إن تحديد

الحدود ينبغى أن يتم فى جو تفاهم ودّى وهو ما لم يعمل مجلس الأمن على توفيره مع الأسف بل عمل العكس!

هل يدرك مجلس الأمن كم أضرت قراراته بمقاطعة العراق اقتصادياً بحكومات وشركات ومؤسسات وأشخاص وكم أعلن من الإفلاسات شرقاً وغرباً بسبب اعتداء مجلس الأمن على الاقتصاد العراقى والسيادة العراقية والأمن العراقى.

إن مجلس الأمن عامل العراق (وهو دولة عضو مؤسس فى المنظمة الدولية) معاملة العدو المنكسر فغزيت أراضيه وأجواؤه ووقع التدخل المكشوف فى شئونه الأمنية والاقتصادية والمعاشية وأصبح دولة منزوعة السلاح مقصوصة الجناح. وهذا ما لم يستهدفه ميثاق الأمم المتحدة روحاً أو نصاً. فليس فى الميثاق ما يستوجب معاملة العراق كبلد محتلّ. فالميثاق وجد لتحرير الشعوب التى كانت ترزح تحت حيز الاحتلال وليس لإحداث احتلال جديد وهيمنة جديدة على الشعوب. إن قضيتى الشعب الفلسطينى والشعب العراقى فى الأمم المتحدة تبرهنان على أن الشرعية الدولية تجابه أزمة خطيرة فى منظمة الأمم المتحدة بسبب اتباع دول عظمى دائمة العضوية فى مجلس الأمن ازدواجية فى المعايير وتحيزاً ضد البعض وانحيازاً للبعض الآخر. ولذلك فنحن نقترح تأسيس محكمة جنائية ملحقة بمجلس الأمن مع قانون دولى للعقوبات تحال عليها قضايا فلسطين والكويت وما شابهها تكون

أحكامها ملزمة للدول صغيرها وكبيرها قويها وضعيفها على حدّ سواء.

وأخيراً ندعو الولايات المتحدة وهى الدولة الأقوى فى عالم اليوم لأن تعيد النظر جذرياً فى سياستها فى الشرق الأوسط وأن تعمل على توجيه المنظمة الدولية لتصدر قرارات تخدم السلام العالمى وتعترف بالحقوق المشروعة لشعوب المنطقة كافة من دون تحيز أو محاباة. فتعيد للشعب الفلسطينى حقه بتقرير المصير وإنشاء دولته المستقلة على أرض وطنه. وأن تعيد الصفاء والتعاون بين دول الشرق الأوسط جميعها ومن ضمنها العراق وأن تزيل عن العراق كابوس القرارات التى أقرها مجلس الأمن فتضمن للشعب العراقى وحدته وحقه فى الحياه الحرة الكريمة من دون تدخل فى سياسته الداخلية أو مسّ بسيادته واستقلاله كما يتطلب ذلك ميثاق الأمم المتحدة. ومن الله الهداية والتوفيق.

المحاباة والسلطوية فى مجلس الأمن
لا يحققان السلام العادل
فى الشرق الأوسط ! !

مضت سنة كاملة على انسحاب العراق من الكويت. وما زال الشعب العراقى يعانى من الجوع والفقر والمرض بسبب العقوبات القاسية التى فرضها مجلس الأمن.

وما زال الجو السياسى فى الشرق الأوسط مظلماً غائماً بغيوم سوداء تسوده الانقسامات والمخاوف والأحقاد والمؤامرات.

لا شك فى أن للأوضاع السياسية المتخلفة التى تعيشها الأمة العربية الأثر المباشر فى قيام هذا الوضع المحزن المؤسف الذى نحن فيه. ولكن لمجلس الأمن وقراراته المستعجلة المتتالية القرارت المتسمة بالانحياز والسلطوية فى معالجة أزمة الخليج الدور الأكبر فى قيام هذا الوضع المأساوى بين بلدين شقيقين جارين العراق والكويت خاصة وبين العراق وسائر دول الشرق الأوسط عامة.

إن العربى خاصة والمسلم عامة لا يساوره شك بأن مجلس الأمن اليوم واقع تحت نفوذ الدول الغربية الثلاث (بريطانيا وفرنسا والولايات

المتحدة) الدائمة العضوية والمالكة لحق النقض فيه. وهذه الدول الثلاث (ولاسيما الولايات المتحدة) تمارس السلطوية والانحياز فى مجلس الأمن صراحة وعلانية فكل اعتداء إسرائيلى على الحق العربى يمر بدون عقاب. وإذا اقترح أحد الأعضاء إنزال عقوبة على إسرائيل «فالفيتو» الأمريكى حاضر لإنقاذها. انحياز ظاهر ومكشوف إلى جانب إسرائيل وعلى حساب الحق العربى. إسرائيل تزدرى بالأمم المتحدة وترمى قراراتها فى سلة المهملات وترفض استقبال لجان تحقيق من الأمم المتحدة. إسرائيل لا تخضع لسلطة القانون ولا لسلطة مجلس الأمن حتى ولا لسلطة الولايات المتحدة ذاتها. وموقف مجلس الأمن إزاء إسرائيل يتسم بالعجز والشلل.

أما البلاد العربية ـ الإسلامية فإنها تلقى معاملة خاصة إذا كانت مسايرة للسياسة الأمريكية. أما إذا حاولت ممارسة استقلالها ورفضت التبعية للنظام العالمى الجديد. فإنها قد توصم: بالإرهاب أو بانتهاك حقوق الإنسان أو بالاستعداد لإنتاج «القنبلة الذرية الإسلامية». فالعراق وسوريا وليبيا وإيران والباكستان والسودان هى بعض الدول التى تتلقى العصا الأمريكية بدرجات مفتاوتة طبعاً. وأجهزة الإعلام الغربية سخيّة فى مهاجمة هذه الدول عند الاقتضاء. أما إسرائيل فإنها مثال أعلى فى الديمقراطية! فهى تحترم حقوق الإنسان العربى كاملاً!! وهى تكافح الإرهاب ولا تهاجم اللبنانيين الأبرياء براً وجواً وبحراً! ولا تلوث البيئة بالأسلحة الذرية والكيمياوية والبكتيرية! بهذه العقلية.

وبهذا الانحياز والسلطوية يدار مجلس الأمن اليوم فيما يتعلق بشئون الأمة العربية! فكيف يتحقق سلام عادل فى الشرق الأوسط؟ لم يعد خافياً على الباحثين اليوم أن ضرب العراق وتحطيم قوته العسكرية إنما حدث وفق مخطط أعد قبل اجتياح العراق للكويت بسنوات: من أجل إسرائيل! وأن الخلاف العراقى الكويتى الذى أدى إلى احتلال الجيش العراقى للكويت اتخذ ذريعة لضرب العراق كقوة عربية تتحدى إسرائيل. ولكن النتيجة لم تكن برداً وسلاماً على المتحاربين فقد نكب قطران عربيان وضاعت ألوف ملايين الدولارات فى الحرب والدمار بدل الإعمار والاستثمار وإضطرب الاقتصاد العالمى وأفلست بنوك وشركات عديدة فى الولايات المتحدة وبريطانيا واليوم وبعد مرور سنة كاملة على نهاية الحرب نجد أن مجلس الأمن يهدّد ويوعد ويزيد داعياً العراق إلى امتثال قرارات مجلس الأمن المشروع منها وغير المشرع المعقول منها وغير المعقول.

ونحن بدورنا نتساءل:

(١) هل إن قرارات مجلس الأمن التى صدرت بحق العراق كلها شرعية؟ وهل إن القرارات الشرعية ملزمة للأعضاء أم اختيارية؟

(٢) إذا كان المفروض أن تكون القرارات الشرعية ملزمة (ونحن نعتقد بذلك) فلماذا يعاقب العراق على عدم تنفيذها وتعفى إسرائيل؟

(٣) هل إن مجلس الأمن يملك أجهزة حيادية نزيهة فى قراراته أم إنه يعتمد على تقارير الاستخبارات الأمريكية التى قد تخطئ وقد

تصيب كما حدث فى قصف الملجأ (العامرية) الذى ذهب ضحيته مئات العراقيين المدنيين الأبرياء.

(٤) هل يملك مجلس الأمن صلاحية إنزال عقوبات بالأعضاء على أساس خلافات شخصية أو اندفاعات عاطفية بين رؤساء الدول؟ وما ذنب الشعوب فى هذه الحالة؟

(٥) هل إن النظام العالمى الجديد يعنى سلطة عليا لدولة واحدة تملى رأيها وتتدخل فى الشئون الداخلية لدول أخرى باسم السلام وباسم الإرهاب وبإسم حقوق الإنسان؟ وإذا سلمنا بحق دولة عظمى ذات مبادئ سامية (نقرها وندعو إليها) فى التدخل فى شئون دول أخرى هل التدخل هذا يقتصر على دول العالم الثالث وتعفى منه إسرائيل والدول المصنعة؟ أى هل هناك تفريق وتمييز بين دول العالم؟ على أساس الثقة؟ الثروة؟ الجنس؟ الدين والمذهب؟.... إلخ.

أثير هذه الأسئلة وأنا أفترض أن أعضاء مجلس الأمن كلهم أناس ذوو خبرة دولية لهم ضمائر حية وشجاعة أدبية واستقلال فى اتخاذ القرار ولذلك يحق لى أن أحاسبهم على النقاط التالية فى معاملة العراق والشعب العراقى. مع إبداء أنى بعيد عن العراق منذ ثلاثين سنة ولا أنتمى إلى حزب أو جهة سياسية فأنا مستقل فى تفكيرى وأحكامى وأدعو إلى التآخى بين البشر وخدمة السلام على أساس الحرية والحق والعدل والرحمة. فأتساءل:

(١) ما هي الحكمة فى استمرار العقوبات على العراق وتجويع الشعب العراقى وإبادته وتفقيره؟ هل هناك نصّ فى ميثاق الأمم المتحدة يخول إنزال العقوبات على الأعضاء. بعد أن تم انسحاب الجيش العراقى من الكويت.

قرأت فصول الميثاق (التى شاركت فى صياغتها فى سان فرانسيسكو ١٩٤٥) المرّة تلو المرّة فلم أجد ما يسوغ قيام مجلس الأمن بإنزال عقوبة على العراق. ومن المضحكات المحزنات فى تطبيق قرار العقوبة هذا حرمان أطفال العراق من تسلم «لعب» أهديت لهم من أطفال الولايات المتحدة! هل هذا هو ما قرره مجلس الأمن؟ أما إذا قيل إن العقوبات تستمر ما دام الرئيس صدام حسين على رأس الحكم فى العراق فإنه بادرة خطيرة وخطرة على دول العالم كلها فيما إذا أصبح مجلس الأمن أداة لتعيين الرؤساء أو إزاحتهم عن الحكم!.

(٢) القرار بإتلاف الأسلحة الفتاكة قرار مقبول من حيث الأساس على شرط أن يكون عاماً فى المنطقة ولا تستثنى منه إسرائيل. إن إتلاف الأسلحة العراقية مع بقاء الأسلحة الإسرائيلية ليس فيه ضمان للأمن فى المنطقة وفيه انحياز ظاهر لإسرائيل على حساب الأمن العربى. فلم يدع العراق اليوم لإتلاف ما عنده وتعريضه للخطر الإسرائيلى؟ إن مجلس الأمن يخل بالأمن فى قراره هذا. لأن إسرائيل تنوى ضرب العراق ومجلس الأمن جعله

أعزل من السلاح؟ أين الحكمة فى القرار؟ وأين الإنصاف؟ نحن من دعاة إتلاف الأسلحة الفتاكة عالمياً وفى الشرق الأوسط كله خاصة.

(٣) قيام مجلس الأمن بتحديد الحدود بين العراق والكويت وقد علمنا أن اللجنة التى عينها مجلس الأمن رسمت حدوداً بموجبها تستولى الكويت على آبار نفط عراقية وتضيق منفذ العراق إلى الخليج. هل إن تحديد الحدود هو من اختصاص مجلس الأمن؟ وهل مجلس الأمن ينوى تغذية الخلافات بين القطرين الشقيقين أم يعمل على التقريب والتوفيق بينهما وحملهما على التفاوض الأخوى حول الحدود؟

(٤) قيام دول التحالف بالتدخل فى شئون العراق الداخلية والعمل على تمزيق الوحدة العراقية وتشجيع الثورات والانقسامات الطائفية والعنصرية. هل هذا هو اختصاص مجلس الأمن أم تشجيع التقارب والتفاهم بين الأخوة أبناء الوطن الواحد على أساس الحرية والأخوة والمساواة.

هذه الأسئلة وأمثالها تحمل مجلس الأمن مسئولية عظمى عن مأساة الخليج. فمجلس الأمن بفضل الانحياز والازدواجية من جهة والسلطوية من جهة أخرى أصبح جهاز إخلال بالأمن فى الشرق الأوسط. ليس فى ميثاق الأمم ما يبرر حرب الخليج وليس فيه ما يبرر استمرار العقوبات على العراق بعد انسحابه من الكويت فما قامت به

القوات المتحالفة من سحق للعراق وتدخل فى شئونه الداخلية هو محض «سلطوية» لا يبررها قانون أو مبادئ إنسانية. إنها نتيجة أحقاد شخصية وأخطاء سياسية نرجو أن يزول أثرها فى أقرب وقت.

نصيحتنا للعراق أن يلجأ إلى محكمة العدل الدولية لتبدى رأيها فى شرعية قرارات مجلس الأمن (كلها أو بعضها) فى العدوان المستمر على العراق من قبل الدول المتحالفة بعد أن تم انسحابه من الكويت قبل عام.

ونصيحتنا للرئيس بوش خاصة ومجلس الأمن عامة أن يتبنوا سياسة مجردة عن الانحياز والسلطوية فى قرارات مجلس الأمن. وأن يعاملوا الدول جميعها صغيرة أم كبيرة قوية أو ضعيفة معاملة واحدة.

ونرجو للرئيس بوش النجاح الباهر فى مسعاه للسلام فى الشرق الأوسط. السلام المؤسس على حق تقرير المصير والإنصاف للفلسطينيين فى استرجاع حقوقهم المهضومة وكرامتهم المهانة؟ فيعيد بذلك ما كان للولايات المتحدة (قبل الطغيان الصهيونى) من مكانة مرموقة وتقدير ومحبة من قبل الأكثرية من أبناء الأمة العربية. والله الهادى للصواب.

اندحرت الشيوعية العالمية
فما هو مصير النظام الرأسمالي الغربي ؟

في سنة ١٩٦٥ وبمناسبة مرور عشرين سنة على تأسيس الأمم المتحدة ١٩٤٥ دعيت للمشاركة في ندوة عقدت في مدينة نيويورك تعالج موضوع «السّلام على الأرض». اعتذرت عن عدم الحضور وأرسلت مذكرة دونت فيها آرائي حول الوضع الدولي واقتراحاتي حول تطوير ميثاق الأمم المتحدة لتصبح أداة فعالة في صيانة السلم المؤسس على الحق والقانون في العالم.

ومما أوردته في المذكرة أن عالمنا اليوم تتجاذبه قوتان عالميتان تمثلان نظامين متنافسين: النظام الرأسمالي الغربي والنظام الشيوعي. فالنظام الرأسمالي الغربي جاء داعياً إلى مبدأ الحرّية الفردية والأسلوب الديمقراطي الحر في المجتمع وفي الحياة فالحرّية هي الأساس. أما النظام الشيوعي فإنه جاء داعياً لتحرير الطبقة الكادحة (البروليتاريا) من ظلم الرأسمالية فهو يدّعي تبنّيه مبدأ العدالة. فالعدالة هي الغاية. ولو عدنا إلى التفكير المنطقي الإنساني لأدركنا أن هذين النظامين يكمل أحدهما الآخر فيما لو وجدت سياسة إنسانية عليا تستهدف خير الإنسان. ولكنهما يتعارضان ويتناقضان فيما لو بقي كل نظام في عزلة عن الآخر مناهضا له:

فالعدالة بدون حرية قد تعنى العبودية.

والحرية بدون عدالة قد تعنى شريعة الغاب.

فالإنسانية مدعوة لأن تجمع وتوحد العدالة مع الحرّية فى الحياة الإنسانية وأن تضع فوقهما: الرّحمة.

لم يتحقق تفاهم وتعاون عقائدى بين المعسكرين منذ نهاية الحرب العالمية الثانية إلى يومنا هذا بل قامت بينهما حرب باردة دامت نحو الأربعين سنة انتهت الحرب بمجيئ الرئيس «غورباتشوف» على رأس الاتحاد السوفيتى وقيامه بتصفية الاتحاد السوفيتى.

وها نحن فيما يلى نبدى رأيا فيما حققه كل من النظامين وما أخفق فيه:

النظام الشيوعى:

(١) بدأ جوزيف ستالين بتأسيس جهاز صناعى وثقافى عظيم بين الحربين العالميتين استهدف من ذلك جعل الاتحاد اسوفيتى يحقق اللحاق بالولايات المتحدة الأميريكية ويتفوق عليها.

(٢) جعل النظام الاقتصادى مركزياً تديره الدّولة وحرم القطاع الخاص من إبداء المواهب للتجديد والابتكار الأمر الذى جعل الحياة رتيبة فالفرد موظف تعيّشه الدولة.

(٣) أسس نظاماً بوليسياً صارماً يحجر الحرّيات ويخنق الأنفاس حتى صار الابن يتجسس على والديه.

(٤) أنه قضى على حياة الملايين من البشر الذين لم يسيروا فى الركاب أو الذين راحوا ضحية الوشايات.

(٥) إنه شجع الثورات والانقلابات فى العديد من بلاد العالم الثالث فى كل من آسيا وإفريقيا وأميركا اللاتينية.

(٦) أنه تدخل عسكريا فى عدة بلاد فى كل من آسيا وإفريقيا وأوروبًا آخرها أفغانستان.

(٧) إنه شجع البحث العلمى (فى نطاق المذهب المادى) وأخضع العلماء نظرياتهم لسلطة الدولة كما حدث فى بحث «الوراثة» لقد ظهر تفوّق الإتحاد السوفيتى فى حقل الفضاء فى أواسط الستينيات الأمر الذى حمل الولايات المتحدة على السعى الحثيث لغزو الفضاء حتى هبط الإنسان الأمريكى على سطح القمر صيف ١٩٦٩ لأول مرة فى التاريخ.

(٨) أنه كافح الاستعمار الغربى فى العديد من أنحاء العالم. وكان لممثله السيد «أندرى غروميكو» دور فعال فى التعاون مع جبهة مكونة منه ومن ممثلى الصين والفلبين والعراق ومصر لتثبيت «حق الاستقلال» للشعب المولى عليها فى ميثاق الأمم المتحدة (فى الفصول المتعلقة بالوصاية سنة ١٩٤٥). بعد أن كانت الدول الاستعمارية تصرّ على رفضها حق الاستقلال والاكتفاء بالحكم الذاتى للدول المولى عليها.

ومع أن الاتحاد السوفيتى كافح الاستعمار الغربى فإنه بدوره مارس الاستعمار وتوسع بعد الحرب العالمية الثانية بضمّ دول البالطيق وأضاف أجزاء من دول أربع محيطة به إلى رقعته الجغرافية.

(٩) مع أننا نختلف جوهريا مع النظام الشيوعى بسبب فلسفته الماديّة وكبته للحرية وأساليبه الديكتاتورية إلا أننا لا ننسى دوره المفيد فى الحقل الدولى إذ كان رادعاً للمعسكر الغربى من التمادى فى السيطرة والاستغلال والغطرسة على الشعوب الصغيرة والضعيفة.

هذا وقد خسرت الأمة العربية خسارة عظمى بانحلال النظام السوفياتى وذلك حين فتح السيد غورباتشوف أبواب الهجرة ليهود الاتحاد السوفيتى ليهاجر بمئات الألوف ويحتلوا الأراضى العربية فى فلسطين كما أن انحلال الاتحاد السوفيتى أدى إلى مأساة الأمة العربية فى الخليج إذ لو كان الاتحاد السوفيتى فى حيويته المعهودة لما سمح لمجلس الأمن (باستعماله حق النقض) أن يشهر الحرب ويسلط العقوبات الظالمة على العراق.

(١٠) أن سباق التسلح الباهظ التكاليف والمركزية والبيروقراطية المفرطة وكبت الحريات وسحق روح المبادرة جعلت النظام الشيوعى الديكتاتورى يركع أمام متطلّبات التاريخ فاستسلم النظام إلى قضاء الله وقدره!.

النظام الرأسمالى الغربى:

إن النظام الرأسمالى كما يمارس فى الغرب يحتوى على عناصر قوة وعناصر خير كما أن فيه عناصر شر وفساد.

فمن عناصر الخير والقوة نذكر ما يلى على سبيل المثال:

(١) اهتمامه بحق الفرد فى الحياة الحرة الكريمة وبالحريات الأساسية وحقوق الإنسان فى المجتمع الغربى.

(٢) اهتمامه بالبحث العلمى وبالاختراع والاكتشاف وتطبيق ذلك على الحياة.

(٣) اهتمامه بالتعليم والتثقيف والأخذ بالأسلوب العلمى فى الحياة.

(٤) اهتمامه بالصحة العامة ونظافة البيئة.

(٥) اهتمامه بالإعمار وبالنمو الاجتماعى والاقتصادى.

(٦) اهتمامه بشئون الأمن وإعداد القوة للدفاع المسلح.

(٧) اهتمامه بالنظام العام والانضباط الأخلاقى والآداب.

(٨) اهتمامه بالدقة والأمانة والسرعة فى المعاملات.

(٩) اهتمامه بالمنظمات الاجتماعية الحرة وتشجيع الخدمات العامة مع احترام حرية الرأى والمعتقد.

(١٠) اهتمامه بالرّقى والتجدد المستمر والتفتح على العالم.

ومن عناصر الضعف والشر نذكر ما يلى على سبيل المثال:

(١) أن النظام الرأسمالى الغربى: يعانى من أزمة ضمير ومن تغليب المادة على القيم الروحية ومن ازدواجية وانشطار بين مقومات الحياةالإنسانية.

هناك انشطار: بين المادة والروح

وبين العلم والدين

وبين السياسة والأخلاق

وبين الشرق والغرب

وبين العالم المصنّع والعالم الثالث

وبين رأس المال والعمل

وبين الغنى والفقير

وبين الرجل والمرأة

وبين الريف والحضر

وبين مذهب وآخر ودين آخر

وبين القول والفعل... إلخ

(٢) السياسة الغربية تخضع للمصالح ولو على حساب الأخلاق ولو يداس القانون. «القوة هى الحق» و «الغاية تبرر الواسطة». ولذلك فالاستعمار والهيمنة والاستغلال واتباع سياسة «فرق تسد» كلها

تبرر فى المدنية الغربية. وما قاساه الشعب الفلسطينى الأبى من استعمار واضطهاد وحرمان نموذج حىّ للسياسة الإستعمارية الغربية.

(٣) فى الحياة الاقتصادية الحرة تنافس شديد للاستيلاء على أسواق البلاد الفقيرة وعلى ثروات أهل النفط مع تحميل هذه البلاد بالفائض من انتاجهم وأثقال كاهلهم بالديون مع إفساد الضمائر أحياناً عن طريق الرشوات التى تقدم للمتنفذين والعملاء.

(٤) أن التنافس الشديد يدفع إلى زيادة الإنتاج وإلى إغراق الأسواق بالبضاعة ثم تكثر عطالة العمال أو تخفض أجورهم أو يفصلون من العمل بغلق أو إفلاس معاملهم.

(٥) أن التنافس على الأسواق قد يؤدى إلى الحروب كما حدث فى الحرب العالمية الأولى. والحروب تتطلب أسلحة متجددة وبحثا فى الصناعة العسكرية. ثم إن تسويق الأسلحة يصبح موضع تنافس بين الدول المنتجة للسلاح...

(٦) باسم الاقتصاد الحرّ قد يمارس الارتشاء والتهريب والسرقات والطمع الذى لا حدّ له. فيعلن عن إفلاس بنوك وشركات ونتعرف على أشخاص أسّسوا إمبراطوريات اقتصادية تنتهى بالإفلاس.

(٧) باسم الحرّية والديمقراطية نشطت الإباحية فى المجتمعات الغربية

فمن إباحية جنسية يرافقها مرض الإيدز (السيدا) إلى إدمان فى الكحول والمخدرات.

(٨) باسم الديمقراطية يجرى شراء ضمائر الناس لينتخبوا صاحب المال أو يجرى التزوير وتشترى ضمائر النواب وتغسل أدمغتهم كما يقوم بذلك اللوبى الإسرائيلى فى الولايات المتحدة.

(٩) باسم حقوق الإنسان يهجر اليهود السوفيات من الاتحاد السوفيتى ويؤتى بهم إلى فلسطين لسحق حقوق الإنسان العربى وحرمانه من حق العودة إلى وطنه.

(١٠) باسم السلام العالمى تحرم البلاد العربية ـ الإسلامية من التقنيات التى قد تؤدى إلى صنع قنبلة نووية بينما يسكت عن مئات القنابل النووية التى تملكها إسرائيل.

(١١) باسم الشرعية الدولية يسحق الشعب العراقى ويسكت عن خرق إسرائيل مبادئ ميثاق الأمم المتحدة وقراراتها وحقوق الإنسان العربى الفلسطينى والشرعية الدولية.

إن غياب الاتحاد السوفيتى من المسرح الدولى وتولّى الولايات المتحدة وحدها زعامة العالم يدعونا إلى إبداء الرأى بكل صراحة وإخلاص حول ما يجابه الإنسانية عامة وأمتنا خاصة من إمكانات ومن أخطار. فنشجع الإمكانات ونحققها ونتقى الأخطار. ولا بد من مصارحة

الولايات المتحدة وهى تطمح أن تحتفظ بزعامة العالم. إن زعامتها العالم تتطلب العمل المشترك لكل شعوب ودول العالم بأن تتفق على:

(١) الإيمان بربّ واحد وإنسانية واحدة وعالم واحد بدون تفريق أو تمييز.

(٢) الاتفاق على مبادئ أخلاقية وقانونية واحدة متفق عليها تحترمها الأقوام والشعوب جميعها.

(٣) إنشاء محاكم دولية يكون الاحتكام إليها إلزامياً لضمان حقوق الدول والأفراد.

(٤) إلغاء حق النقض فى مجلس الأمن لأنه مخالف للروح الديمقراطى.

(٥) نشر الحقائق العلمية والتقنيات لكل شعوب العالم وتوجيهها نحو خير الإنسان وتحريم الأسلحة الفتاكة على الجميع بدون استثناء ووضع حدّ للإحتكار والسرّية.

(٦) تشكيل قوة عسكرية رادعة تحت إمرة مجلس الأمن.

(٧) دعوة قادة الفكر والسّياسة فى العالم إلى ندوة تتولى صياغة ميثاق لنظام عالمى جديد يضمن دوام المدنية الإنسانية وازدهارها.

مقابلة صحفية

زال خطر الشيوعية ونخشى عودة الاستعمار!

كنت ضد الشيوعية بقوة وضد الصهيونية بعنف وضد الاستعمار الغربى بلطف. مارست السياسة ولم أكن سياسيا. كنت وما زلت أمريكيا فى الثقافة لكن ليس فى السياسة. العرب لم يعد لهم صوت فى الولايات المتحدة منذ ١٩٥٨. الإنسانية تعانى من اختلال أخلاقى. تونس هى البلد العربى الوحيد الذى يشبه سويسرا.

لا يتبقى فى الذهن بعد زيارة الدكتور محمد فاضل الجمالى سوى صورة عن شيخ يدب الهوينا مع رفيقة حياته ـ زوجته الكندية ـ التى تتحرك بجهد ومشقة كبيرين. لكنها رغم ذلك بمقدورها أن تقوم بجميع شئون بيتها بنفسها. وأيضا بمقدورها أن ترحب بضيوف زوجها وتعد لهم الشاى على عجل.

الدكتور فاضل الجمالى بدأ يَشرف على التسعين من عمره. وهو الآن فى التاسعة والثمانين. زوجته فى عقدها التاسع. يسكنان بيتا فى قمرت من الضاحية الشمالية لتونس العاصمة، هو بيت فسيح تقريبا.

تتكوّم وتتناثر فى غرفه الكتب والمجلات، ويبدو أنه يُسبّب عَنتا ومشقة لصاحبيه العجوزين عند تنظيفه وترتيبه.

الدكتور محمد فاضل الجمالى رئيس وزراء العراق فى العهد الملكى قبل استلام الشيوعيين ومن بعدهم البعثيين الحكم فى العراق هو مثقف ودبلوماسى وسياسى معروف فى أنحاء كثيرة من العالم، وله علاقات واسعة مع رجال بارزين من أصحاب الرأى والقرار فى عدة مناطق من المعمورة، إنه رجل يتمتع بصيت حسن فى العالم العربى، درَس فى الجامعة التونسية أكثر من ربع قرن، أصدر أكثر من عشرين مؤلفا باللغة العربية والإنكليزية، له تسع مخطوطات باللغتين العربية والإنكليزية تنتظر من يطبعها!! ترجمت بعض كتبه إلى لغات أجنبية...

الدكتور الجمالى يشتغل فى مؤلفاته على محورين أساسيين:

الأوّل: حول التربية وأصولها وأساليبها ومناهجها وطرقها.

والثانى حول الأحوال السياسة الراهنة فى الوطن العربى.

إنه يشتغل بصورة لا هوادة فيها، وله برنامج عمل طريف، فهو يقوم الليل بطوله باحثا منقبا فى الكتب ومدوّنا للملاحظات والجمل وينام فى حدود الساعة السابعة صباحا ليصحو فى الثانية عشرة ظهرا، قبل صلاة العصر فى ذلك الوقت يتناول فطوره الصباحى، وفيما بعد يقوم بجولة قصيرة مشيا على الأقدام بخطى قصيرة متمهلة ومتقطعة، جولته تفضى به إلى بائع الجرائد، ومن هناك يقتنى حاجته ويرجع إلى بيته يلازم كتبه وأبحاثه وتأملاته وذكرياته.

حديثى مع الأستاذ الجمالى كان حديثا عفويا مثل كل أحاديث البيوت، ومنه سجلنا الآتى:

العداء للشيوعية والصهيونية:

*وفى فترة الخمسينات كنت من العرب القلائل الذين لهم فكر وتوجه ليبراليان.... والآن بعد أكثر من أربعين سنة، تبدّلت الظروف وسقط النموذج المنافس والمعادى لليبرالية، فكيف ترى الأمر؟

بعد هذه المدة ثبت أنّنى كنت على حق، وأن المدرسة التى إتميت وأنتمى إليها كانت على حقّ. لقد كنّا ضد الشيوعية بقوة، وضد الصهيونية بعنف، وضد الاستعمار الغربى بلطف، فوقعت إزاحتنا من السلطة، أنا كنت فى مواقفى أنطلق من مبادئ عمر بن الخطاب الأربعة فى السياسة:

الأول: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟.

الثانى: الساكت عن الحق شيطان أخرس.

الثالث: من أين لك هذا؟.

الرابع: كلمة حق لا خير فيكم إن لم تقولوها ولا خير فينا إن لم نسمعها.

إننى مارست السياسة ولم أكن سياسيا، فقط كنت مهتديا بتلك المبادئ المستمدة من عمر بن الخطاب، وكانت أهدافى فى الحياة

تتلخص فى تحرير أمتى وتوحيدها والنهوض بها، وهذا ما طبقته فى التعليم وفى العمل الديبلوماسى وفى المسئولية السياسية.

*بعد سقوط المنظومة الاشتراكية يبدو أنك سعدْتَ بذلك؟

لا!! سعادتى لم تكتمل لأن فرعنة الدول الرأسمالية على الدول العربية والعالم الإسلامى ـ لا سيما فى فلسطين والعراق ـ قد تفاقمت....

* لماذا تحقد على الفكر الشيوعى والاشتراكى عموما؟!

لأنى أومن بحرية الفرد، وأمقت السلطوية الاستالينية. إن الفرد الشيوعى هو عبدمسخَّر للنظام... لكن رغم ذلك فإن التجربة الشيوعية أفادت الإنسانية من خلال منافستها للاستعمار الغربى.... إن فلسفتى وسياستى كانت فى الأمم المتحدة تقوم على الإستراتيجية التالية:

أتعاون مع الشيوعية ضد الاستعمار الغربى وأتعاون مع الاستعمار الغربى ضد الشيوعية، كنت أرضى الطرفين وأغضبهما فى آن، إن أعداء السلام فى العالم هم الاستعمار الغربى القديم وربيبته الصهيونية العالمية وكذلك الشيوعية... الآن إذا زال خطر الشيوعية من العالم فنحن نخشى أن يعود خطر الاستعمار الغربى باسم النظام العالمى الجديد وإن تركب الصهيونية حصان الاستعمار الجديد فتعيث فى الأرض فساداً.

أمريكا الثقافة والسياسة:

* فيما مضى كان خصومك السياسيون يتهمونك بأنك أمريكى... فهل ما زال «التأمرك» تهمة؟!.

أنا كنت وما زلت أمريكيا فى الثقافة، لكن ليس فى السياسة... هذا علما بأننى كنت أكثر أبناء العروبة صراحة فى مخاطبة الأمريكان ونقدهم... إن علاقتى الثقافية مع الأمريكان ترجع إلى ٧٢ سنة مضت، والأمريكان يعرفون عنى أننى قومى عربى مخلص لأمتى، وأنا كصديق لهم أخاطبهم بالصراحة، متبعا فى ذلك مبدأ: «صديقك من صَدَقَكَ، لا من صدّقك» !.

* إنّك تميّز بين الثقافة والسياسة مع أنه يمكن تصور أن الثقافة الأمريكية هى التى تخلق السياسة الأمريكية، والمقصود بالثقافة هى القيم العميقة التى تسود المجتمع، وهى فى حال المجتمع الأمريكى قيم النفع والاستهلاك والتنافس (إلخ) ؟!.

أنا أفرّق بين السياسة الأمريكية الأصيلة والسياسة الأمريكية الدخيلة... السياسة الأصلية هى سياسة إنسانية تواصلت فى أمريكا إلى حدود الحرب العالمية الثانية، وكنّا نعتقد فى ذلك الوقت أن الأمريكان هم أصدقاؤنا وسينقذوننا من الاستعمار الغربى... ولكن منذ الحرب العالمية الثانية نشطت الصهيونية داخل الأمريكان ونحن غافلون عن ذلك حتى تاريخ حرب السويس سنة ٦٧ التى استولت فيها إسرائيل على كل فلسطين. ومنذ ذلك التاريخ فإن الثقافة والسياسة الأمريكيتين تلوّثتا بالصهيونية. ولم يعد لنا صوت فى الولايات المتحدة، وآخر صوت كان لنا فيها هو فى اجتماع ميثاق بغداد سنة ١٩٥٨ فى أنقره (تركيا) حيث دعونا لإنقاذ فلسطين...

على كل حال فأنا لست يائسا من الشعب الأمريكى لأنه شعب نبيل ويأبى الظلم ويحبّ الحق، وأعتقد ـ كما قلت لبعض الأمريكان ـ إنه سيأتى اليوم الذى يستيقظ فيه الضمير الأمريكى، فيطلب الأمريكان العفو من الشعب الفلسطينى ويعوضونه عن بعض ما لحقه من خسائر.

* هل نفهم من كلامك أنك تحسّ بخيبة من الأمريكان رغم الصداقة العريقة التى تربطك بهم؟!.

نعم أحسّ بخيبة كبيرة... الضربة عندما تأتى من صديق تكون أقسى من الضربة التى تأتى من العدو. وذلك شىء طبيعى ويعرفه الأمريكان، أنا رجل بسيط وصريح وما فى قلبى وفكرى هو على لسانى ولم أعتد أن أنافق وأتبع السياسة الحربائية فى حياتى.

الأمة العربية وانحطاط الأخلاق:

* هناك من الملاحظين السياسيين من يرى أن الأمة العربية ودولها المتعددة تمرّ بأسوأ فترة فى تاريخها، وكونكم عاصرتم أحداثا عديدة من تاريخ العرب فكيف تقيّمون هذه الفترة؟!

أنا من الذين يرون أن الأزمة التى تمرّ بها الأمة العربية هى أسوأ الأزمات، إنها أزمة متعددة المظاهر، أزمة فى الهوية وفى الاستقلال أو التبعية وفى الأخلاق وصفاء النية وفى الحرية وفى الفكر...

* أنت تعتبر أن الجانب الأخلاقى هو المحدد فى السلوك البشرى وتهمل الظروف التى قد تتفق فى تأثيرها على السلوك البشرى!!.

فى رأيى أن الإنسان الكامل هو الذى يكون مؤمنا ذا أخلاق فاضلة، محبا للعلم والحكمة (أو الحق والحقيقة) يمارس العمل الصالح... فإنسانية الإنسان تتجلى فى هذه النواحى المذكورة، وهى كلها ملخصة بإيجاز وإعجاز فى سورة قصيرة فى القرآن الكريم هى سورة العصر: **﴿والعصر ★ إن الإنسان لفى خسر ★ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾** والصبر هو السيطرة على النفس والقيام بالسلوك الصحيح بدوافع شريفة.

إن مشكلة الإنسانية اليوم هى بالدرجة الأولى ضعف فى الأخلاق ووجود فلسفة أخلاقية معتلة... إن طغيان الكبرياء والغطرسة والأنانية والطمع والعنف والظلم والفرعنة والغشّ واللف والدوران فى المعاملات والسياسة، كلها أمراض نفسية أخلاقية يصحبها رد فعل: إمّا ثورة أو انكماش وأعمال سرية... لو تخلقنا بالصدق والإخاء والمحبة والغيرة والعفّة لحدث انقلاب سياسى واقتصادى فى مجتمعاتنا...

التوحيد بدل التفتيت:

* الحديث عن الأخلاق يُفضى بنا لطرح موضوع الحركات الدينية المتطرفة التى تنادى هى الأخرى بنوع من الأخلاق...

أنا شخصيا أعتبر أن الإسلام للجميع، لكن أن يكون الإسلاميون طرفا ضد قسم من الشعب فهذا غلط... بعبارة أخرى أنا ضدّ الانشطار فى المجتمع. أبناء المجتمع لا يجب أن يكون بينهم انشطار وعزلة، وإذا

وجدت أحزاب فيجب أن تكون أحزابا متعاونة لا متزاحمة... أنا شخصيا لم أنْتَمِ إلى حزب فى حياتى، وكل حزب فى العراق استفاد من خبرتى بصفتى أخ الجميع...

إن مبادئى الفلسفية هى التالية: شمول ـ توحيد ـ انسجام ـ واتزان ـ حركية... إننى أنظر الى «الكون كوحدة مترابطة متفاعلة» وإلى الإنسان كمجموعة أعضاء متفاعلة ومتحدة. والمجتمع فى رأيى هو وحدة عضوية، لا يمكن الاهتمام باليد فيها وإهمال الساق أو العكس.

إن كل فلسفة فيها ناحية من الحقيقة، لكن ليست كل الحقيقة، والآن نحن مبتلون بالفلسفة التجزيئية التى تقطع وحدة الجسم ووحدة الحقيقة، فترانا بدل أن نعيش الانسجام نعيش الاصطدام، والتجافى بدل التلاقى والجمود بدل الحركية.. وهذه كلها أمراض فلسفية فى مجتمعنا.

إن الفلسفة الغربية اليوم تفرّق بين المادة والروح، بين العلم والدين، بين الشرق والغرب، بين أمّة وأمّة، بين طبقة وطبقة، بين المرأة والرجل... فى حين نحن ندعو إلى فلسفة التوحيد والانسجام والتوافق... إننا فى العالم الإسلامى نعانى من مشكلة أساسية تتمثل فى ضرورة الخروج من الانغلاق والدخول فى التفتح على الحضارة المعاصرة وعلى السياسة وعلى الطبيعة العقلية التى تماشى العصر.

الإيمان بالأمة العربية دون تفرقة بين الدول

* وأنت فى هذا العمر المديد ـ أطال الله لك فيه ـ كيف تنظر إلى مستقبل العرب فى العالم؟

أنا متفائل، كنت دوما فى حياتى متفائلاً... إن مهنتى هى التربية والتعليم، ومن أسس هذه المهنة التفاؤل، ومن لم يكن متفائلا فالأجدر أن يترك التعليم... أنا أومن بالقوة الخلاقة فى الكون، وأنظر إلى نشوء والإنسان من طفولته إلى ما فوق، كذلك المجتمعات، نظرة حركية متجددة. فيها الخطأ والصواب. لكن أيضا فيها الثبات، أى أن هناك قوة خلاقة فى الوجود هى سنة الله فى الكون، وهى الموكول لها تغيير حال العرب ونحت مستقبلهم المختلف إيجابيا عن حاضرهم.

ذكريات عن السجن وحكم الإعدام

* سنة ٥٨. حكم عليك بالإعدام والسجن فما هى التهم التى وجهت إليك؟

كثيرة... منها التآمر على سوريا (الإعدام) إلقاء خطاب فى مجلس الأمن (٢٠ سنة سجنا) دعوة إلى ميثاق بغداد (٢٠ سنة سجنا)... ونسيت تفاصيل التهم وتفاصيل القضية، لكن أذكر أن العديد من رجالات العالم تدخلوا لفائدة إلغاء الأحكام ومنع تنفيذ الإعدام وإطلاق سراحى ومنهم «نهرو» و «داغ هامرل شولد» ـ الأمين العام للأمم المتحدة ـ والبابا يوحنّا الثالث والعشرين وأيوب خان رئيس الباكستان

وملك السويد ورئيس جمهورية ألمانيا الاتحادية والرئيس السابق الحبيب بورقيبه والملك محمد الخامس.. إلخ والذى أنقذنى مباشرة من الإعدام هو مجيىء المرحوم المغفور له محمد الخامس إلى المشرق فدعى إلى العراق فقال إنه لا يستطيع زيارة العراق والدكتور محمد فاضل الجمالى محكوم عليه بالإعدام، فقيل له: تفضّل إلى العراق وسننظر فى قضية الجمالى فجاء فى أواخر رمضان من سنة ٥٩ ـ١٩٦٠ـ (حسب ما أذكر) ويوم عيد الفطر صباحا أذاع راديو بغداد تبديل حكم الإعدام بالسجن عشرة سنوات سجنا فقط... وسنة ١٩٦١ أعفى عنى نهائيا وفى سنة ١٩٦٢ تركت العراق إلى سويسرا للعلاج ومن هناك استدعتنى الحكومة التونسية.

تونس هى البلد العربى الوحيد الذى يشبه سويسرا

* مضى على إقامتك فى تونس حوالى ثلاثين سنة فكيف تقيم الوضع الحالى لتونس؟

تونس هى البلد العربى الوحيد الذى يتمتع بالأمن والنظام والاستقرار والتفتح على الحضارة مع اعتزازه بالقيم العربية الإسلامية... فى المدة الأخيرة اتصلت بالإذاعة السويسرية التى أذاعت تحقيقا عن البلدان التى تشبه سويسرا فى العالم ولم تذكر تونس، كان البرنامج مباشرا وكنت فى الاستماع، فاتصلت بهم وقلت لهم إنهم يجهلون أن تونس اليوم هى سويسرا البلاد العربية.

* أنت كنت من ضمن أوائل ممثلى الدول الذين أمضوا على ميثاق الأمم المتحدة، وعلاقتك بهذه المنظمة القديمة، لكن فى المدة الأخيرة كتبت عدة مقالات تهاجم فيها المنظمة المذكورة ومجلسها للأمن. فما سبب ذلك؟

أنا أحد اثنين ممن هم على قيد الحياة ووقعوا على ميثاق الأمم المتحدة بإسم العراق، الثانى هو الأمريكى الكومندور «هرولد ستاسن»... إن الأمم المتحدة خرجت على الميثاق وداسته وكذلك داست الشرعية الدولية فى القضية الفلسطينية.

الحنين إلى مسقط الرأس.

* سؤالى الأخير فى هذا اللقاء هو عن شعورك بعد حوالى ثلاثين سنة من غيابك عن بلدك العراق؟!.

أنا فى تونس إذن فأنا فى بلدى... إن الأمة العربية كلها أمتى والوطن العربى كله وطنى، أنا كويتى وتونسى وعراقى وسعودى بطبيعة الحال... لقد ولدت فى العهد العثمانى، وقد ربتنا الإمبراطورية العثمانية على أن نعتبر كل الأرض الإسلامية وطنا لنا.

* المقصود بالسؤال هو الجانب الحميمى والارتباط بمسقط الرأس، فالوطن الثقافى هو دائما ليس مثل الوطن الفعلى، وطن الأهل والطفولة والذكريات الأولى (... إلخ)؟

إن حدود الوطن عندى واسعة، أنا شخصيا عشت وخدمت وشعرت بالارتباط بالبلاد العربية من مشرقها إلى مغربها. درست فى الجامعة الأمريكية فى بيروت، وفى شبابى كنت أعتبر سوريا ولبنان وطنى مثل العراق، نشأت فى يد أستاذ مصرى، ولما ذهبت سنة ٤١ و ١٩٤٢ لاستقدام أساتذة مصريين للعراق عوملت كفرد من العائلة المصرية. ومن بعد دافعت على استقلال ليبيا والمغرب وتونس ثم الجزائر، وقد بدأت فى الدفاع عن القضية الفلسطينية منذ كنت طالبا فى الولايات المتحدة الأمريكية ١٩٢٩، أى منذ أكثر من ٦٠ سنة.

* كان قصدى من السؤال هو ألا تشعر بالحنين إلى العراق... ألم يحمس قلبك الشوق إليه؟!.

لا أحب العودة إلى العراق الآن لأن كل أصحابى ماتوا... أنا آخر من بقى على قيد الحياه من رؤساء الوزارات فى العهد الملكى ولكن هذا الشعور لا يعنى أن العراق ليس فى فكرى وقلبى طول الوقت كما هو الحال مع فلسطين... الآن عواطفى نحو العراق ملتهبة نظراً لما لحق الشعب العراقى من ظلم وضيم.

الأمة العربية إلى أين

إن «ديوان الحماسة» لأبى تمام حبيب بن أوس الطائى وهو الديوان الذى يعبّر عن الطباع العربية الأصيلة أصدق تعبير يبدأ بالأبيات التالية لقريط بن أنيف:

لو كنت من مازن لم تستبح إبلى ... بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا

إذن لقام بنصرى معشر خشن ... عند الحفيظة إن ذو لوثة لانا

قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم ... قاموا إليه زرافات ووحدانا

لا يسألون أخاهم حين يندبهم ... فى النائبات على ما قال برهانا

لكن قومى وإن كانوا ذوى حسب ... ليسوا من الشر فى شىء وإن هانا

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ... ومن إساءة أهل السوء إحسانا

كأن ربك لم يخلق لخشيته ... سواهم من جميع الناس إنسانا

فليت لى بهم قوما إذا ركبوا ... شدوا الإغارة فرسانا وركبانا

ما أصدق هذه الأبيات إنها تنطبق على واقعنا العربى تمام الانطباق فقد استبيحت «إبلنا» فى فلسطين ولبنان وسوريا والعراق وليبيا والحبل على الجرار.. ولكن شعوبنا المغلوبة على أمرها ودولنا المتصارعة فيما بينها لم تنقذ ولا واحدة من الإبل! مع الأسف الشديد.

إن كاتب هذه السطور لم يتعرض لمؤتمر السلام الذى روجت له الولايات المتحدة وبعض الدول العربية منذ انعقاده فى «مدريد» إلى يومنا هذا لأنى أحب السلام وأدعو إلى السلام ولكنى أرفض الاستسلام وأفضل أن أدافع عن حقى بالحياة وبالكرامة، بالقوة إذا لزم الأمر ولا بأس إذا غلبت فى معركة أو استشهدت فذلك أشرف من الاستسلام والعيش بالذل والهوان.

إن مؤتمر السلام هذا كما كنت أتوقع كان أحبولة يراد بها تضييع الوقت لتقوم إسرائيل بغرس المستوطنات فى الأراضى المحتلة حتى تمتلئ فتصفى القضية الفلسطينية! وإن المكسب الوحيد (فى نظرى) فى مؤتمر السلام هذا هو الموقف المشرف الذى وقفه الوفد الفلسطينى (وأخص بالذكر الدكتورة حنان عشراوى) دفاعا عن الحق الفلسطينى وإبراز القضية الفلسطينية إلى العالم الغربى بكل بساطة ووضوح ولكن ما جرى قبل المؤتمر وما حل منذ عقد المؤتمر لم يثمر أية نتيجة إيجابية لإحقاق الحق العربى وحقّق لإسرائيل كل ما تريد.

فقد قامت الولايات المتحدة بعضد إسرائيل فى تحقيق الأهداف التالية:

(١) سحق القوة العسكرية العراقية وتعريض شعب العراق إلى الهلاك.

(٢) فتح السوفييت الأبواب للهجرة اليهودية إلى فلسطين.

(٣) حمل الاتحاد السوفيتي والصين والهند وعدد من الدول على الاعتراف بالدولة العبرية.

(٤) حمل الأمم المتحدة على إلغاء قرارها بأن الصهيونية هى نوع من أنواع العنصرية.

(٥) اعتبار الدول التى ترعى الفلسطينيين المدافعين عن حقوقهم دولا إرهابية.

(٦) حمل الدول العربية على الاتصال بإسرائيل ودعوتهم لإنهاء المقاطعة. وتقديم الأموال لمشاريع عربية إسرائيلية.

(٧) سحق الكيان الفلسطينى وتفتيت الوحدة الفلسطينية فى حضور المؤتمر. فقد قسم الفلسطينيون: إلى سكان القدس، سكان الأرض المحتلة، النازحون المستقلون، منظمة التحرير الفلسطينية. فإسرائيل هى التى تقرر من له حق الاشتراك فى المؤتمر والولايات المتحدة تؤيد والدول العربية الوسيطة تنصح بالإذعان.

إن الدول العربية الوسيطة بين الولايات المتحدة ومنظمة التحرير هى التى حملت الفلسطينيين على قبول التفاوض من أجل إحلال السلام مع التنازلات التالية:

(١) التفاوض على أساس تحقيق «الحكم الذاتى» بدل الاستقلال وحق تقرير المصير مباشرة.

(٢) استبعاد بحث موضوع القدس وعدم وجود ممثل من القدس فى الهيئة المفاوضة.

(٣) عدم وجود ممثلين من النازحين فى الهيئة المفاوضة.

(٤) عدم اشتراك منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعى والوحيد للشعب الفلسطينى فى التفاوض.

(٥) عدم التوقف عن غرس المستوطنات اليهودية فى الأراضى المحتلة وإسراع إسرائيل فى غرس المستوطنات.

(٦) عدم اعتراف الولايات المتحدة بحق الفلسطينيين بإنشاء دولتهم فى فلسطين وحق تقرير المصير.

(٧) إعلان الولايات المتحدة المتكرر بأنها لا تستطيع حمل إسرائيل على تنفيذ قرارات الأمم المتحدة وضمان الشرعية الدولية.

وهذه كلها شروط استسلامية أملتها إسرائيل وقبلها العرب.

إن القضية الفلسطينية تكاد تكون قد انتهت بفضل المواقف العربية الهزيلة. وإنه لمما يحز فى النفس أن تصبح فلسطين أندلس القرن العشرين بفضل السياسة التى اتبعتها الدول العربية ذات الإمكانات السياسية. ونحن نعلم حق العلم أنها إنما فعلت ذلك تقربا للولايات المتحدة وإعتمادا عليها ونحن نقول (اعتمادا على خبرتنا الطويلة

وصداقتنا الأكيدة للولايات المتحدة) إن الولايات المتحدة ليس فى مقدورها أن تمس إسرائيل بشعرة ذلك لأن الصهيونية الأمريكية متغلغلة فى مراكز صنع القرار فى الولايات المتحدة. والتعامل مع الولايات المتحدة ينبغى أن يكون من موقع الصراحة والقوة (لخير جميع الأطراف) وليس من موقع الاستسلام والتبعية. فالاعتماد على الولايات المتحدة وحدها يعنى ضياع الحق العربى فى فلسطين والمضىّ فى تحقيق إسرائيل الكبرى.

ولكننا نتساءل أين السياسة العربية التى فى وسعها استخدام الصراحة والقوة؟ فدولنا العربية المشتتة المتخاصمة فيما بينها وغير المطلعة الاطلاع الواسع العميق على ما حدث وما سيحدث وما يبيت لها من تمزيق واستنزاف وحروب وانقسامات مضطرة فى أوضاعها الراهنة أن تطلب الحماية وأن تغدق المال على تجار السلاح وأن تصغى إلى أبواق الدعاية الصهيونية المعادية للعروبة والإسلام. أما آن لهذه الدول أن تأخذ مواقف موحدة صريحة قوية بالوضوح والمنطق والتمسك بالشرعية الدولية موقف الند للند وليس موقف الضعيف المستجير أمام القوى الباغى؟

نعود فنقول نحن دعاة سلام ولكننا نأبى المهانة والاستسلام! ولا أمل (فى نظرنا) فى إحلال السلام فى الشرق الأوسط والصف العربى ممزق منقسم على نفسه. الحكومات العربية تتبع سياسات انفرادية هزيلة متضاربة. كان الواجب يحتم أن نحقق السلام بين دولنا العربية قبل

تحقيق السلام مع إسرائيل. فلو حققنا السلام العربى ووحدنا سياساتنا الخارجية بدرجة تضمن الأمن والسلام للجميع لاستطعنا أن نجابه أمريكا والعالم أجمع وإسرائيل مجابهة الند للند وليس مجابهة التابع للمتبوع والضعيف للقوى.

إنها مسئولية تاريخية أمام الله يتحملها قادتنا وزعماؤنا ومثقفونا تتطلب التغلب على الأنانية فى السلطة وممارسة التفكير الممعن والإطلاع الواسع والاستعداد للتضحية. لإنقاذ أمتنا وتحرير شعوبنا وحمايتها من العدوان الأثيم مهما كان مصدره وممارسته.

وبعد... فهذه كلمتى التى قال عنها الخليفة العظيم عمر بن الخطاب: «لا خير فيكم إن لم تقولوها ولا خير فينا إن لم نسمعها».

ومن الله تعالى النصر والهداية.

مجلس الأمن ومواقفه المتحيزة
فى قضايا عربية

كنا وما زلنا نعتقد أن منظمة الأمم المتحدة هى أهم مؤسسة عالمية وجدت لضمان الأمن والسلام والرفاه فى العالم.

وإن مجلس الأمن هو الجهاز المهيمن الفعال الذى يتولى صيانة الأمن. فإذا اعتل هذا الجهاز اعتلت المنظمة وإذا اعتلت المنظمة ضعف أمل الشعوب فى نجاعتها عادت البشرية إلى شريعة الغاب ـ ما حصل منذ أنشئت الأمم المتحدة إلى انحلال الاتحاد السوفيتى هو شلل مجلس الأمن بسبب استعمال حق النقض (الفيتو) من قبل الدولتين العملاقتين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى. فالولايات المتحدة كانت تستعمل حق النقض فى أكثر الشكاوى التى كانت تقدم إلى مجلس الأمن عن العدوان الإسرائيلى فى فلسطين وما جاورها من الأقطار العربية. والاتحاد السوفيتى استعمل حق النقض فى نطاق الحرب الباردة مع الولايات المتحدة ولا سيما فى تأجيل قبول المنظمة أعضاء جدد تؤيدهم الولايات المتحدة. واليوم وقد غاب الاتحاد السوفيتى وانفردت الولايات المتحدة بزعامة العالم أصيب مجلس الأمن بعلل جديدة لابد للولايات المتحدة من أن تتولى علاجها تمشيا مع روح النظام العالمى الجديد الذى تدعو إليه. ومن هذه العلل:

(١) إصدار مجلس الأمن قرارات وقيام أعضائه الدائمين بتصرفات تتحدى الميثاق أحيانا.

(٢) قيام مجلس الأمن بدور محكمة جنائية تنزل العقوبات على الأعضاء من دون قانون عقوبات ومن دون حق تمييز.

(٣) مجلس الأمن يتصرف بمعايير مزدوجة في تطبيق الأحكام. فهو يحلل للبعض ما يحرمه على الآخرين ويعاقب من يشاء ويغفر لمن يشاء.

تحدي نصوص الميثاق:

(١) إن مجلس الأمن وبعض أعضائه الدائمين تحدوا أهداف الميثاق ونصوصه في العديد من القضايا المتعلقة بالشرق الأوسط نذكر على سبيل المثال:

(أ) ان الأمم المتحدة إنما وجدت لحل الخلافات والنزاعات بالحسنى ومنع الحروب. لكن مجلس الأمن تجاوز نصوص الميثاق. فأشعل حرب الخليج الثانية. إن العديد من المفكرين والمطلعين كانوا وما زالوا يعتقدون بأن حرب الخليج لم يكن لها ما يبررها قبل استنفاد الوسائل السلمية فالتفاوض والوساطة والتحكيم كانت كافية لحل المشكلة بين الجارين الشقيقين لكن الولايات المتحدة كانت عازمة سلفا على ضرب العراق وتحطيم قوته العسكرية فكانت الحرب ووقعت المآسي.

(ب) ان ميثاق الأمم المتحدة يمنع استعمال لغة التهديد بين الدول الأعضاء ولكن بعض رؤساء الدول الغربية استعملوا التهديدات الصارخة ووجهوا التهم والنعوت المعتمدة على تقارير الاستخبارات وأجهزة الدعاية الصهيونية.

(جـ) إن المادة الثانية من ميثاق الأمم المتحدة لاتجيز للمنظمة (ومن ضمنها مجلس الأمن) التدخل فى الشئون الداخلية لأى عضو من أعضاء المنظمة. ولكن قرارات مجلس الأمن وثلاثة من الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن قاموا بتدمير المرافق الحيوية للعراق وداسوا سيادة العراق وتدخلوا فى أجوائه وأراضيه وحرضوا أبناء العراق على الثورة وعرّضوا الشعب العراقى إلى الهلاك. هل كل ذلك لحفظ الأمن والسلام العالمى؟ إنهم يمارسون الوصاية على شئونه الداخلية وثرواته المالية. إنها سلطوية استعمارية تناقض روح الميثاق ـ لأن قرارات مجلس الأمن وتصرفات بعض أعضائه الدائمين داست وسحقت مبدءا أساسيا من مبادئ الميثاق أعنى به احترام سيادة بلد عضو فى المنظمة وعدم التدخل فى شئونه الداخلية.

(د) ان استمرار العقوبات على العراق بعد أن خرج من الكويت ونفذ قرارات مجلس الأمن وجرد من أسلحته الفتاكة فيه خروج على الحدود التى يتطلبها إحلال السلام وخرق لمبادئ حقوق الإنسان. إن مجلس الأمن إذ يؤجل إنهاء العقوبات إنما يستند

إلى ادعاءات واهية من جهات مغرضة هى الاستخبارات الإسرائيلية. فإذا استمر الحال على هذا المنوال فسيخسر مجلس الأمن مصداقيته وهيبته وبذلك يتضرر السلام العالمى.

(هـ) إن مجلس الأمن لم يحقق ما يتطلبه الميثاق من إحلال السلام وإعادة الوئام بين الجارين الشقيقين بل على العكس عمل ويعمل على كل ما يزيد الخصومات والضغائن بين الطرفين وفى ذلك نسف لأغراض الميثاق ونصوصه.

(٢) قيام مجلس الأمن بدور محكمة جنائية.

(أ) ليس فى ميثاق الأمم المتحدة ما يخول مجلس الأمن أن يقوم بدور محكمة جنائية وينزل عقوبات تمليها دولة عظمى بدون تحقيق كاف أو صلاحية قانونية. هناك محكمة عدل دولية كان ينبغى أن تحال عليها كل الخلافات فى القضايا الجنائية، فإذا تعذر ذلك فلا بد من تشريع خاص تحدث بموجبه محكمة ملحقة بمجلس الأمن مع قانون عقوبات تطبق أحكامه على كل الدول صغيرها وكبيرها بدون تمييز. ففى الوضع الراهن تفرض عقوبات على العراق وعلى ليبيا اعتباطا وبدون نصوص قانونية تحدد العقوبات وإذا كان مجلس الأمن حرا فى معاقبة الدول الصغيرة (ولاسيما إذا كانت عربية أو إسلامية) فهل يستطيع مجلس الأمن أن يعاقب دولة كبرى إذا اقترفت جريمة؟ وهل يستتب الأمن والسلام فى العالم اليوم إذا كانت القوة هى

التى تتحكم فى الأمور وليس الحق. وإذا كانت مصالح دولة عظمى هى التى تتصرف فى مصير الشعوب وليس القانون؟

إن ما اقترفته الولايات المتحدة من عدوان صريح بمهاجمة ليبيا عسكريا فى عهد الرئيس ريغان وسحق العراق وتدميره وتعريض سكانه للهلاك لم يكن ليحدث لو وجدت محكمة عليا تحاكم الدول صغيرها وكبيرها على حد سواء. كما أن الاعتراضات التى تثيرها الدول العظمى حول الطائرة الأمريكية التى سقطت على «لوكربى» كانت تعرض على تلك المحكمة.

(ب) ليس من اختصاص مجلس الأمن أن يحدد الحدود الجغرافية لأعضاء المنظمة الدولية بل هو أمر يعود الى الدول المتجاورة لتتفاوض فيما بينها وتتفق على الحدود أو أن تذهب إلى الاحتكام أمام محكمة قانونية. إن ما قام به مجلس الأمن من تعيين لجنة لتحدد الحدود بين العراق والكويت وما قررته اللجنة من اعتداء على حقوق العراق لا يستند إلى أسس قانونية وليس من اختصاص مجلس الأمن. فما قام به مجلس الأمن هو وضع قنبلة موقوتة بين الجارين الشقيقين لتنفجر فى مستقبل غير منظور. إذ لا يوجد عراقى على ما نعلم يرضى بالاعتداء على حدود العراق الطبيعية. ومجلس الأمن ينسف الغرض من وجوده إذا أصبح مصدرا للإخلال بالأمن حاضرا ومستقبلا.

(جـ) لو فرضنا أن مجلس الأمن اتخذ لنفسه صلاحية القيام بدور محكمة جنائية فهل يصبح آنذاك محكمة مدنية أم محكمة عسكرية عرفية. ولما كان كاتب هذه السطور قد وقف أمام محكمة عسكرية عرفية وحكم عليه بالإعدام وخمسة خمسين سنة سجنا. فإنه يقدر ويدرك قيمة الأحكام التى تصدرها محاكم من هذا النوع ونحن نخشى أن يكن مجلس الأمن بأعضائه الذين يتمتعون بحق النقض يتخذون من مجلس الأمن دور المحكمة العرفية العسكرية وذلك لأن دولة واحدة باستعمالها حق النقض وبفرض سلطتها على أعضاء المجلس تحرم المحكوم عليه من حق التمييز أو الاعتراض وهو ما قد حصل فعلاً فى العقوبات المفرضة على العراق تتبعه ليبيا. هل هذا وضع ينشر السلام والطمأنينة فى العالم؟

(د) إن العقوبات تسلط على دولة مخلة بالسلام فما ذنب الدول البريئة التى تتعامل مع تلك الدولة؟ ولنأخذ المقاطعة الاقتصادية المفروضة على العراق والتى قد تفرض على ليبيا كمثال. فها هى تركيا قد خسرت مئات ملايين الدولارات بسبب إيقاف ضخ النفط العراقى عبر أراضيها. وها هو الأردن وقد تضررت مصالحه الاقتصادية وعلاقاته التجارية الحيوية مع العراق. أليس إجبار هذه الدول على تطبيق العقوبات تدخل فى شئونها الداخلية وأمنها الاقتصادى؟ كم ألحق مجلس الأمن من أضرار

بالاقتصاد العالمى من جراء قراراته المجحفة بحق العراق وليبيا، فكم من شركات وبنوك وخطوط جوية أعلنت عن إفلاسها أو خسائرها بسبب حرب الخليج؟ وها هى ليبيا اليوم تهدد (حسب ما يشاع) بالانسحاب من اتحاد المغرب العربى فيما إذا التزمت دول الاتحاد بتطبيق عقوبات مجلس الأمن. أليس المفروض فى أعضاء مجلس الأمن أن يفكروا مليا فى عواقب القرارات التى يتخذونها. فلا يكون ضرر القرار أكبر من نفعه؟

مع دعوتنا الأكيدة لإنشاء محكمة دولية تعالج أمثال هذه القضايا وفق نصوص قانونية صريحة وإلى أن يحدث ذلك نرى عودة الدول المتضررة إلى المادة (٥٠) من الميثاق، المادة التى تخول الدول المتضررة أن تتداول مع مجلس الأمن لإيجاد مخرج يزيل الضرر.

(٣) الازدواجية فى موقف مجلس الأمن من حفظ السلام العالمى:

إن موقف مجلس الأمن إزاء مشكلات الشرق الأوسط منى بالازدواجية والتحيز الصريح.

وهو الأمر الذى جعل شعوب الشرق الأوسط (لا سيما العربية منها) تعتقد أن رواسب الاستعمار القديم ما زالت تعشش فى أذهان بعض الساسة فى الغرب وان الصهيونية العالمية تلعب دورها فى تغذية هؤلاء الساسة بالأساليب والأطماع الاستعمارية:

(أ) فمجلس الأمن الذى أبدى تحمسا واندفاعا فى إخراج العراق من الكويت لم يعمل شيئا إزاء احتلال إسرائيل للأراضى العربية من فلسطين ولبنان وسوريا كأن الأمر لا يمس السلام؟ فسكوت مجلس الأمن وركوده عن إحقاق الحق العربى الفلسطينى يمثل ازدواجية مشينة.

(ب) إن مجلس الأمن لم يلزم إسرائيل ولم يفرض عليها أية عقوبة بسبب مخالفاتها الدائمة وعدم تنفيذها قراراته. ولكن دولة عربية كالعراق أو ليبيا ومن يليهما معرضون لشتى العقوبات.

(جـ) إن مجلس الأمن لم يعمل شيئا لحماية حق الفلسطينى النازح بالعودة إلى وطنه، كما أنه لم يحاسب إسرائيل حين رفضت تطبيق قراره بعدم إبعاد الفلسطينى عن أرضه ووطنه.

(د) إن مجلس الأمن أقر تدمير السلاح الفتاك العراقى (إن وجد) فى الوقت الذى يسكت فيه عن السلاح الذرى الإسرائيلى ويسمح بامتلاك إسرائيل أحدث الأسلحة الفتاكة، كما يسكت عن تسليح دول المنطقة.

(هـ) مجلس الأمن لم ينبس ببنت شفة على التصريحات الإسرائيلية الصادرة من شامير وحزبه بعزمه على الاحتفاظ بالأراضى المحتلة وتحقيق إسرائيل الكبرى (وهى التى تمتد من النيل إلى الفرات) وكأن هذه السياسة لا علاقة لها بالأمن والسلام العالمى.

(و) مجلس الأمن يحاسب ليبيا على الإرهاب وهى تتبرأ منه وفى الوقت نفسه يسكت على العدوان الإسرائيلى المستمر على الشعب الأعزل فى لبنان وعلى سكان الأراضى المحتلة فالعدوان الإسرائيلى ليس إرهابا!

إذن فنحن ندعو مجلس الأمن أن يبدأ محاسبة نفسه وتحمل مسئولياته القانونية والوجدانية فى حفظ الأمن والسلام العالمى، واحترام القوانين وتطبيقها على الجميع بدون محاباة ثم تعريف الشعوب بحقوقها وواجباتها والتمسك بمبادئ التآخى والتراحم والإنصاف بين الشعوب والأفراد وتحقيق السلام لخير الجميع فمن أجل ذلك وجدت الأمم المتحدة ومن أجل ذلك وجد مجلس الأمن.

الأزمة الأخلاقية
فى عالم اليوم

إن ما تعانى منه البشرية اليوم من حروب دامية وسباق على التسلح وأمراض مستحدثة ومجاعات موضعية وصراع عقائدى وقلق اجتماعى يرجع (فى نظرنا) فى الدرجة الأولى إلى أن التربية عامة تراخت وأهملت العناية بغرس الإيمان بالله فى نفوس الأفراد والجماعات وقصرت فى تنمية المعرفة بالقيم الأخلاقية التى جاءت بها الأديان عامة والدين الإسلامى خاصة. فعلى ضوء هذه القيم صيغت مبادئ حقوق الإنسان وواجباته.

والتربية التى نحملها مسئولية الإهمال أو التقصير لا تنحصر فى المدرسة بل تتناول الأسرة والبيئة الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والإعلامية أيضا. فكلنا مسئول عن القيم الأخلاقية وحمايتها وازدهارها. ففى عالمنا اليوم «تخلف» خلقى هو أدهى وأمر من التخلف الفكرى والاقتصادى والتقنى بل قد يكون هو المسبب الأول للتخلف فى شتى نواحى الحياة.

ومن أهم عوامل إخفاق التربية فى الحقل الأخلاقى هو تفشى النزعة «اللا أبالية» التى برزت فى الغرب بإسم «الحرية» و «الفردية».

اقتبسناها نحن من الغرب باسم «المدنية» و «التقدمية» و «الرقى». نحن لا يخامرنا شك بأن الفلسفة «اللا أبالية» تتحمل قسطا وافرا من التردى الأخلاقى فى مجتمعاتنا ويتجلى ذلك فى انتشار التدخين بين طلاب المدارس.

هذا، وإن المشكلة الأخلاقية أصبحت عالمية اليوم. فالعالم معظمه شرقه وغربه يمينه ويساره ووسطه يشكو من تردى الأخلاق. وخطره على مستقبل الإنسانية. وما زلت أتذكر حديثين لى مع شخصيتين غربيتين بارزتين إحداهما سياسية والأخرى فلسفية حول تردى الأخلاق فى الغرب: بعد الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٦ أصبحت وزيرا لخارجية العراق وكان وزير خارجية بريطانيا آنذاك المستر «أرنست بيفن» وهو من أشرف من أنجبتهم بريطانيا فى الحقل السياسى. إنه شعر بالظلم الذى لحق بالشعب الفلسطينى واصطدم برئيس الولايات المتحدة الأمريكية ترومان حول الهجرة الصهيونية إلى فلسطين فقاوم الهجرة اليهودية إليها حتى وصفه اليهود بأنه «هتلر الثانى». إنه كان ذا ضمير حى، وقد توطدت علاقة صداقة بينى وبينه فقال لى قولته المشهورة «نحن لا نريد قواعد عسكرية فى البلاد العربية. بل نريد قواعد صداقة فى القلوب العربية». أثناء حديثى مع هذا الرجل الشريف قال لى ما مؤداه: «إنه يخشى أن تكون الخسارة التى لحقت بريطانيا فى الحرب العالمية الثانية فى الأخلاق أعظم بكثير من خسارتها فى الأرواح وهدم المدن والاقتصاد. وكلنا يعلم بأن بريطانيا التى اشتهرت تربيتها

بالعناية بالضبط الأخلاقى وتكوين السجية تعانى اليوم من العديد من آثار التراخى والأخلاقى بين بعض ساستها وفى أوساط الجيل الجديد. وهكذا تحققت مخاوف المستر «بيفن» فى هذا السبيل.

فى سنة ١٩٦٦ دعيت لإلقاء محاضرة فى كلية المعلمين العليا فى (رويتلنجن) بألمانيا الاتحادية، وفى حفل أقيم بعد المحاضرة سألت عن مصير الأستاذ الدكتر الفرد بويملر أستاذ الفلسفة فى جامعة برلين قبل الحرب العالمية الثانية. الأستاذ بويملر كان يصدر «المجلة الدولية للتربية والتعليم» وكنت قد نشرت فيها بحثا عن «توجيه التربية والتعليم فى العالم العربى» كما استقبلنى ورافقنى فى زيارات المعاهد العالية يوم زرت ألمانيا قبل الحرب. لذلك كنت مشتاقا أن أراه فقيل لى إنه يسكن فى قرية قريبة ولكن لا يعرفون عنوانه. ذهبنا إلى مركز الشرطة فأخبرونا بأنه يسكن فى شارع موزارت المتفرع من شارع بتهوفن، وبعد التحرى وجدنا البيت وطرقنا الباب، فتحته امرأة أصابها الذعر من رؤيتنا. قلت لها قولى له إن صديقا من العراق جاء للسلام عليه. وإذ به يسرع الى استقبالنا فعانقنى بحرارة وقال أنت ثانى شخص يسأل عنى من خارج ألمانيا وكان الأول أستاذا من تركيا. بعد المقدمة تحدثنا عن عمله فعلمت أنه منهمك فى إعداد كتاب فى موضوع خطير ألا وهو «انحدار الضمير الأخلاقى فى الغرب» وبدأ يشرح رأيه فى التدنى الأخلاقى الحاصل فى أوروبا بعد الحرب فى القيم وفى الآداب وفى تناسى الشرف والمروءة والنزاهة الوجدانية. قال لى إن كتابه إذا تم ونشر

فإنه سيهز أوروبا من الأعماق، تناولت كأس شاى وتفاحة مع الأستاذ بويملر واعتذرت من البقاء لتناول طعام العشاء معه. بعد بضعة سنوات زارنى فى دارى فى تونس أستاذ ألمانى فسألته عن الأستاذ بويملر وعن كتابه. أجاب بأنه لا يعرف شيئا عن ذلك. وبعد عودته إلى ألمانيا كتب إلىّ يخبرنى بأن الأستاذ بويملر قد توفى وأن كتابه لم يصدر مع الأسف. إن رأى الأستاذ بويملر عن الوضع الأخلاقى فى الغرب يشابه كثيرا رأى المستر «بيفن وزير خارجية بريطانيا الأسبق».

وها هو الغرب يشكو اليوم:

ـ من الإباحية فى الحياة الجنسية والحمل من السفاح بين طلاب المدارس. كما يشكو من الشذوذ وما نتج عنه من أمراض مستحدثة مثل «الإيدز» أو «السيدا».

ـ من العنف بين الطلاب والفوضى فى ملاعب كرة القدم إلى حد هلاك الأفراد فى الملاعب العامة.

ـ من الإدمان على الكحول والمخدرات على اختلاف أنواعها.

ـ من تأثير السينما والتلفزة على أخلاق الأطفال والشبيبة فى حقلى الجنس والعنف.

ـ من الإرهاب واختطاف الأشخاص من قبل تنظيمات سرية.

ـ من اغتيالات وخطف طائرات تقوم بها منظمات ثورية.

ـ من إسراف وتبذير أو سوء تصرف فى الحياة الاقتصادية وابتلاء البعض بداء المضاربة والقمار.

ـ من تفشى البطالة بين العمال والمثقفين وتفشى الإضرابات.

ـ من فصل العلم عن الأخلاق والدين واستخدام العلم لأهداف لا أخلاقية.

ـ من دعوة للتسابق فى التسلح وتعريض البشرية كلها للهلاك بالأسلحة الذرية والكيمياوية والبكتيرية.

ـ من تبديد الثروات الهائلة على التسلح على حساب الخدمات الثقافية والاجتماعية والإنسانية.

ـ من طغيان القوة على الحق فى السياسة الدولية.

ـ من الصراع بين الأجيال والأجناس.

ـ من التهريج والغوغائية وقلة الأدب.

ـ من اليأس والقنوط والأمراض العصبية والقلبية وذلك لضعف الإيمان بالله تعالى عند هؤلاء.

ـ من تحجر الضمير الأخلاقى الذى جعل الغرب يدير ظهره على المأساة الفلسطينية لمدة تزيد على نصف قرن، ولا ننسى أريتريا.

وللغربى أن يسألنى فيحرجنى: «إن كل ما قلته عن الغرب صحيح ولكن ما هو تشخيصك للأوضاع الأخلاقية فى العالم الإسلامى؟».

أقولها بصراحة: إن الأوضاع فى بعض أنحاء العالم الإسلامى قد تكون أدهى وأمر مما هى فى الغرب اليوم، فالمسلمون الذين يفخرون بأن دينهم الحنيف هو دين إيمان وأخلاق، هم فى بعض الحالات أبعد ما يكونون عن تعاليم دينهم فهم فى واد والإسلام فى واد.

فالعديد من المسلمين اليوم قد ابتلوا بالعلل الأخلاقية التى ابتلى بها الغرب باسم التقدم والرقى والحرية. وقد أشرنا إلى هذه العلل أعلاه، ولكن العالم الإسلامى قد يبز الغرب فى بعض نواحى الحياة البهيمية:

ـ الوفاء بالوعود وبالعهود والصدق فى المعاملة متوفرة فى الغرب أكثر مما هى فى بعض أقطار العالم الإسلامى، فالغربى يحافظ على الأوقات ويحترم الواجب عادة ويفى بالمواعيد.

ـ الرشوات والغش فى المعاملات والتراخى فى أداء الخدمات العامة معروفة فى بعض أنحاء العالم الإسلامى أكثر مما هى فى غرب أوروبا اليوم.

هذا، وإن المسلمين اليوم يتفوقون على الغرب بجدارة واستحقاق فى الأمور التالية:

١) تفشى التزوير فى الانتخابات النيابية أو عدم الاشتراك فيها فى العديد من الحالات. فقد ألفنا فى العديد من البلاد الإسلامية شكوى المعارضة حقا أو باطلا من التزوير فى الانتخابات وهذا أمر نادر فى الغرب.

٢) رخص الحياة البشرية والتقاتل بين الأخوة المسلمين فى الداخل والخارج. فحياة الفرد (ولا سيما المرأة) تضحى بسهولة. وقد أشارت جريدة «لوموند» مرة إلى مسئول عربى كان مستعدا لأن يأتى برأس شخصية عربية «بعشرين مليما» أى برصاصة واحدة. إن الحياة فى الغرب عزيزة ولا تضحى إلا لأهداف قومية سامية عادة.

٣) تعرض بعض النظم فى البلاد الإسلامية إلى المؤامرات والانقلابات تحاك فى الداخل أو الخارج. وقد تحدث انقلابات عسكرية ترافقها حركات غوغائية تزهق أرواح الأبرياء وتعم المآسى وتسيل الدماء فينحى أو يقتل من كان زعيما وطنيا بالأمس فأصبح خائنا اليوم ويأتى مسئول جديد فيصبح بطلا منقذا. ولا تمر سنون عديدة قبل أن يتردد على الألسن قول الشاعر:

دعوت على عمرو فمات أسرنى بليت بأقوام بكيت على عمرو

هذه ناحية ضعف فى الحياة السياسية تجاوزها الغرب تقريبا فى نظمه المعاصرة.

وعلى كل فيبقى قصب السبق فى الانحدار الأخلاقى فى جانب الغرب. فالغرب يملك القوة الغاشمة والأسلحة المبيدة للبشرية ويمارس الاستعمار قديمه وحديثه والصهيونية.

هناك فرق جوهرى بين الغرب والعالم الإسلامى فى مجابهة التردى الأخلاقى. فالغرب شاعر بهذا التردى عامل على ملافاته فهناك

تنظيمات شعبية وحكومية تعمل على مكافحة الفساد والعنف والتدخين والمخدرات والكحول والتسلح واستخدام الذرة للأغراض السلمية. كما أن في الغرب حملة واسعة فى كل مكان لإعادة النظر فى البرامج التربوية التعليمية والعودة بها إلى المبادئ الأخلاقية والضبط والإتقان والمسئولية. فى الغرب أقوال ترافقها أفعال. أما فى العالم الإسلامى فأصوات الدعوة إلى الإصلاح قليلة وقد اعتاد المسلمون أن يكثروا من الأقوال واتخاذ القرارات التى قد تنسى بعد انفضاض الاجتماع أحيانا.

والحقيقة أن الأزمة الأخلاقية فى العالم اليوم هى أزمة شاملة للبشرية كلها مشرقها ومغربها. ولا يحق لنا أن نشكو من الغرب أو أن نتعالى عليه قبل أن نبدأ بإصلاح أنفسنا بالرجوع إلى تعاليم ديننا. والعمل بمبادئه الأخلاقية السامية. والعالم كله اليوم فى حاجة إلى ثورة أخلاقية بيضاء فى حياة الفرد والجماعة وهذه الثورة الأخلاقية تقوم على الأسس التالية:

(١) غرس الإيمان بالله فى نفوس البشرية كافة وجعل تقوى الله أساسا للحياة الأخلاقية.

(٢) توعية الضمير الأخلاقى فى النفس وغرس حب الخير والحق وجعله دافعا وموجها لتصرفات البشر فى كل مكان.

(٣) صياغة ميثاق أخلاقى متفق عليه تسير عليه الشعوب والأمم جميعها. ميثاق واضح ومحدد يقاس به سلوك الأفراد والدول.

فلا تفسر الكلمة في الشرق بمعنى وفى الغرب بمعنى معاكس.

إن الفوضى فى الحقل الدولى اليوم ناجمة عن إهمال مبادئ ميثاق الأمم المتحدة ومبادئ حقوق الإنسان تغلب القوة والغطرسة على الحق والقانون. فالميثاق الأخلاقى ينبغى أن يؤسس على النزاهة والصدق والغيرية والتواضع أمام الحق والقانون وهى صفات ينبغى التحلى بها فى تطبيق ميثاق الأمم المتحدة وإعلان حقوق الإنسان.

(٤) أن تعنى برامج الدراسة ونظم التعليم والتربية بالناحية الأخلاقية بالأفعال والسلوك إلى جانب عنايتها بالدروس والمعلومات. وأن توضع مقاييس أخلاقية لا بد للطالب من تحقيقها لأجل النجاح ونيل الشهادة.

(٥) أن يعنى بتنشئة المربين (فى مختلف مستويات الدراسة ومختلف الاختصاصات) على الأخلاق الفاضلة والقدوة الحسنة بحيث يغرسون فى طلابهم صفات الصدق والأمانة واللطف والرحمة والعفة والشرف والبذل والعطاء والقناعة والإباء وحب الخير وخدمة الغير والاعتدال فى الأمور والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. كل ذلك إلى جانب احترام القانون وتحمل المسئولية.

(٦) أن تؤسس هيئة عليا لحماية الأخلاق وأن تدعى أجهزة الإعلام وعلماء الدين والأطباء والمحامون ورجال التربية والتعليم إلى ممارسة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

(٧) تطهير البيئة من المحلات والعوامل المفسدة للأخلاق وتأسيس منظمات ثقافية ورياضية ومتنزهات نقية للحياة المرفهة للشعب، والتأكيد على ممارسة الفضائل الأخلاقية داخل المدرسة وخارجها.

(٨) عزل الأفراد المقصرين خلقيا وإيداعهم فى مدارس خاصة بهم بحيث لا يفسدون أكثرية الأطفال الأبرياء.

وأخيرا نقول إن الأزمة الأخلاقية فى عالم اليوم قضية ملحة تتطلب أن تحظى بالأولوية فى معالجتها من قبل المسئولين عن شئون التربية والتعليم ومستقبل الإنسانية وفى مقدمتهم الآباء والأمهات فى كل مكان.

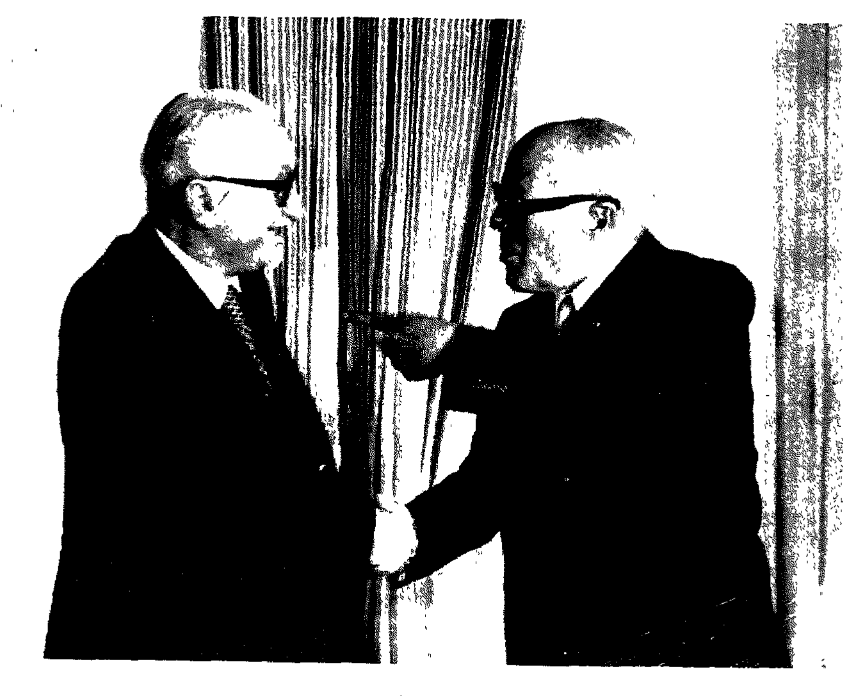
ونذكر الجميع بقول شوقى رحمه الله:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت   فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ملحـــق بالصـــور



المؤلف مع الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود والسيد نوري السعيد
في اجتماع الأمم المتحدة في نيويورك ١٩٤٧



المؤلف مع الرئيس الحبيب بورقيبة (أول رئيس للجمهورية التونسية)



لقاء بين المؤلف والرئيس جمال عبد الناصر
في المؤتمر الأسيوي - الأفريقي في باندونغ (أندونيسيا) ١٩٥٥



المؤلف مع الرئيس كميل شمعون رئيس الجمهورية اللبنانية



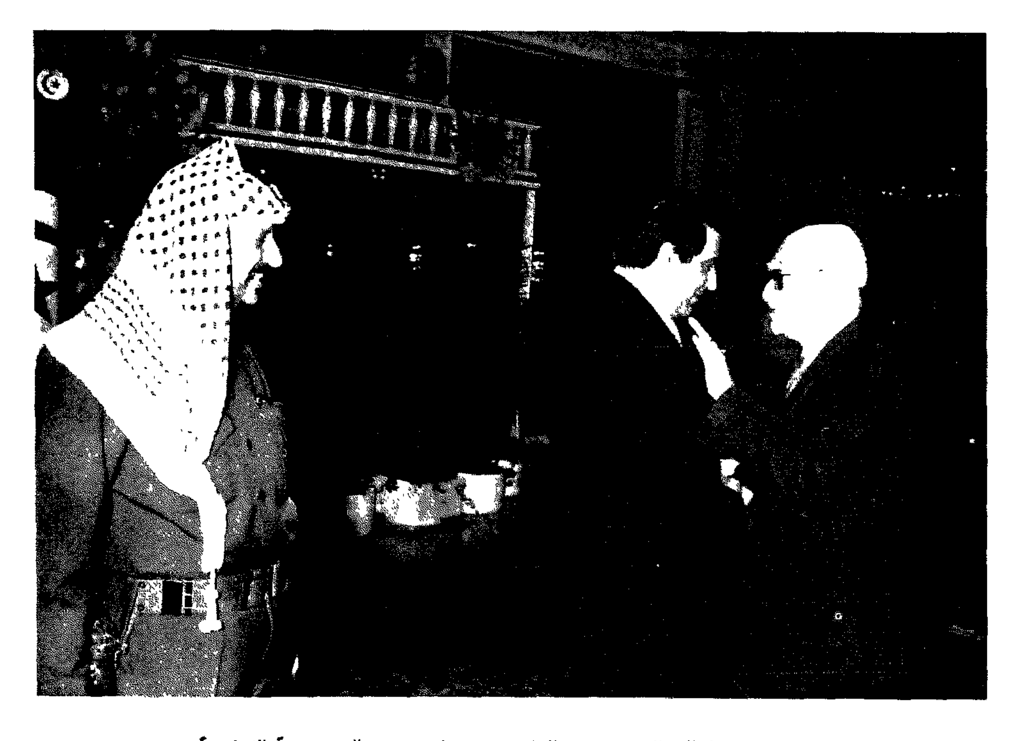
المؤلف بين الملك فيصل الثاني ملك العراق وخاله ولي العهد الأمير عبد الإله ١٩٥٥



المؤلف يستقبل المسيو ماندس فرانس في السفارة العراقية في باريس صيف ١٩٥٦



لقطة تذكارية للدكتور فاضل الجمالي مع الرئيس أيزنهاور



المؤلف يتحدث إلى الرئيس زين العابدين بن علي رئيس الجمهورية التونسية
وإلى جانبه الرئيس ياسر عرفات رئيس الدولة الفلسطينية

■ **دار سعاد الصباح**

للنشر والتوزيع

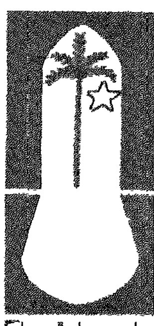
هي مؤسسة ثقافية عربية مسجلة بدولة الكويت وجمهورية مصر العربية وتهدف إلى نشر ما هو جدير بالنشر من روائع التراث العربي والثقافة العربية المعاصرة والتجارب الابداعية للشباب العربي من المحيط إلى الخليج وكذا ترجمة ونشر روائع الثقافات الأخرى حتى تكون في متناول أبناء الأمة فهذه الدار هي حلقة وصل بين التراث والمعاصرة وبين كبار المبدعين وشبابهم وهي نافذة للعرب على العالم ونافذة للعالم على الأمة العربية وتلتزم الدار فيما تنشره بمعايير تضعها هيئة مستقلة من كبار المفكرين العرب في مجالات الإبداع المختلفة .

صفحات من تاريخنا المعاصر

... إذن فنحن في حاجة إلى تربية جديدة ، تربية تنشئ لنا جيلاً مؤمناً يتحلى بالتقوى والشجاعة والحكمة ، جيل يستفيد من خبرات الماضي وله أهداف مستقبلية سامية وواقعية لأمته ، محب للعمل ، مخلص في أداء واجبه .

وهذا الكتاب الذي أقدمه للقارئ العربي يحتوي على المهم من تجاربي وخبرتي في الحقل الدولي في الخمسين سنة الأخيرة . إنه يؤكد على مبادئ التحرير والتوحيد والتجديد في حياتنا العامة والخاصة ، إن ما تفضل به الباري عز وجل على أمتنا العربية من رسالة إسلامية وثروة طبيعية ومواهب بشرية لو وعيناها واستثمرناها لأصبح لنا شأن عظيم في النظام العالمي الجديد . المهمة ليست بسيطة ولاسهلة إنها تتطلب عزماً جديداً ووحدة صادقة مخلصة لدى زعمائنا وقادتنا من جهة. واستعداداً وثاباً وعملاً متواصلاً وتفكيراً عميقاً من قبل شبابنا وشاباتنا. فإلى شبابنا المثقف (بالدرجة الأولى) أقدم هذا الكتاب والله الهادي للصواب.

د. محمد فاضل الجمالي



دار سعاد الصباح